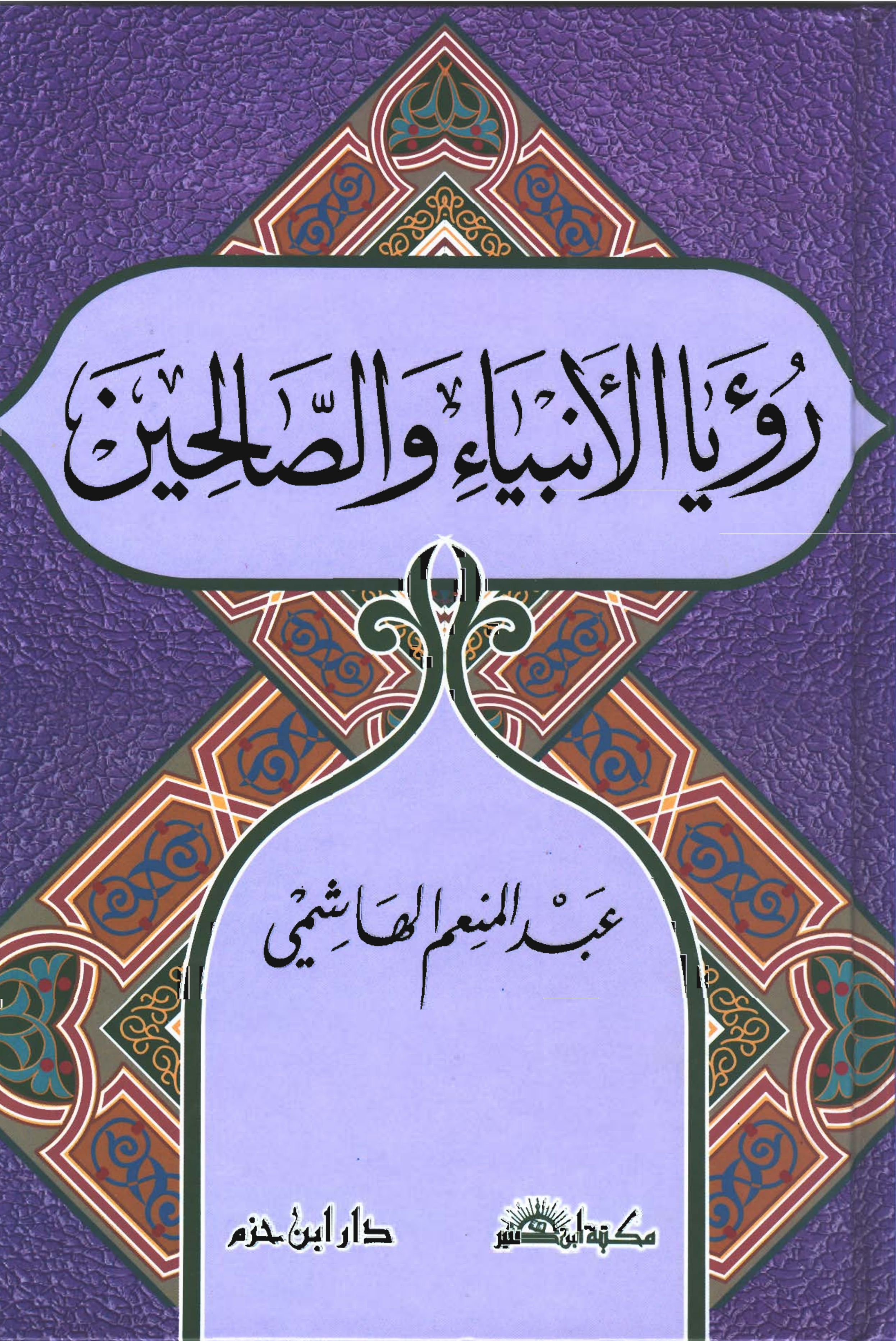
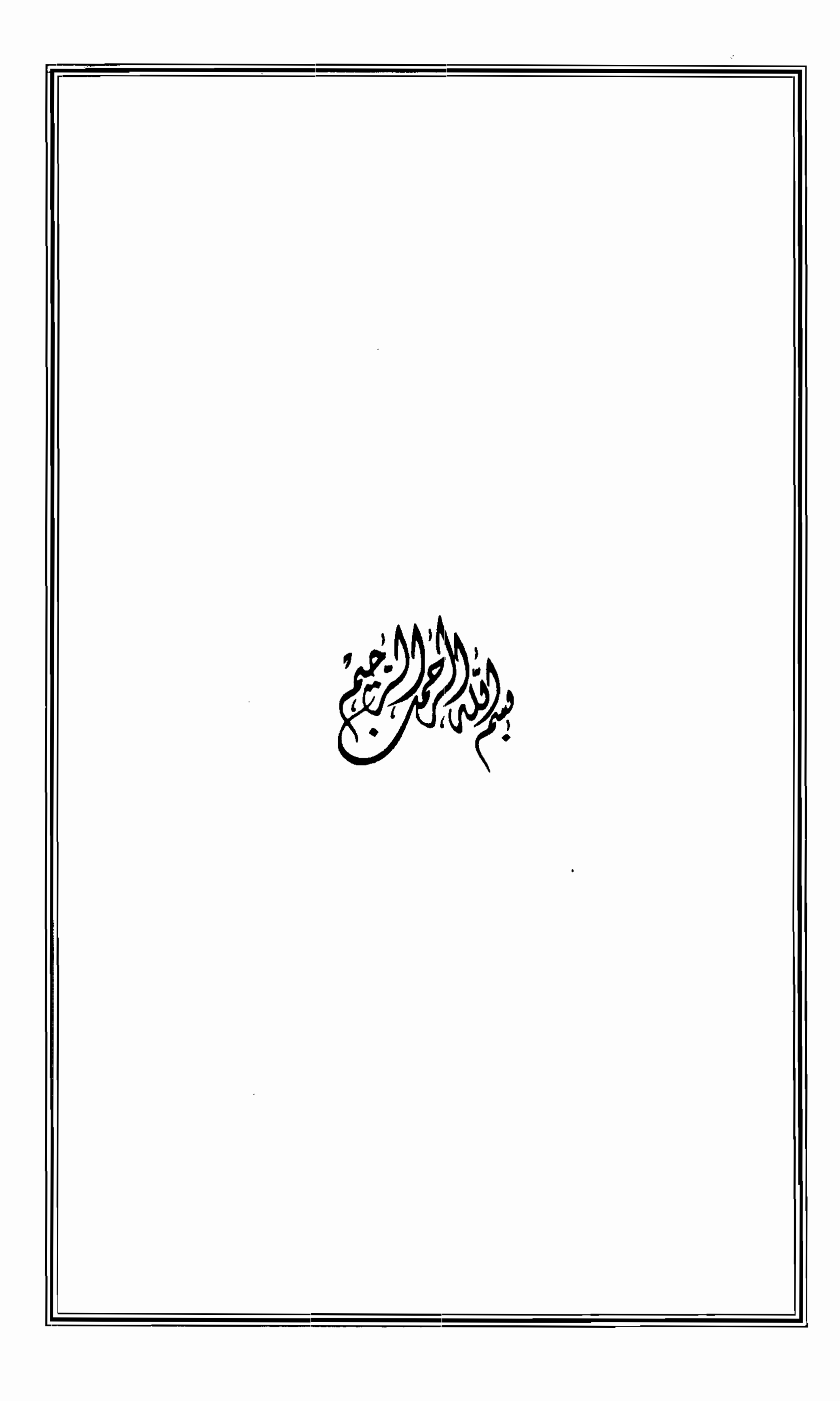


رؤيا الأنبياء والصالحين
عبد المنعم الهاشمي
مكتبة ابن كثير
دار ابن حزم


بسم الله الرحمن الرحيم

رؤيا الأنبياء والصالحين

عبد المنعم الهاشمي



دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

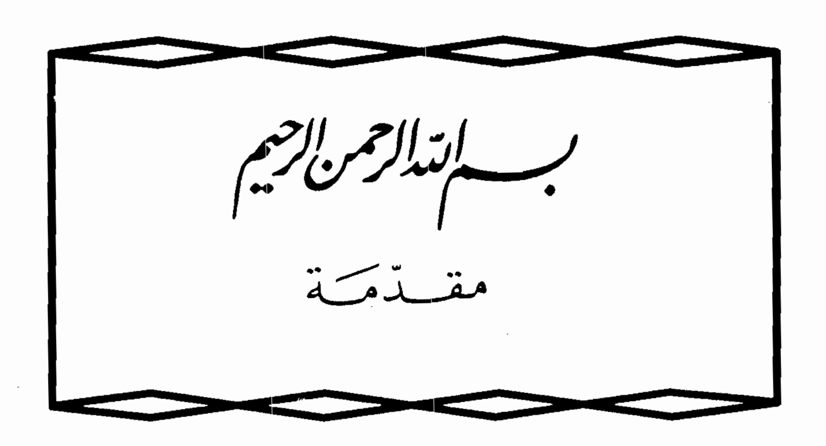
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



الكويت - حولي : 32012 - ص ب : ١١٠٦
تلفون: ٢٦٣١٢٩٨ - فاكس : ٢٦٥٧٠٤٦

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صادق الرؤيا كما كان صادق الحديث.

أما بعد...

فإن رؤيا الأنبياء والصالحين فيها من الوحي والصدق، ما جعل من عقيدة المسلم بيضاء ناصعة، تؤمن بالله، وأن الأمر والغيب بيده.

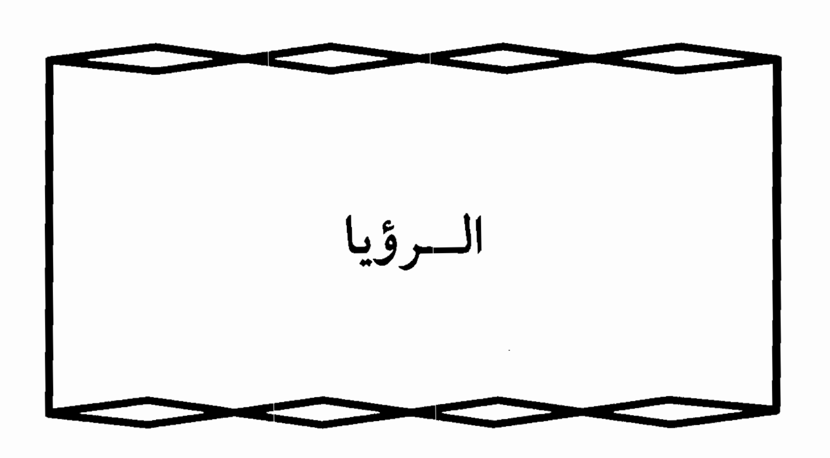
وقد كنت في هذا الكتاب في موضع الوسيط، بين الحق وأهله وبين مَن يبحث عن قناعة لصدق الرؤيا الحق لما توافرت فيه شروط الرؤيا، وقد جئت في هذا بما يكفي الملول[١] ويُرضي الصّابر على جهد القراءة والاطّلاع، ولمّا أشَأْ الإطالة وقد كانت بين يدي مُمتعة مُغرِية، إلّا أن وقت القارىء وحاجته هي التي حالت دون الاستطراد.

---

(١) الملول: من الملل.

اللَّهمَّ انفعني بما علّمتني، وعلِّمني ما ينفعني، واجعل في هذا لوجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

عبد المنعم الهاشمي
القاهرة
تليفون: ٦٣٣٨٩٨٥



الــرؤيا

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: الآية ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: الآية ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤٣].

قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة: بشرى من الله، ورؤيا: تحزين من الشيطان، ورؤيا: مما يُحَدِّث المرء نفسه**»[1].

وقال ﷺ: «**الرؤيا من الله، والحُلْم من الشيطان**»[2].

وقال ﷺ: «**لم يَبْقَ من النبوّة إلّا المُبَشِّرات**».

---

(١)(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

قيل: وما المُبَشِّرات؟

قال عليه السلام: «**الرؤيا الصالحة**»[١].

وقال ﷺ في الحديث الشريف: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة**»[٢].

ذُكِرَت الرؤيا في القرآن الكريم سبع مرات[٣] وتحدّث عنها الرسول ﷺ كثيراً.

ومن مظاهر عَظَمَة الخالق سبحانه عزّ وجلّ أن يُرِي النائم من المرائي والأحلام ما يُدهشه، فيعيش أحداث الرؤيا كأنه يقظاً يتحرّك، ويرى ويسمع، ويفسِّر ويصل إلى نتائج من رُؤياه.

ولعلَّ الإيمان بالرؤيا يجعل في القلوب إيماناً راسخاً بالوحي والإلهام، فالوحي والإلهام من عند الله للمؤمنين والصالحين.

وقد عُرِّفَت الرؤيا تعريفاً نظريّاً جاء فيه أنها: اعتقادات يخلقها الله في قلب النائم، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يَقَظَة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب «التعبير»، باب: «المبشّرات»، ورواه مسلم بنحوه من حديث ابن عباس، كتاب الصلاة، رقم ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) الآيات التي وردت عن الرؤيا في القرآن هي:

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٤٣]. (مرتين).

٢ - ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: الآية ١٠٠].

٣ - ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: الآية ٥].

٤ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: الآية ٦٠].

٥ - ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: الآية ١٠٥].

٦ - ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: الآية ٢٧].

وقيل إن الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة[١].

والله عزّ وجلّ يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها عَلَماً على ما يُسر، بغير حضرة الشيطان، ويخلق عزّ وجلّ عَلَماً على ما يضرّ بحضرة الشيطان. فيُنسَب هذا إلى الشيطان مجازاً، لحضوره عندها، وإن كان لا فِعْلَ له حقيقة.

فحين يقول الرسول ﷺ: «**الرؤيا من الله، والحُلْم من الشيطان**»، فإن معنى هذا:

الرؤيا: اسم للمحبوب لأنه من الله.

والحُلْم: اسم للمكروه لأنه من الشيطان.

وإضافة الرؤيا المحبوبة إلى الله عزّ وجلّ في الحديث الشريف تشريف بخلاف المكروهة، وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى، وتدبيره وبإرادته، ولا فِعْلَ للشيطان فيهما، لكن يحضر المكروهة ويرتضيها، ويُسَرُّ بها.

وقد قالت السيدة عائشة في الرؤيا الصادقة:

«أوّل ما بُدِىءَ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصادقة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصّبح»[٢].

ورؤى الأنبياء صادقة صالحة على الأكثر، وقد تكون غير صالحة في الدنيا كما حدث في غزوة أُحُد في رؤيا رسول الله ﷺ حين رأى الرسول ﷺ نفسه في دِرْعٍ حصينة، والدّرع الحصينة هي المدينة

---

(١) انظر الرؤى والأحلام للبيانوني.

(٢) صحيح البخاري.

المنوّرة، ورأى في نفس الرؤيا بقراً تُذبَح، والبقر هو ما أصاب أصحابه يوم أُحُد فقد استشهد منهم سبعون رجلًا، ورأى ثَلْماً (دماً) في سيفه، وكان الثَّلم برجل من أهل بيته يُقْتَل، فكان حمزة سيِّد الشهداء في هذه الغزوة.

وذُكِرَ أنَّ الرؤيا جزءٌ من النبوّة، وهي من المُبَشِّرات، إلّا أنها قد تكون إنذاراً من قِبَل الله تعالى، ولا تسُرّ رائِيها، وإنما يُرِيها الله تعالى للمؤمن، رفقاً به ورحمة، ليستعدّ لنزول البَلاء قبل وقوعه، وقد حدث ذلك مع الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو بمصر، فقد رأى رؤيا للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه تدلّ على محنته، فكتب إليه بذلك ليستعدّ له، فلما رأى رُؤياه، رأى أن النبي ﷺ، قال له: «**اكتب إلى أبي عبد الله** ـ يعني الإمام أحمد ـ **فاقرأ عليه السلام وقل له: ستُمتَحَن وتُدعى إلى القول بخلق القرآن، فلا تُجِبْهم، فيرفع الله لك عَلَماً إلى يوم القيامة**».

فكتب بذلك الشافعي للإمام أحمد وأرسل الكتاب مع الرّبيع، فلما وصله الكتاب، قال الربيع للإمام: البَشارة، فخلع الإمام أحمد قميصه وأهداه إيّاه.

فهذه رؤية صادقة صالحة أراد الله بها عزّ وجلّ أن يُنبِّه عبده الصالح المؤمن أحمد بن حنبل إلى مِحنَةٍ ستأتيه.

أنواع الرؤيا

ذكر رسول الله ﷺ أنواع الرؤيا في حديثه الشريف فقال: «**الرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة: بُشرى من الله. ورؤيا: مما يُحدِّث المرء نفسه. ورؤيا: تحزين الشيطان**».

١ ـ **الرؤيا الصالحة**: هي التي قصدها رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: «**إذا اقترب الزمان** ـ أي: قارب القيامة ـ **لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**»[١].

وقيل: إن هذا يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم، وموت العلماء والصالحين، وأهل المعرفة الصادقة، فجُعِلَت الرؤيا الصادقة هَدْياً وسبيلًا لِرضى الله عن عِباده، كي يسلكوا طريق الرّضى.

وقد ذكر العلماء[٢] أنها قسمان:

ـ القسم الأول وهو الذي لا يحتاج إلى تأويل؛ كرؤيا العبد لربِّه تبارك وتعالى، أو رؤيا الرسول ﷺ، أو أحد الرُّسُل الكِرام صلوات الله وسلامه عليهم، أو رؤيا الصحابة والتّابعين، والأولياء والصالحين، فهذه الرّؤى بشائر لا تحتاج إلى تأويل، وقد ذُكِرَ في الاستيعاب لابن عبد البرّ عن عطاء الخراساني رحمه الله أنه قال:

حدّثتني ابنة ثابت بن قيس رضي الله عنهما قالت:

«لمّا كان يوم اليمامة خرج أبي ثابت، مع خالد بن الوليد إلى مُسَيلمة الكذاب، فلما التقوا انكشفوا ـ أي: انهزموا تعني المسلمين ـ.

فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم:

ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله ﷺ. ثم حفر كل واحد منهما له حُفرة، فثبتا، وقاتلا حتى قُتِلا، وعلى ثابت يومئذ دِرْعٌ له نفيسة، فمرَّ به رجل من المسلمين فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم، أتاه ثابت

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الأستاذ البيانوني في كتابه الرؤى والأحلام.

في منامه، فقال له: أُوصيك بوصيّة، فإياك أن تقول: «هذا حُلُم» فتضيِّعه، إني لمّا قُتِلت أمس، مرَّ بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي، ومنزله في أقصى النّاس، وعند خبائه فرسٌ يستَنّ في طوله، - أي: يعدو إقبالًا وإدباراً -، وهو مربوط بحبل طويل يدور فيه ويرعى، وقد كَفَأ الرجل على الدِّرع بُرْمَة - أي: قِدْر - وفوق هذا القِدْر رَحْل أو سرج يُوضَع على ظهر البعير. فآتِ خالداً فمُرْهُ أن يبعث إليَّ درعي فيأخذها.

وإذا قَدِمتَ على خليفة رسول الله ﷺ - يقصد أبا بكر الصديق رضي الله عنه - فقل له: إنّ عليَّ من الدَّيْن كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان...

فأتى الرجل خالداً فأخبره، فبعث إلى الدّرع فأُتِيَ بها. وحدَّث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيَّته.

قال: ولا يُعلَم أحد أُجِيزتْ وصيّته بعد موته غير ثابت»[1].

٢ - **مما يحدِّث المرء نفسه**: وهذا النوع من الرؤيا متعلّق بما يفكّر فيه الإنسان وما يشغله، ومرتبط بأمره العاجل الذي يحظى بكل اهتمامه، مثل طالب يؤدّي امتحاناً وينتظر نتيجته فيرى نفسه في المنام وقد نجح وهو يتلقّى التّهاني من بعض أُخوانه، أو تاجراً يبغي الربح من بضاعته الرّاكدة، فيرى فيما هو نائم بضاعته وقد بِيعَت بربح وَفير وأثمانها تتدفّق عليه من كل مكان نقوداً كثيرة، أو كمَن يطمع في مالٍ وفير، وغِنًى عظيم، فيجد نفسه في المنام يعيش أسباب الغِنى والفاقة فيرى خزائن النقود وسبائِك الذهب وغير ذلك مما يُحاكي فكرَهُ في اليَقَظَة.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، وأورده ابن سيرين في كتابه تفسير الأحلام، ص ٩، طبعة دار المعرفة بيروت، تعطير الأنام.

٣ ـ أما النوع الثالث فهو تحزين الشيطان: وتؤوِّل بأضغاث الأحلام، وفي هذا النوع كثيراً مما يكره الإنسان وهذه الرؤيا التي يكرهها الإنسان هي من الشيطان، وإذا رآها الإنسان فعليه أن يستعِذ بالله من شَرِّها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضرّه.

ومن حديث رسول الله ﷺ: «**الرؤيا من الله، والحُلْم من الشيطان، فإن حلم أحدكم الحُلم يكرهه، فليبصق عن يساره، وليستعِذ بالله منه فلن يضرّه**»(١).

وحين روى أبو هريرة رضي الله عنه حديث رسول الله ﷺ: «**الرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بُشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ممَّا يُحَدِّث المرء نفسه فإن رأى ما يكره فليقم فَلْيُصَلِّ، ولا يُحدِّث بها الناس**»(٢).

يقول أبو هريرة راوي الحديث: «أُحبّ القَيْد، وأكره الغُلَّ».

والقيد: هو ربط الرِّجلَين، فيُعبِّر بثَبات الدِّين، ورسوخ فيه.

أما الغُلّ: الربط في العُنُق، فيُعبِّر بتحمّل دَين أو مَظالم أو حُكم عليه.

فالقَيد في النوم جيد، والغُلّ مكروه.

شروط آداب الرؤيا

من آداب الرؤيا، وحتى تكون هذه الرؤيا صحيحة يجب أن يتأدّب الرّائي بآداب أو تتوافر فيه شروط كي تكون رؤيته صالحة ومن الله

---

(١) رواه البخاري.

(٢) البخاري ومسلم.

سبحانه عزّ وجلّ كما قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة بُشرى من الله**»[(١)].

ومن آداب وشروط الرؤيا ما يلي:

١ ـ الصدق ـ لقول رسول الله ﷺ: «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**» ـ ولذلك فإن الكذب يحرم في قصّ الرؤيا نفسها، ففي الحديث الشريف: «**مَن تحلّم بحُلم لم يره، كُلِّفَ أنْ يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل**»[(٢)].

وفي رواية: «**إن من أفرى الفرى** ـ أي: أكذب الكذب ـ **أن يُرِي عينيه ما لم تره**»[(٣)].

أي أنه يقول: رأيت، وهو لم يرَ شيئاً؛ لأنه كذب على الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: الآية ٢١]. أي: لا أحد أظلم منه.

٢ ـ المحافظة على سُنن الفِطرة[(٤)]: فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنّه كان يسأل أصحابه كل يوم: «**هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟**»، فيقصّونها عليه، فيعبِّرها لهم، ثم سألهم أيّاماً فلم يقُصّ عليه أحد منهم رؤيا، فقال: «**كيف ترون وفي أظفاركم الرفغ**»[(٥)]. وذلك أن أظفارهم قد طالت وتقليمها من الفِطرة. ومن سُنَن الفِطرة أن ينظِّف مواضع حسّاسة من جسمه بها شعر ووسخ.

---

(١) من حديث أبي هريرة، أورده البخاري ومسلم.
(٢)(٣) رواه البخاري.
(٤) وهي خصال الفطرة المسنونة في النظافة.
(٥) الرفغ: كل موضع يجتمع فيه الوسخ من البدن.

٣ ـ ينام على طُهْر، ومن شروط وآداب الرؤيا أن ينام المسلم على طُهْر ووضوء بعيداً عن النَّجس، وقد رُوِيَ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه تعالى ـ قال عليه السلام: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهنّ حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الفجر، وأن لا أنام إلّا على طُهْر.

٤ ـ أن ينام على جنبه الأيمن، فإن النبي ﷺ كان يحبّ التيامن في كل شيء، ورُوِيَ أنه كان ينام على جنبه الأيمن ويضع يده اليُمنى تحت خدِّه الأيمن، ويقول: «**اللَّهمَّ قِنِي عذابك يوم تجمع عِبادك**»[(١)].

ورُوِيَ أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا اتخذت مضجعها قالت: اللَّهمَّ إني أسألك رؤيا صالحة غير كاذبة، نافعة غير ضارّة، حافِظة غير ناسية.

وقيل في بعض الأخبار: إن من سُنَّة النائم أن يقول إذا أوى إلى فراشه: اللَّهمَّ إني أعوذ بك من الاحتلام وسوء الأحلام، وأن يتلاعب بي الشيطان في اليقظة والمنام[(٢)].

ومن أنواع الرؤيا أيضاً والتي ذكرها ابن سيرين ما يلي:

للرؤيا أنواع أساسية: إحداهما رؤيا الحق. والثانية رؤيا الباطل. والثالثة من تحزين وتخويف الشيطان. والرابعة: أضغاث أحلام. والخامسة: رؤيا الإنسان المُشَوَّش الطّبائع.

---

(١) تفسير الأحلام لابن سيرين، ص ١٣.

(٢) المصدر السابق.

أولًا: رؤيا الحق: وقد عرَّفَ العلماء[1] رؤيا الحق، هو ما يراه الإنسان مع اعتدال طبائِعه واستقامة الهواء وذلك مثل اهتزاز الأشجار حتى يسقط ورقها وأن لا ينام على فكرة وتمنّي شيء مما رآه في منامه، ولا يخلّ بصحة الرؤيا جنابة ولا حيض.

ثانياً: رؤيا الباطل: وهي ما تقدّمه النفس من حديث وأُمنيات وهموم ولا تفسير لها، وكذلك الاحتلام المُوجِب للغُسْل جارٍ مجراه في أنه ليس له تأويل.

ثالثاً: رؤيا التخويف والتحزين من الشيطان: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجَادلة: الآية ١٠].

ومن ذلك أن من السُّنَّة خمس خِصال يعملها الذي يرى في منامه ما يكره وهي:

١ ـ يتحوَّل عن جنبه الذي نام عليه إلى الجنب الآخر.

٢ ـ ويتفل عن يساره ثلاثاً.

٣ ـ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

٤ ـ يقوم فيتوضأ ويصلّي.

٥ ـ لا يُحدِّث أحداً برؤياه مهما كان الأمر.

وقد رُوِيَ أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني أرى في المنام رؤيا تُحزِنُني، فقال ﷺ: «**وأنا أيضاً أرى في المنام ما يُحزِنُني،**

---

(١) تفسير الأحلام لابن سيرين ص ١٣.

فإذا رأيت ذلك فاتفُل عن يسارك ثلاثاً، وقل: اللَّهمَّ إني أسألك خير هذه الرؤيا وأعوذ بك من شرِّها».

رابعاً: **أضغاث أحلام**: وهي أن يرى الإنسان كأنما السماء صارت سقفاً ويخاف أن يقع عليه، وأن الأرض رُحًى تدور، أو نَبَتَ من السماء أشجار، وطلع من الأرض نجوم، أو تحوَّل الشيطان مَلَكاً، والفيل نملة، وما أشبه ذلك ولا تأويل لها.

خامساً: ومن ذلك رؤيا يراها الإنسان عند «تشوّش طبائعه»، كالدموي يرى الحُمرة، والذي لا يعلم السّباحة يرى البحر وهو يغرق، والسّوداوي يرى الظّلمات والسّواد، والمَحرور أي الذي ينام في الحرّ يرى الشمس والنار، والمبرود يرى البُرودات، والمُمتلىء يرى الأشياء الثقيلة على نفسه فهذا النوع من الرؤيا لا تأويل له.

وقد وردت في الرؤيا المكروهة أحاديث كثيرة، فعن أبي سلمة رضي الله عنه قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتُمرِضني، حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتُمرِضني، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبّ، فلا يحدِّث به إلَّا مَن يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوَّذ بالله من شرّها، وليتفُل ثلاث مرات، ولا يحدِّث بها أحداً، فإنها لن تضرّه»**[١].

فقال أبو قتادة رضي الله عنه: إني كنت لأرى الرؤيا هي أثقل عليَّ من الجبل، فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا أعُدّها شيئاً.

وبذلك تصبح الاستعاذة من الرؤيا المكروهة، مما يرفع أذاها.

---

(١) البخاري ومسلم.

وفي حديث آخر: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصُق عن يساره ثلاثاً، وليتعوَّذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه**»[(١)].

- «**إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها، فليتفُل ثلاث مرات، ثم ليقُل: اللَّهمَّ إني أعوذ بك من عمل الشيطان، وسيئات الأحلام، فإنها لا تكون شيئاً**»[(٢)].

وفي رؤيا الحق ورؤيا البُشرى للمؤمن روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يُونس: الآية ٦٤]:

«ما سألني أحد عنها غيرك منذ أُنزِلت، هي الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرَى له»[(٣)].

متى تكون الرؤيا صادقة

ذكر ابن سيرين أن أصدق الرؤيا ما كانت في نوم النهار أو نوم آخر الليل. فقد رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «**أصدق الرؤيا ما كان بالأسحار**»، ورُوِيَ أنه قال: «**أصدق رؤيا النهار؛ في النهار، لأن الله تعالى أوحى إليَّ نهاراً**».

آداب قصّ الرؤيا

ولصاحب الرؤيا آداب يحتاج إلى أن يتمسّك بها وحدود ينبغي أن لا يتعدّاها وهي:

(١) رواه مسلم.
(٢) ابن السني.
(٣) رواه الترمذي.

١ ـ أن لا يقُصّها على حاسد، وذلك أن يعقوب عليه السلام قال ليوسف عليه السلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [يُوسُف: الآية ٥].

٢ ـ أن لا يقُصّها على جاهل، فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنّه قال: **«لا تقصُص رؤياك إلّا على حبيب أو لبيب»**.

فلا تقصّها على غير شفيق ولا ناصِح، ولا على مَن لا يُحسِن التأويل فيها.

وفي الحديث الشريف: **«الرؤيا معلَّقة برِجْل طائر، ما لم يحدّث بها صاحبها، فإذا حدَّث بها وقعت، فلا تحدِّثوا بها إلا عاقلًا أو مُحِبّاً أو ناصحاً»**[(١)].

وقال الإمام مالك إمام المدينة رضوان الله عليه: لا يُعَبِّر الرؤيا إلا مَن يُحسِنها، فإن رأى خيراً أَخْبَرَ به، وإن رأى مكروهاً، فليقُل خيراً أو ليصمت.

قيل: فهل يعبِّرها على الخير، وهي عنده على المكروه، لقول مَن قال: إنّها على ما تأوّلت عليه؟

فقال: لا. ثم قال: الرؤيا جزء من النبوّة، فلا يتلاعب بالنبوّة.

وفي رواية أخرى: **«رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوّة وهي على رِجْل طائر، ما لم يتحدّث بها، فإذا تحدّث بها سقطت»**.

---

(١) رواه الترمذي.

وزاد في رواية: «**اعتبروها بأسمائها، وكنّوها بكُناها والرؤيا لأول عابر**»[١].

وقد تحدّث العلماء[٢] عن قوله ﷺ: «**اعتبروها بأسمائها وكنّوها بكناها**»، أي: قد تُعَبَّر الرؤيا من الأسماء والكنى:

كالهدى: من رؤية الهدهد، والغربة: من رؤية الغراب، والهداية: من اسم مهدي، والتوفيق: من اسم موفّق.

آداب مُعَبِّر الرؤيا أو مُفَسِّرها

يقول ابن سيرين[٣]: وأما آداب المُعَبِّر «المُفَسِّر» فهي:

١ ـ أن يقول إذا قَصَّ عليه أخوه رؤياه خيراً رأيت، فقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان إذا قُصَّت عليه رؤيا يقول: «**خيراً تلقاه وشرّاً تتوقّاه وخيراً لنا وشرّاً لأعدائنا الحمد لله ربّ العالمين اقصُص رؤياك**».

٢ ـ أن يعبِّرها على أحسن الوجوه، فقد رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا تقع على ما عبّرت**». ورُوِيَ أنّه قال: «**الرؤيا على رِجْل طائر ما لم يحدّث بها؛ فإذا حدّث بها وقعت**».

٣ ـ أن يُحسِن الاستماع إلى الرؤيا، ثم يُفَهِّم السائل الجواب. وحتى يُفَهِّم السائل الجواب يلزمه أن يكون عارفاً بشيء من كتاب الله تعالى كالعهد من الحبل في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣]. وكالنجاة من السفينة في قوله تعالى:

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) البيانوني في كتابه الرؤى والأحلام، ص ٣٧.

(٣) منتخب الكلام في تفسير الأحلام لابن سيرين، ط. دار المعرفة بيروت، ص ١٥.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العَنكبوت: الآية ١٥]. وكالحج من الأذان في أشهر الحج، لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحَجّ: الآية ٢٧]. وكالنسوة من البيض في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصَّافات: الآية ٤٩]. وكالرِّفعة من سجود الكواكب، كما ورد في سورة يوسف من رؤياه عليه السلام، لقوله تعالى على لسان يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤].

وكشيء من أمثلة العرب؛ كقول إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: غَيِّر عتبة بابك، أي: زوجتك.

وكقول لقمان لابنه: بدِّل فرشاتك، أي: بدِّل زوجتك.

ورُوِيَ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «**رأيت كأني أنا وأنت نرقى في درجة ـ** أي: نصعد سُلَّماً ـ **فسبقتك بمِرقاتين**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله يقبضك الله برحمته، وأعيش بعدك سنتين، فكان كذلك.

وقال رسول الله ﷺ: «**رأيت كأنه يتبعني غنم سُود، وتبعتها غنم بِيض**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: تتبعك العرب وتتبع العجم العرب، فكان كذلك كما عبَّر أبو بكر.

٤ ـ أن يتأنّى في التعبير ولا يستعجل به.

٥ ـ أن يكتم عليه رؤياه فلا يفشيها، فإنها أمانة ويتوقف في التعبير عند طلوع الشمس وعند الزّوال وعند الغروب.

٦ ـ يُميِّز بين أصحاب الرؤيا فلا يفسِّر رؤيا السلطان حسب رؤية الرّعيّة، فإن الرؤيا تختلف باختلاف أحوال صاحبها، والعبد إذا رأى في منامه ما لم يكن له أهلًا فهو لمالكه لأنّه ماله، وكذلك المرأة إذا رأت ما لم تكن له أهلًا فهو لزوجها لأنها خُلِقَت من ضلعه، وتأويل رؤيا الطفل لأبويه، ومنها أن يتفكّر في رؤيا تُقَصّ عليه، فإن كانت خيراً عبَّرها وبشَّر صاحبها قبل تعبيرها، وإن كانت شرّاً أمسك عن تعبيرها أو عبّرها على أحسن احتمالاتها، فإن كان بعضها خيراً وبعضها شرّاً عارَضَ بينهما ثم أخذ بأرجحها وأقوالها في الأصول، فإن أُشكِلَ عليه سأل القاصّ عن اسمه، فعبّرها على اسمه، لِمَا رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أشكلَ عليكم الرؤيا فخذوا الأسماء**»[1]. وبيانه أن اسم سهل سهولة، وسالم سلامة، وأحمد ومحمد مَحمَدة، ونصر نُصرة، وسعاد سعادة، وأيضاً يعتبر في ذلك ما يستقبله في ذلك الوقت، فإن استقبلته عجوز فهي دنيا مُدبِرَة، وإن استقبله بغل أو حمار فهو سفر لقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النّحل: الآية ٨]. وإن سمع في ذلك الوقت نعيق الغُراب واحدة أو ثلاثاً أو أربعاً أو ستّاً فهو خير، فأما الأربع فيسقط منها واحدة فيبقى واحدة والست خير لا يسمعها إلّا الأكابر وإن سمع اثنتين فلا يُستَحبّ، وحُكِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إذا نعق الغُراب ثلاثاً فهو خير وبالفارسية ديك، وإن نعق الغُراب اثنتين فهو شرّ وبالفارسية بدع.

ويُكرَه أن يقُصّ الرؤيا يوم الثلاثاء لأنه يوم إهراق الدماء!!

ويوم الأربعاء لأنه يوم نَحْسٍ مستمر!!

---

(١) ابن سيرين في منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ص ١٦.

ولا يُكرَه سائر الأيام.

وفي تعبير الرؤيا جاء في الحديث الشريف: «**خير ما يرى أحدكم في المنام أن يرى ربّه، أو نبيّه، أو يرى أبويه مسلمين**».

قالوا: يا رسول الله، وهل يرى أحدٌ ربّه؟ قال رسول الله ﷺ: «**السلطان، والسلطان هو الله تعالى**».

ويتوقف التعبير أو تفسير الرؤيا على التمثيل والتشبيه فهما من الأمور الهامّة في تفسير الرؤيا، والنظر إلى المناسب منها دون الآخر.

وعلى المُعَبِّر أو المُفَسِّر أن يتفرّس ويتأمّل في الرائي (صاحب الرؤية) وحِرفَته، وما يلوح عليه، ويُعبِّر له من حاله، وكذلك كان يفعل ابن سيرين رحمه الله، فقد جاءه رجل فقال: «رأيت في منامي كأني أُؤذِّن».

فنظر إليه ابن سيرين ثم قال: إنه يسرق وتُقطَع يده.

ثم جاءه آخر، فقال: رأيت في منامي كأني أُؤذِّن.

فنظر إليه ثم قال: تحجّ بيت الله الحرام.

وكان في المجلس رجل، فقال: كيف هذا يا ابن سيرين؟ الرؤيا واحدة، والتعبير مختلف.

فقال: نعم، تفرّست في وجه الأول الشرّ، فأوّلت له من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: الآية ٧٠]، والثاني توسّمت فيه الخير والصّلاح، فعبَّرت له من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: الآية ٢٧].

وعن تأويل الرؤيا قالوا: رؤيا المرأة خير، والبعير حرب أو حُزن، واللّبن فِطرَة، أي: يدلّ على السُّنَّة والعلم والقرآن والإيمان؛ لأنه أول شيء يناله المولود من طعام الدنيا، وهو الذي يقوِّيه ويفتق أمعاءه، وبه تقوم حياته، كما تقوم بالعلم حياة القلوب.

والمراد باللّبن هنا: لبن ما يُؤكَل لحمه من الإبل والبقر والغنم. أما لبن ما لا يُؤكَل لحمه فحرام، وديون، وأمراض، ومخاوف...

ولبن الوحش شكٌّ في الدِّين. ولبن السِّباع غير محمود. ولبن اللَّبوة ـ وهي أُنثى الأسد ـ يدلّ على الظَّفر بالعدو. ولبن الكلب يدلّ على الخوف. ولبن الثعلب يدلّ على مرض. ولبن النّمر يدلّ على عداوة. ورؤيا الخُضرَة جنّة. والسفينة نجاة. والتمر رزق. ورؤيا الزيت دلالة على العمر[1].

وقد يكون ظاهر الرؤيا مكروهاً، ويُفَسَّر بمحبوب وعكسه، وهذا معروف لأهله.

كمَن رأى أنه قتل نفساً، فإنها تُعَبَّر بالنجاة من الغمّ أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه: الآية ٤٠].

وكما ذكرنا من حديث رسول الله ﷺ آنفاً، أنه ينبغي للمُعَبِّر أو المُفَسِّر للرؤيا أن يعبِّر الرؤيا بما يسرُّ الرائي إن كانت الرؤيا تعطي ذلك وإلّا قال خيراً وسكت.

«وعلم التعبير عزيز، وهو إلهامي أكثر منه اكتسابي، ومداره على التقوى» لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسُف: الآية ٦]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢].

(١) الرؤى والأحلام، للأستاذ أحمد عزّ الدين البيانوني، ص ٤٤.

الرؤيا الصالحة والنبوّة

وعن لفظ الحديث الشريف أن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوّة تحدّث العلماء فيها حديثاً طيّباً، فحديث أنس بن مالك الذي يقول أن رسول الله ﷺ قال: «**الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة**»[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكن رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً. ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوّة**»[٢].

وقد ورد في هذا روايات كثيرة، كما قال الحافظ في الفتح. فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه: أقلّها جزء من ستّة وعشرين، وأكثرها من ستة وسبعين.

وقد تحدّث العلماء عن أنه كيف تكون الرؤيا جزءاً من النبوّة مع أن النبوّة انقطعت بموت الرسول ﷺ؟! فقالوا: قد استشكل كون الرؤيا جزءاً من النبوّة مع أن النبوّة انقطعت بموت النبي ﷺ.

فقيل في الجواب: إن وقعت الرؤيا من النبي ﷺ فهي جزء من أجزاء النبوّة حقيقة، وإن وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوّة على سبيل المجاز.

وقال الخطابي: قيل معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوّة إلا أنها جزء باقٍ من النبوّة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب «التعبير»، باب رؤيا الصالحين، ومسلم في صحيحه، كتاب «الرؤيا»، حديث رقم ٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب «الرؤيا»، حديث رقم ٦.

وقيل: المعنى أنها جزء من علم النبوّة؛ لأن النبوّة وإن انقطعت فعلمها باقٍ.

وسُئِلَ ابن عبد البر: أيُعبِّر الرؤيا كلّ أحد؟

قال: أبالنبوّة يُلْعَب؟!

ثم قال: الرؤيا جزء من النبوّة فلا يُلعَب بالنبوّة.

والحق يُقال: أنه لم يَرِد أنها نبوّة باقية، وإنما أراد أنها لمّا أشبهت النبوّة من جهة الاطّلاع على بعض الغيب لا ينبغي أن يُتَكَلَّم فيها بغير علم[1].

والناس في الرؤيا على ثلاث درجات:

١ ـ الأنبياء؛ ورؤياهم كلها صدق، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير.

٢ ـ والصالحون؛ والأغلب على رؤياهم الصدق، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير.

٣ ـ ومَن عداهم؛ يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث وهم ثلاثة أقسام:

أ ـ مستورون: فالغالب استِواء الحال في حقهم.

ب ـ فَسَقَة: والغالب على رؤياهم الأضغاث وقليلًا ما تكون صادقة.

جـ ـ كُفَّار: ونادراً ما تكون رؤياهم صادقة.

---

(١) انظر فتح الباري.

وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفّار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام ورؤيا الملك.

وقد تحدّث القرطبي عن الرؤيا فقال: المسلم الصادق الصالح المؤمن هو الذي يناسب حاله حال الأنبياء، فأُكرِمَ بنوع مما أكرِمَ به الأنبياء، وهو الاطّلاع على الغيب... وأما الكافر والفاسق والمختلط فلا، ولو صدقت رؤياهم أحياناً فذاك كما يصدق الكذوب، وليس كل مَن حدَّث عن غيب يكون خبره من أجزاء النبوّة كالكاهن والمنجِّم[1].

من قواعد تفسير الأحلام

سنستعرض في هذه العجالة بعض القواعد التي ذكرها الأئمة والعلماء لتفسير الأحلام وسنسلك في هذا السبيل طريقين:

أولهما: قواعد تعبير الرؤيا عند ابن القيّم رحمَه الله[2]:

قال ابن القيِّم رحمه الله عندما تعرّض لضرب الأمثال في القرآن الكريم: قد ضرب الله الأمثال وصرّفها قدراً وشرعاً ويقظة ومناماً، ودلّ عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشيء إلى نظيره، واستدلالهم بالنظير على النظير، بل هذا أصل عبارة الرؤيا والتي هي جزءٌ من أجزاء النبوّة ونوعٌ من أنواع الوحي، فإنها مَبنيّة على القياس والتمثيل، واعتبار المعقول بالمحسوس. ومن ذلك:

١ ـ تأويل الثياب والقُمُص: ألا ترى أن الثياب في التأويل كالقُمُصُ تدلّ على الدِّين، فما كان منهما من طول أو قصر أو نظافة أو

(١) انظر المصدر السابق، ج ١٢، ص ٣٧٩.
(٢) من كتابه أعلام الموقعين.

دنس فهو في الدِّين، كما أوَّل النبي ﷺ القميص بالدِّين والعلم، والقدر المشترك بينهما أن كلًا منهمَا يستر صاحِبه ويُجَمِّلُه بين النّاس، فالقميص يستر بدنه والعلم والدِّين يستر روحه وقلبه ويجمِّله.

٢ ـ تأويل اللَّبن: ومن هذا تأويل اللَّبن بالفِطرَة لِما في كلٍّ منهما من التغذية المُوجِبة للحياة وكمال النشأة، وأن الطفل إذا خُلِّي وفِطرته لم يعدل عن اللَّبن، فهو مفطور على إيثاره على ما سواه، وكذلك فِطرة الإسلام التي فطر الله عليها الناس.

٣ ـ تأويل البقر: ومن هذا تأويل البقر بأهل الدِّين والخير الذين بهم عمارة الأرض، كما أن البقر كذلك، مع عدم شرّها وكثرة خيرها وحاجة الأرض وأهلها إليها، ولهذا لمّا رأى النبي ﷺ بقراً تُنْحَر كان ذلك نحرًا في أصْحابه.

٤ ـ وتأويل الزّرع والحَرْث بالعمل؛ لأن العامل زرّاع للخير والشر، ولا بدّ أن يخرج له ما بَذَره كما يخرج للباذِر زرع ما بَذَره، فالدنيا مزرعة، والأعمال البَذْر، ويوم القيامة يوم طلوع البَذْر للباذِر وحصاده.

٥ ـ ومن ذلك تأويل الخشب المقطوع المُتساند بالمُنافقين، والجامع بينهما أن المنافق لا روح فيه ولا ظلّ ولا ثَمَر، فهو بمنزلة الخشب الذي هو كذلك، ولهذا شبّه الله تعالى المنافقين بالخُشُب المُسَنَّدة؛ لأنهم أجسام خالية عن الإيمان والخير، وفي كونها مُسَنَّدَةٌ نكتة أخرى، وهي أن الخشب إذا انتفع به جُعِل في سقف أو جدار أو غيرهما من مَظانّ الانتفاع، وما دام متروكاً فارغاً غير مُنتَفَع به جُعِلَ مُسنداً بعضه إلى بعض، فشبّه المنافقين بالخشب في الحالة التي لا يُنتَفَع فيها بها.

٦ ـ ومن قواعد التأويل التي ذكرها ابن القيِّم، تأويل النار بالفتنة لإفساد كلٍّ منهما ما يمرّ عليه ويتّصل به، فهذه تحرق الأثاث والمتاع والأبدان، وهذه تحرق القلوب والأديان والإيمان.

٧ ـ ومن ذلك تأويل النجوم في الرؤيا بالعلماء والأشراف، لحصول هداية أهل الأرض بكلٍّ منهما، ولارتفاع الأشراف بين الناس كارتفاع النجوم.

٨ ـ ومن ذلك تأويل الغيث[(١)] بالرحمة والعلم والقرآن والحكمة وصلاح حال النّاس.

٩ ـ ومن ذلك تأويل خروج الدم في الرؤيا يدلّ على خروج المال، والقدر المشترك أن قوام البدن بكلٍّ منهما أحدّ.

١٠ ـ ومن ذلك الحَدَث في التأويل يدل على الحَدَث في الدِّين، فالحَدَث الأصغر ذنبٌ صغير والأكبر ذنبٌ كبير.

١١ ـ واليهودية والنصرانية في تأويل الأحلام والرؤى بِدعة في الدِّين، فاليهودية تدلّ على فساد القصد واتّباع غير الحق، والنصرانية تدلّ على فساد العلم والجهل والضلال.

١٢ ـ ومن ذلك تأويل الحديد وأنواع السلاح بأنه يدلّ على القوّة والنصر بحسب جوهر ذلك السلاح ومرتبته.

١٣ ـ وتُؤَوَّل الرائحة الطيّبة بأنها تدلّ على الثَّناء الحَسَن وطِيب القول والعمل، والرائحة الخبيثة بالعكس.

---

(١) المطر.

١٤ ـ أما الميزان فيدلّ على العدل.

١٥ ـ تأويل الجراد وألوان من الحيوانات:

ـ والجراد يدلّ على الجنود والعساكر الغوغاء الذين يموج بعضهم على بعض.

ـ والنّحل يدلّ على مَن يأكل طيّباً ويعمل صالحاً.

ـ والدّيك رجل عالي الهِمّة بعيد الصِّيت.

ـ والحيّة عدوّ أو صاحب بدعة يهلك بسُمّه.

ـ والحشرات أوغاد الناس، أي أحمقهم وأكثرهم دناءة وخِسّة.

ـ والخُلْد[1] رجل أعمى يتكفّف النّاس بالسؤال.

ـ والذئب رجل غشوم ظَلوم غادر فاجر.

ـ والثعلب رجل غادر مَكّار محتال مُراوِغ على الحق.

ـ والكلب عدوّ ضعيف كثير الصَّخَب والشّرّ في كلامه وسُبابه، أو رجل مُبتدِع مُتّبع هواه مُؤثِر له على دينه.

ـ والسّنّور العبد والخادم الذي يطوف على أهل الدار.

ـ والفأرة امرأة سوء فاسقة فاجِرة.

ـ والأسد رجل قاهر مُسلّط.

ـ والكبش الرجل المنيع المتبوع.

---

(١) وهو نوع أعمى من الجرذان، أو دابّة عمياء تعيش تحت الأرض.

ثانيهما: كيف تعبِّر الرؤيا؟

وإذا أردت أن تعبِّر وتؤوِّل الرؤيا وتفسِّرها فعليك أولًا أن تتحلّى بآداب الرؤيا كالصدق والطهارة كما ذكرناها في بداية هذا البحث. وللإجابة على سؤالنا: كيف تعبِّر الرؤيا؟ نودّ أن نضع بين يديك قواعد عامّة وكُلِّيات تساعدك في تعبير وتفسير الرؤيا وهي كما يلي:

١ ـ ما كان «وعاء للماء» فهو دالّ على الأثاث.

٢ ـ ما كان «وعاء للمال» كالصندوق أو «الخزنة» والكيس والجراب فهو دالّ على القلب.

٣ ـ كل «ممزوج من بعضه البعض ومختلط» فدالّ على الاشتراك والتعاون والنكاح.

٤ ـ وكل «سقوط وخرور» من علو إلى أسفل فمذموم.

٥ ـ وكل «صعود وارتفاع» فمحمود إذا لم يجاوز العادة وكان ممَّن يليق به.

٦ ـ وكل ما «أحرقته النار» فجائحة وليس يُرجَى صلاحه ولا حياته.

٧ ـ وكذلك «ما انكسر من الأوعية التي لا ينشعب مثلها».

٨ ـ وكل ما خُطِفَ وسُرِقَ بحيث لا يُرَى خاطفه ولا سارقه فإنه ضائع لا يُرجى.

٩ ـ وما عُرِفَ خاطفه وسارقه أو مكانه أو لم يغب عن عين صاحبه فإنه يُرجَى عَوْده.

١٠ ـ وكلّ زيادة محمودة في الجسم، والقامة، واللسان، والذَّكر، واللّحية، واليد، والرِّجْل، فزيادة خير.

١١ ـ وكلّ زيادة متجاوزة للحدّ في ذلك فمذمومة وشرّ فضيحة.

١٢ ـ وكلّ ما يُرَى من اللِّباس في غير موضعه المُختصّ به فمكروه؛ كالعمامة في الرِّجْل، والخُفّ في الرأس، والعقد في اللسان.

١٣ ـ وكلّ مَن استقضِيَ، أو استُخْلِفَ، أو أُقِرَّ، أو اسْتُوزِرَ، أو خطب ممّن لا يليق به ذلك بلاءٌ من الدنيا وشرّاً وفضيحة وشُهْرة قبيحة.

١٤ ـ وكلّ ما كان مكروهاً من الملابس فخُلُقُه أهون على لابسه من جديده.

١٥ ـ والجوز مال مكنوز، فإن تنقع كان قبيحاً وشرّاً.

١٦ ـ ومَن صار له ريش أو جناح صار له مال، فإن طار سافر.

١٧ ـ وخروج المريض من داره ساكتاً يدلّ على موته، ومتكلِّماً يدلّ على حياته.

١٨ ـ والخروج من الأبواب الضيِّقة يدلّ على النجاة والسلامة من شرٍّ وضِيق هو فيه، وعلى توبة، ولا سيّما إذا كان الخروج إلى فضاءٍ وسِعَة، فهو خير خالص.

١٩ ـ والسفر والتنقّل من مكان إلى مكان انتقال من حال إلى حال بحسب حال المكانين.

٢٠ ـ ومَن عاد في المنام إلى حالٍ كان فيها في اليقظة عاد إليه ما فارقه من خير أو شرّ.

٢١ ـ وموت الرجل ربما يدلّ على توبته ورجوعه إلى الله؛ لأن الموت رجوع إلى الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعَام: الآية ٦٢].

٢٢ ـ والمرهون مأسور بدَيْن وبحقّ عليه لله أو لعبيده.

٢٣ ـ ووداع المريض أهله أو توديعهم دالٌّ على موته.

قواعد التأويل والتعبير للرؤيا في القرآن الكريم

وقد ذهب الإمام ابن القيِّم مذهباً طيّباً عندما ذكر أن أمثال القرآن كلها أُصول وقواعد لعلم التعبير (للرؤيا) لمَن أحسَنَ الاستدلال بها، وكذلك مَن فَهِمَ القرآن فإنه يعبِّر به الرؤيا أحسن تعبير، وأُصول التعبير الصحيحة أُخِذَت من مشكاة القرآن ـ ومن ذلك:

١ ـ السفينة تُعبَّر وتُؤَوَّل بالنجاة، لقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العَنكبوت: الآية ١٥]، وتُعبَّر بالتجارة.

٢ ـ والحجارة بقسوة القلب لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٤] .

٣ ـ والخشب بالمنافقين ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنَافِقون: الآية ٤].

٤ ـ والبيض بالنساء ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٤٩].

٥ ـ وشُرْبُ الماء بالفتنة.

٦ ـ وأكل لحم الرجل بغِيبَته ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٢].

٧ ـ والمفاتيح بالكَسْب والخزائن والأموال.

٨ ـ والفتح يُعَبَّر بالدّعاء، ومرّة بالنصر ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفَتْح: الآية ١].

٩ ـ وكالملك يُرى في مَحَلَّة لا عادة له بدخولها، يُعَبَّر بإذلال أهلها وفسادها.

١٠ ـ والحبل يُعَبَّر بالعهد والحق والعضد ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣].

١١ ـ والنُّعاس قد يُعَبَّر ويؤوَّل بالأمْن لقوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنفال: الآية ١١].

١٢ ـ والبَقْل والبصل والثّوم والعدس يُعَبَّر لمَن أخذه بأنه قد استبدل شيئاً أدنى بما هو خير منه من مال أو رزق أو علم أو زوجة أو دار.

١٣ ـ والمرض يُعَبَّرُ ويُؤَوَّل بالنِّفاق والشك وشهوة الرّياء.

١٤ ـ والطفل الرضيع يُعَبَّر بالعدو، لقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القَصَص: الآية ٨].

١٥ ـ والنكاح بالبناء.

١٦ ـ والرّماد بالعمل الباطل، لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: الآية ١٨].

١٧ ـ والنور يُعَبَّر بالهدىٰ، والظلمة بالضلال، ومن هنا قال عمر بن الخطاب لحابس بن سعد الطائي وقد ولّاه القضاء، فقال له:

ـ يا أمير المؤمنين، إني رأيت الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم بينهما نصفين.

فقال عمر: مع أيّهما كنت؟

قال: مع القمر على الشمس.

قال: كنت مع الآية المَمحُوَّة، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: الآية ١٢].

وأضاف عمر: اذهب فلست تعمل لي عملًا، ولا تُقتَل إلا في لَبْسٍ من الأمر... فقُتِلَ يوم صفّين.

وقيل لعابر: رأيت الشمس والقمر دخلا في جوفي.

فقال: تموت. واحتجّ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: الآيات ٧ - ١٠].

وقال رجل لابن سيرين: رأيت معي أربعة أرغفة خبز، فطلعت الشمس.

فقال ابن سيرين للرجل: تموت بعد أربعة أيام. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: الآيتان ٤٥، ٤٦]، وأُخِذَ هذا التأويل أنه حمل رزقه أربعة أيام.

١٨ ـ وقال رجل آخر لابن سيرين: رأيت كيساً مملوءاً أَرَضَة.

فقال: أنت ميت... ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبأ: الآية ١٤].

١٩ ـ والنخلة تدلّ على الرجل المسلم وعلى الكلمة الطيّبة.

٢٠ ـ والحنظلة تدلّ على ضدّ ذلك.

٢١ ـ والكتاب قوّة فمَن رأى بيده كتاباً نال قوة لقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريَم: الآية ١٢].

والكتاب مشهور إذا كان منشوراً، وإن كان مختوماً فخبر مستور، وإن كان في يد غلام، فإنه بشارة.

ومَن رأى في يده كتباً مَطويَّة، فإنه يموت قريباً لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤].

ومَن أخذ كتاباً من إنسان بيمينه فإنه أخذ أكرم شيء عليه لقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥﴾ [الحَاقَّة: الآية ٤٥][1].

٢٢ ـ والصّنم يدلّ على العبد السوء الذي لا ينفع.

٢٣ ـ والبستان يدلّ على العمل، واحتراقه يدلّ على هبوطه.

٢٤ ـ ومَن رأى أنه ينقُض غَزْلًا أو ثوباً لعبيده مرة ثانية، فإنه ينقُض عهداً وينكثه.

٢٥ ـ والمشي سويّاً في طريق مستقيم يدلّ على استقامته على الصِّراط المستقيم.

٢٦ ـ وإذا عرضت له طريقان ذات يمين وذات شمال فسَلَكَ أحدهما فإنه من أهلها.

٢٧ ـ وظهور عورة الإنسان له ذنب يرتكبه ويفتضح به.

---

(١) انظر منتخب الكلام في تفسير الأحلام لابن سيرين.

٢٨ ـ وهروبه وفراره من شيء نجاة وظفر.

ونواصل الأمثلة والقواعد من خلال مُنتَخَب ابن سيرين رحمه الله فيقول:

٢٩ ـ القميص: وقميص الرجل شأنه في مكسبه ومعيشته ودينه، فكلّ ما رآه فيه من زيادة أو نقصان فهو في ذلك.

وقيل: القميص بشارة لقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا﴾ [يوسف: الآية ٩٣].

وقيل: هو للرجل امرأة وللمرأة زوج، لقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧].

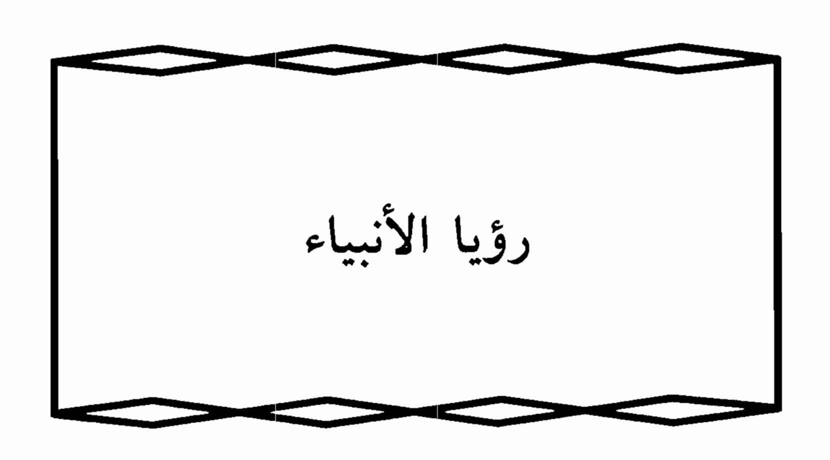
٣٠ ـ القمر: القمر في الأصل وزير الملك الأعظم، أو سلطان دون الملك الأعظم، والنجوم حوله جنوده ومنازله ومساكنه أو زوجاته وجواريه، وربما دلّ على العالِم أو الفَقيه وكلّ ما يُهدَى به من الأدلّة، لأنه يهدي في الظلمات.

ويدلّ القمر على الولد والزوج والسيّد، وعلى الزوج وابنه لجماله ونوره، يشبّه به ذو الجمال من النساء والرِّجال.

ومَن رأى القمر عنده أو في حجره، أو في يده، تزوّج زوجاً بقدر صفوته ونوره رجلًا كان أو امرأة.

رأت عائشة رضي الله عنها ثلاثة أقمار سقطت في حُجرتها، فقصَّت رؤياها على أبيها رضي الله عنه، فقال لها: إن صدقت رؤياك يُدفَن في حجرتك ثلاثة هم خير أهل الأرض (محمد ﷺ، وعمر وأبي بكر).

٣١ ـ القصر: وعن القصر تحدّث ابن سيرين فقال: القصر للفاسق سجن وضيق ونقص، وللمستور جاه ورِفعة أمر وقضاء دَين، وإذا رآه من بعيد فهو مُلْك، والقصر رجل صاحب ديانة وورع فمَن رأى أنّه دخل قصراً فإنه يصير إلى سلطان كبير ويَحسُن دينه ويصير إلى خير كثير، لقوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفُرقان: الآية ١٠] .



رؤيا الأنبياء

١ ـ رؤيا إبراهيم عليه السلام

جاءت رؤيا إبراهيم عليه السلام في الآيات الكريمات في قوله عزّ وجلّ:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: الآيات ٩٩ - ١١٢].

تُرى مَن هو الغلام؟ وما قصة ذبحه؟ وكيف صدقت الرؤيا؟ كل هذه الأسئلة سنُجيب عليها من خلال تتبّعنا لحقبة صغيرة من حياة إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليهما السلام.

رحلة إلى مصر

حاجّ قوم إبراهيم عليه السلام في ذلك الذي جاءهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، ودعاهم إليه، عساهُ أن يرجع إلى عقيدتهم أو يرتدّ عن ادّعائه إشراكهم، فقال: أتحاجُّوني في الله وقد هداني إلى الطريق المستقيم وأرشدني إلى الطريق القويم.

لقد خوّفوه بطش آلهتهم!! وحذّروه أن تصيبه بسوء، أو تُلْحِق به أذى إذا انحرف عن عبادتها، وعدل عن الخضوع لها، ولكنه لم يستمع إلى نُصحهم ولم يستجِب إلى دعائهم!!.

وتعجّب إبراهيم عليه السلام أن يُخوِّفوه شيئاً مأمونَ الجانب، ولا يملك ضرًّا ولا نفعاً، وهم لا يخافون إشراكهم بالله ما لم يُنَزِّل به عليهم سُلطاناً، وقد كان عليهم أن يَحذروا الله ويخافوا عقابه، فقد ارتكبوا إثماً كبيراً، واقترفوا ذنباً عظيماً، فجزاؤهم ـ إذا استمروا على كفرهم ـ جهنَّم وبئس المصير.

ولمّا عمّ القحط، وشمل الجدبُ والغلاء، وضاقت سُبُلُ العيش في الشام رحل إبراهيم عليه السلام إلى مصر، تصحبه زوجه سارّة، وهبط أرضها حين كان القابض على زمامها والمُسَيطر على أُمورها أحد ملوك العرب العماليق، الذين استبدّوا بالمُلْك رَدحاً من الدهر.

وكانت سارة ذات جمال باهر، فوَشَى بها أحدُ بِطانة السُّوء إلى الملك، وأغراه بجمالها، وزيَّن له حُسْنها، وحبَّبَ إليه الاستحواذ

عليها، فصادفت هذه المقالة رغبة في نفسه، وهوًى في فؤاده، فدعا إبراهيم إليه، وسأله عمّا يربطهما من سبب، وما يصل بينهما من قرابة.

ففطن إبراهيم إلى مأربه، وعرف مقصَدَه، وخاف إن أخبره أنّها زوجته بيَّت الشّرَّ له، وعَمِلَ على الإيقاع به، لتخلُصَ له من دونه، ويستأثر بها من بعده.

فقال له: هي أُختي ـ والأُخت كما تكون في النسب تكون في الدين واللغة والإنسانية ـ.

فهم الملك أنها ليست بذات بَعْل، فأمر أن يذهبوا بها إلى قصره، ويسوقوها إلى مخدعه، ورجع إبراهيم إلى زوجته، فأخبرها بقصته، وطلب إليها أن تكون مصدِّقة لقوله، مؤكِّدة لخبره، ثم أسلَمَها لعين الله تحرسها، وعناية الله ترعاها وتحفظها.

أُدْخِلَت إلى قصرِهِ، وزُيِّنَتْ بفاخِر الثياب وثمين الحُلِيّ، ولكنها لم تعبَأ بهذا الزّخرف البرّاق، ولا بذاك البَذخ الخلّاب، ولم تعنَ بما أُحيطت به من نعمة، وما رأت من سعَة السلطان وبسطَة العيش، ولم يُنْسِها كل ذلك الوفاء لزوجها والاستمساك بدينها، وجلست مكتئبة حزينة، بل انتبذت مكاناً قَصِيًّا.

ولمّا أقبل الملك عليها، ورأى ما بها من لوعة وأسى، حاول أن يخفِّف من حُزنها، ويُؤنس وحشتها، ويُزيل اكتئابها، فجفلت، وانقلب يحسّ اضطراباً في نفسه، ورجيفاً في قلبه، وأراد أن يُعيد الكَرَّة، فعاد إليه اضطرابه وعاوده انقلابه وانتكاسه، فأوجس خِيفة منها، وآوى إلى فراشه، وغطّ في نومه، ورأى رؤيا استبان بها وجه الحقّ، وتبيَّن منها

سبيل الرّشد، وعَرَف أن لها زوجاً، وأن عليه أنْ يُخلي سبيلها، ويتركها وشأنها، وألّا يمسّها بسوءٍ، أو يقربها بإثم.

فلما أفاق من نومه رأى أن لا مَناص من إطلاق سراحها، فوهبها هاجر خادماً لها، وأسلمها إلى زوجها.

فهل ترى محنة أشدّ، وفتنة أعظم من ذلك؟ فإبراهيم رجل غريب يَفِد إلى بلد يسعى لجَلْب الرزق، فتُسلَب منه زوجه، ويُفَرَّق بينه وبين أهله، ولكن الذي نجَّى إبراهيم من حَرِّ النار وسعيرها، حَفِظَهُ من وصمَة العار، ونجّاه من الظلم والعدوان.

أقام إبراهيم بمصر ما شاء الله أن يقيم، وكان وادِعَ النفس، دَيثِ الخُلُق، ليِّن العريكة، سهل الانقياد، طويل البال، دؤوباً على العمل، لذلك كَثُرَ ماله ونَمَت أنعامُه، وارتفع ذِكْرُه، ولكن القوم حسدُوه على مكانته، ونقموا عليه سعَة نعمته، وسوَّلت لهم نفوسهم أن تمتدّ أيديهم إليه بالأذى، وأحسَّ منهم إبراهيم جفوة، فعزم على الرحيل عنهم، وجعل وجهته فلسطين، تلك الأرض المقدسة التي اتّخذها قبلُ موطِناً، وأقام فيها زمناً، فانطلق حتى وصل إلى هناك.

عاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين، ومعه زوجهُ سارّة، وخادمتها هاجر، واستاقوا معهم أنعامَهم، واحتملوا ما يملكون من مالٍ كثير، وخير وفير، وأقام بين أهله وذَويه، وعشيرته ومُريديه ومُحِبِّيه مِمَّن آمَنَ به وبدعوته.

كانت سارَّةُ عقيماً لا تَلِد، وكان يُحْزنها أن ترى بَعْلَها الوفيّ يتطلّع إلى النَّسل، وقد أصبحت هي على حالٍ لا يُرجَى فيها الولْد، فقد بلغت من الكِبَرِ عِتيًا، فأشارت على زوجها أن يدخل بخادمتها وأُختها هاجر،

وهي الوفيّة الكريمة، المُطيعة الأمينة، علّها تُنجِب ولداً تُشرِقُ به حياتهما، ويُسَرِّي عنهما بعض ما يجدان من لوعة الوحدة، ومرارة الوَحشَة، فانصاع لرأيها، وخضع لإشارتها.

فلما وهَبَتْه إيّاها أنجبت غلاماً ذكيًّا، هو إسماعيل، فانتعشت نفس إبراهيم، وقَرَّت عينه، ولعلّ سارّة قد شاركت إبراهيم في سروره، وشايعته زمناً في بهجته، ولكن الغيرَة لم تلبث أن دبَّت إلى قلبها، بل عَصَفَت بها أعاصير شديدة من الحزن والشَّجَن، أثارهما قلقُها واضطرابُها، فَحُرِمَت الهدوء والجوع، وتشعّب لُبُّها، وعقدت عليها الكآبة كأنها سحابة مُطبِقَة، وأصبحت لا تطيق النظر إلى الغلام ولا تحتمل رؤية هاجر.

فأذعنَ إبراهيم عليه السلام لإرادتها، وكأن الله أوْحى إليه أن يُطيع أمرها، ويستجيب إلى رجائها، فركب دابّته، واصطحب طفله إسماعيل وأُمه هاجر، وسار ترشده إرادة الله عزّ وجلّ، وتحدوه عنايته، وطال به السَّير، وامتدَّ الطريق، حتى وقف عند مكان البيت، فأنزل هاجر وطفلها في هذا المكان الخالي من كلّ شيء، وتركهما في تلك البقعة الجَرداء، وهما ضعيفان لا يملكان شيئاً، سوى وِعاء به قليل من الطعام، وسِقاء فيه شيء من الماء، فضلًا عن الإيمان الذي يعمر قلبهما، ويغمر نفسهما.

ترك إبراهيم الدّيار، واستودع هاجر وابنها الرّضيع إسماعيل في هذا المكان، وقفل راجعاً، فتبعته أُمُّ إسماعيل وتعلّقت به، وأمسكت بثوبه، وقبضت على خِطام دابّته، وقالت: يا إبراهيم، إلى أين تذهب؟ ولمَن تتركنا بهذا الوادي المُوحِش المُقْفِر الخالي.

حاولت هاجر أن تستعطفه وتسترضيه، ولعلّها قد أشارت إلى ابنها تسترحمه بحقه، وتتوسّل إليه بفلذة كبده، وترجوه ألّا يخلّيَ بينهما وبين الجوع القاتل، والعطش المُميت.

لكن إبراهيم عليه السلام لم يستمع إلى قولها، ولم تَلِن نفسه لرجائها، بل أبانَ لها أن ذلك أمر الله وتلك إشارته، فلا بُدَّ لها من الخضوع لحُكمه، والتسليم لأمرِهِ! فلمّا علِمت بذلك كفَّت عن حِوارِهِ، واستسلمت لأمر الله، ورَكَنَت إلى رحمته، قالت: لن يُضيِّعنا.

أما إبراهيم عليه السلام فإنّه انحدر من تلك الرَّبوة يُثقِلُه الإشفاق والخوف، ويدفعه الإيمان والثقة بالله، ولا شكّ أنّه الآن يتحسَّر جَوًى ولوعة، لبُعاد فلذَة كبده، هذا ما نعرفه عن وجدان النفس البشرية ومشاعرها. أما عن موقفه هذا فإنه مشيئة من الله انصرفت، وحِكمَة من الخالق أُوتيت فيها على السطح البلاء، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن يستسلم للقضاء، لذلك سار إلى وطنه، وخلَّف وراءه وحيدَهُ في تلك البقعة النّائية، وهو يدعو الله أن يحفظه بعنايته ورعايته، وجعل يدعو ربّه ويقول: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: الآية ٣٧].

رضيت هاجر وامتثلت لقضاء الله المحتوم، وتحلّت بالصبر الجميل، ومكثت تأكل من الزّاد، وتشرب من الماء حتى نَفِدا، فخَوَى بطنها، وجفّ ريقُها ويبس واحتملت ذلك صابرة، ولم تلبَث أن جفَّ ضَرْعُها، وأصبحت لا تجد لبناً تُرضِعُهُ الطفل، أو ماء يَبُلّ صداه، وثقلت عليه وطأة الجوع والعطش، فبكى وانتحب وصرخ وأعْوَل، وأُمّه

تتقطع نَفْسُها حَسَراتٍ، ودموعها تَنْهل غزيرات، ووَدَّت لو استطاعت أن تروي ظمأه بدموعها، وأن تَرُدَّ عنه غائِلَة العطش بماء عَيْنِها.

حاولت هاجر أن تجد حلاً لمشكلتها أو مخرجاً من مأزقها، ولكن لا حِيلة أمامها، سوى أنها تركت ابنها، وسارت هائمة على وجهها، تعدو هنا وتُهَرول هناك، وكلما عَلَا بكاء ابنها ـ جَدَّت في السّعي بين جبل الصفا والمروة، وكلما جاءت ابنها لم تجد عنده شيئاً، ثم سَعَت بين الصّفا والمروة مَشْياً وهرولةً فلم تجد شيئاً، ورجعت مرة أخرى وظلّت تسعى سَعْيَ المجتهد سبعة أشواط والطفل يصيح ويَصْخب، يُقطِّع بصوته نِياط قَلْبها، ويحزّ بعويلِهِ في أعماق فؤادها.

رُحماكَ يا ربّ! هذا طفل جفَّ حَلْقَهُ حتى عَيَّ عن البكاء وضَعُفَ، وانقطع عن الغذاء حتى خارَت قواه، وخَفَت أنفاسه! وهذه أُمٌّ ترى وحيدَها يُسلِم روحه ويجود بنفسه، وهي لا تجد لها مُعِيناً في وَحدتها ولا سَلوة في مُصابها! إنَّه الآن يحفر الأرض برِجلَيه، ويضرب الصخرة العريضة المَلساء بقدميه، علّه يرقّ لحاله إذا قَسَت القلوب، ويَلين لاستعطافه إذا عزَّ النَّصير، وها هو ذا يضرب ويضرب، فإذا الماء قد اندفع من تحت قدميه، وثار من قرع رِجليه، ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٤]!.

رأت هاجر رحمة الله تحُوطُها، وعناية ربّها تُظِلُّها، فجلست خائرة القوى، يقطر العرق من جبينها، وأكبّت على الطفل مُتَلهِّفة، تروي ظَمأه، وتُبَلِّل بالماء شفتيه، فسرَّها أن ترى الحياة تدبّ في جسمه، فربتَت عليه وضمّته إلى صدرها، حتى اطمأنّت على ولِيدِها، وعادت الثقة والاطمئنان إلى هاجر، فارتوت هي أيضاً، فسَرَت فيها الحياة،

وتدفّق اللّبن من رِضاعها، وذهب عنها همّها وحُزنها. وذلك بفضل الله ورحمته، وعنايته، ورعايته.

هذه العين التي تفجّرت هي نفسها زمزم التي ما تزال قائمة يتزاحم عليها الحَجيج ويستَبِق النّاس إلى حوضِها، علّهم يفوزون بشربة واحدة.

ولمّا نَبَعَ الماء، اجتذب الطير إليه، فحوّمت حوله، وحلّقت فوقه، وكان قوم جُرهُم ـ وهي قبيلة يمانية ـ، كانت تسير قرب هذا المكان، فرأوا الطير تحطّ في ساحة البئر، بئر زمزم، وتحوم فوقه، وإنهم ليعرفون أن الأطيار لا تقع إلّا على الماء، فأرسلوا وارِدَهم يرتاد المكان، ويخبرهم بخبره، ولمّا ذُهب إليه وجد الماء فرجع يزفّ إلى قومه بُشرى وجود ماء في هذا المكان المُقفِر المُوحِش، فوفدوا إليه زُرافاتٍ ووحداناً، واتخذه بعضهم موطناً ومقاماً، فأنِسَت هاجر بهم، واطمأنت إلى جِوارهم، وشكرت لله أن جعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم.

الـرّؤيـا:

ومرّت الأيام، ولم يَنْسَ إبراهيم ابنه، بل كان يَفِد إليه لماماً، ويزوره أحياناً، ليطمئن على حاله، ويقرّ عيناه بمرآه، فلما كَبِرَ وشبّ وأصبح يتحمّل السَّعي والعمل، رأى إبراهيم في نومه أنّه يُؤمَر بذبح ولده ـ ورؤيا الأنبياء حق، وأحلامهم صدق.

كان ابتلاءٌ ما بعده ابتلاء، ومِحنَة ما سبقتها مِحنة، فهذا الشيخ العجوز الذي جالَدَ الأيام، وعَرَكَ الدّهر، وأحنته السُّنون، كان طول حياته يأمَل الولد، حتى إذا بلغ من الكِبَرِ عِتيًّا رزقه الله بغلام وحيد، قَرَّتْ به عينه، وأشرقت له نفسه، ثم أُمِرَ بأن يُسكِنه بوادٍ غير ذي زرع، ويتركه وأُمّه في مكانٍ قَفر، ليس فيه جَليس ولا أنيس.

رغم كلّ هذا امتَثَلَ إبراهيم لأمر الله، وترك إبراهيم عليه السلام زوجُه هاجر وابنه إسماعيل هناك ثقةً بالله، وإماناً به، وإطاعة لأمره، فجعل الله لهما من ضِيقهما فرجاً ومخرجاً، ورزقهما من حيث لا يحتسبان، ثم يُؤمَر بذبح هذا الولد العزيز، الذي هو بِكرُهُ ووحيده! إن هذه لمِحنة تَنوء بها الجبال الرّاسيات، ولكن هذه المِحَن كفؤها الأنبياء مثل إبراهيم عليه السلام، فعلى قدر إيمانه عليه السلام، وعلوّ منزلته ورِفعَة مكانه، وعلى مِقدار ثَبات يقينه، وكَمال إيمانه يكون ابتلاؤه واختباره.

استجاب إبراهيم لربّه، وامتَثَلَ لأمره، وسارَعَ إلى طاعته، وارتحل حتى لَقِيَ ابنه. ولم يلبث أن فاتَحه بتلك الرّغبة التي تهتزّ لها المشاعر، وتُدَكّ الجبال، وتنزع القلوب من الصدور، قال إبراهيم: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: الآية ١٠٢].

عَرَضَ إبراهيم عليه السلام الأمر على ابنه إسماعيل عليهما السلام، ليكون ذلك أطيب لقلبه، وأهون عليه من أن يأخذه قَسْراً ـ على كراهية منه ـ ويذبحه قهراً، فبادر الغلام بالطاعة، وأسرع إلى الإجابة فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: الآية ١٠٢].

هذا بِرٌّ عظيم من الابن والأب، وتوفيق أعظم لهما عليهما السلام، وإيمان وثيق، ونفسٌ راضيةٌ بما أراد الله وقدّر.

ثم أراد إسماعيل أن يُخفِّف عن أبيه لوعة فَقْد الحبيب، ويرشده إلى أقرب السُّبُل إلى قصده، فقال: يا أبت اشدُد وَثاقي، وأحكِم رِباطي حتى لا أضطرب، واكشِف عن ثيابي حتى لا ينتَضِح عليها شيء من

دمي، فينقص أجْري، وتراه أُمي، فيشتدّ حُزنها، وتفيض دموعها، فاشحذ سكّينك، وأسرع في إمرارها على حَلْقي ليكون أهون عليَّ، فإن الموت شديد ووقعه أليم، واقرأ على أمّي السلام، وإن أردت أن ترُدَّ قميصي عليها فافعل، فإن ذلك فيه تَسْرِيَة لها وسَلْوةٌ في مُصابها، وهو ذكرى لوَليدها، تَشُمُّ منه عَبيره، وتتنسَّم فيه أريجه، وتعود إليه حين تبحث حولها فلا تجدني، وتفتّش عَنّي فلا تراني.

قال إبراهيم: نِعْمَ العَون أنت يا بُنيَّ على أمر الله! ثم أسلم إبراهيم ابنه فطرحه على شِقِّهِ، وأوثقه بكَتافه، وأمسك السكّين، وأخذ يصوِّب النظر إليه مرّة، ويحدِّق في ابنه مرّةً أُخرى، ثم تدفّقت عَبَراته وتتابعت زفراته رحمة به، وإشفاقاً عليه، وأخيراً وضع السكّين على حَلْقه، وأمرّها فوق عُنقه، ولكنها لم تقطع؛ لأن قُدرة الله قد أوقفت هذا الفِعْل.

فقال إسماعيل: يا أبت، كُبَّني على وَجْهي، فإنّك إذا نظرتَ إليَّ أدركتك رحمة بي، تَحُول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثم وضع السكّين على قفاه، فلم تَمْضِ الشَّفرة، وأدركت إبراهيم الحيرة، وشقّ ذلك على نفسه، فتوجّه إلى أن يجعل له مخرجًا، فرَحِمَ ضعفه واستجاب لدعائه، وكشف غُمَّتهُ ونُودِيَ: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات: الآيتان ١٠٤، ١٠٥].

نعم لقد صدقت الرؤيا، فاستبشر إبراهيم وإسماعيل بالفوز.

نعم لقد صدقت الرؤيا، فاغتبط إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام بالنجاة.

نعم لقد صدقت الرؤيا، ودُفِعَ البلاء، وكُشِفَت الغُمَّة عن إبراهيم.

نعم لقد صدقت الرؤيا، فنال إبراهيم وإسماعيل جزيل الثواب وخير الجزاء.

نعم لقد صدقت الرؤيا، لأن رؤيا الأنبياء حق.

٢ ـ رؤيا يوسف عليه السلام

قال تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)﴾ [يوسف: الآيات ٤ - ٦].

الرؤيا الأُم وأحداث طويلة

هذه الرؤيا وقع تأويلها وتعبيرها بعد أربعين سنة ـ في خلال هذه السنوات الطويلة حدثت أحداث كثيرة ورأى الناس رُؤى كثيرة كلها اتصلت بيوسف عليه السلام، وتُعَدُّ هذه الرؤيا هي الرؤية الأُم التي بُنِيَت عليها أحداث كثيرة في قصة يوسف، وكان لا بدّ أن نشطر الرؤيا الأُم عن الرؤى الأخرى في سورة يوسف، وقد ذكر القرآن تأويل هذه الرؤيا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ﴾ [يوسف: الآيتان ٩٩، ١٠٠].

أشرقت الشمس وبسطت أشعّتها على الوجود، وهبّ يوسف من نومه على رؤيا عذبة جميلة، وحُلمٌ رائع فيه أمر عجيب، وما إن أفاق

من النوم وتَبِعاته حتى أسرع إلى أبيه مُشرِق الوجه، ضاحِك السِّنِّ، مُنبَسِط الأسارير. تُرى ماذا قال لأبيه:

قال يوسف: يا أبتِ لقد رأيتُ رؤيا بعثت في نفسي السرور: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: الآية ٤].

استقبل يعقوب حديث ابنه الصغير الأثير إلى نفسه استقبالًا جميلًا، فتهلّل وجهه وأشرقَ جبينه، ووضح البُشْر بين عينيه، وقال: يا بُني، إنّها رؤيا صادقة، تُظاهِرُ ما توسّمته فيك من فَضْل، وما رَجَوته لك من خير، إنها بُشرىٰ بما سيخُصّك به الله من علم، وما سَيَحْبُوك به من نعمة يُتِمُّها عليك، كما أتمّها على أبويك إبراهيم وإسحٰق من قبلُ، ولكن لا تقصُص رؤياك على إخوتك، فقد عرفتَ غيرتهم مما أخصّك به وأخاك من رعاية، وأُوثركُما به من إعزاز، هم اليوم حديثهم عنكما هَمْهمة، وذِكرُكُما على ألسنتهم تعريض، ولو أنّكَ حَدَّثتهم برُؤياك لا تأمَن أن تَشغَل حقدهم، وتُثير كامِن كراهتهم، فيدبِّرُوا لك كيداً، أو ينصبوا لك حبائِل المكروه، وما أسرع أن يشدّ الشيطان أزْرَهم.

ولكي لا ندخل في الأحداث الطويلة لقصة يوسف فإننا نُوجِز أحداثها إلى أن نَصِل إلى تأويل الرّؤيا:

ـ كادَ إخوة يوسف لأخيهم وطلبوا من أبيهم أن يذهب معهم للّعب، فحذّرهم أبوهم من الذئب وأرسله معهم فألقوه في البئر، وقالوا لأبيهم: أكله الذئب، ووضعوا على قميصه دم كاذب.

ـ مرّ بالبئر تجّار عابِري طريق فانتشلوا يوسف وباعوه إلى العزيز ـ عزيز مصر ـ، فأخذه وربّاه في منزله إلى أن كَبِرَ واشتدّ عُوده.

- راودَته امرأة العزيز عن نفسه واتّهمته ظُلماً، ودَعَت النساء فيما تكلّمن عنها وقلن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: الآية ٣٠]، فنصحوا يوسف بأن يستجيب لسيّدته، فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٣].

- دخل يوسف السجن وجاءه فتيان برؤيا يعبِّرها لهما فعبَّرها[١]، وأوصى ساقي الملك وهو أحد الفتيان بأن يذكره عنده فنسي الساقي سبع سنوات مكثها يوسف في السجن.

- رأى الملك رؤيا[٢] وطلب تعبيرها من حاشيته، فتذكّر السّاقي ودلّه على يوسف، فأرسله له فعبّر له الرؤيا، ولمّا أراد الملك إخراجه من السجن طلب براءته من حديث النسوة عنه وعن امرأة العزيز قبل أن يخرج من السجن ورفض الخروج من السجن.

- جمع الملك النّسوة وامرأة العزيز فبرّأت يوسف واعترفت أنها راودته عن نفسه.

- خرج يوسف من السجن وأصبح أميناً على خزائن مصر.

تأويل الرّؤيا وتعبيرها

بعد هذا الاختصار السريع لعناوين وأحداث قصة يوسف نأتي على نقطة البدء إلى تأويل الرؤيا وكان هذا التأويل هو نهاية القصة الطويلة الرائعة.

---

(١) ستأتي منفردة تحت عنوان رؤيا السجن.

(٢) سنأتي عليها في رؤيا الملك.

مكَّن الله ليوسف في الأرض، يتبوّأ منها حيث يشاء، وذلك أنَّ ملك مصر وَكَّلَ إليه التصرّف في مقاليد الحُكم، وفوَّض إليه إدارة المُلْك، بعد أن رأى مبلغ صلاحه، وطِيب نفسه وخُلقه، وكرم نفسه، ورسوخ أمانته، بما ظهر له من عفّته مع امرأة العزيز، ووفائه لزوجها، ونظافة يده في إدارة شؤون دارهما، ثم ما ظهر له من غزارة علمه، وهو يسأله عن تأويل الحُلم الذي رآه والذي عجز عن تفسيره حاشيته ورجاله وعلمائه.

وكان تعبير يوسف وتأويله لرؤيا الملك؛ هو ما سوف يُصيب البلاد من قَحْط وجَدْب سبع سنين متوالية، بعد سَبْعٍ كُلُّهُنَّ رخاءٌ؛ وما نَصَحَ باتخاذه إزاءَ ذلك من تدابير، أكْبَرَ حافِزٍ للملِكِ على أن يقلِّدَهُ ما قَلَّدَ، ويفوِّضه ما فوَّض.

وكان جواب يوسف عليه السلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٥].

وأصبح يوسف وزيراً على خزائن الأرض، فشَغَلَ هذا المنصب بجدارة ودِراية.

وكان كلّ ما يشغله بعد تولّيه هذا المنصب أن ارتحل إلى جميع بلاد مصر يتفقّد أحوالها ويهيِّيء ما يلزم لمقاومة الجَدْبِ المُنتَظَر والمتوقَّع كما جاء في رؤيا الملك. فأمر يوسف بإقامة المخازن الكبيرة لخزن الغلّات والحبوب فيها، وطاف على الزرّاع يرشدهم إلى ما يزرعون، وعلى العمّال يُبصِرهم بما يعملون. ومرّت سنوات الرّخاء سريعة، أنتجَت الأرض فيها طيباً وخيراً، وَزَّعَ منه على أفراد الشعب بحساب وقِسطاس، ثم حفظ ما تبقّى من المحصول، بما أعدَّ له من معدّات تحفظه من الفساد.

ولمّا جاءت السّبع سنوات المُجدبات، اشتد القَحْط في جميع أنحاء البلاد؛ وعمَّ مصر وغيرها من الأقطار القريبة منها، فكان المصريون يأتون من جميع أرجاء البلاد، ويقصدون إلى قصر الملك يلتمسون أقواتهم، ويستعجلون صَرْف نصيبهم من الغلّات المُدَّخَرَةِ. فيُحيلهم الملكُ على وزيره يوسف، وزير ماليته وتجارته وتموينه واقتصادِهِ، فيذهبون إليه، فيكيل لكل فرد من الغلّات حِمْل بعير.

ولمّا كانت أرض كنعان (فلسطين) أقرب البلاد إلى مصر، وكان قد عمّها القحط أيضاً، فقد ترامى إلى أهلها سياسة وزيرها، وعلموا أنّ بها طعاماً وغِلالاً، فكان يَفِدُ إليها منهم كلّ مَن استطاع إلى ذلك سَبيلًا، فيأخذ حاجته ثم يعود.

وكان ضمن مَن جاء من فلسطين لهذا الغرض إخْوَةُ يوسفَ، فقد أرسلهم أبوهم يعقوب ليَبتاعوا من خيرات مصر، بعد أن أعوزهم الغِذاء هناك وأعطاهم نقوداً من الفضةِ، وتجارة يتاجرون بها، وأرسل معهم الجِمال والحمير لحمل الطعام الذي يشترونه.

وجاء إخوة يوسف إلى مصر يمتارون، ما عدا أصغرهم بنيامين فقد أبقاه أبوه معه، وكان شقيقاً ليُوسُفَ.

فلمّا دخلوا مصر أَتَوْا إلى قصر يوسف ليحصلوا على نصيبهم من الغِلال، وكان يوسف يتصدّر مجلساً في رَحَبَةِ قصرِهِ، فيقصد إليه كلّ مَن أراد الشّراء، ويدفع له مما سيأخُذُ من الحبوبِ، فيأمُرُ يوسفَ عُمَّالَهُ وعبيدَهُ، فيَكيلون لكلّ فردِ نصيبَهُ. ودخل إخْوَةُ يوسُفَ على أخيهم.

ونظر يوسف إليهم، فتبيَّن من هيئتهم وثيابهم أنَّهم من بدو فلسطين؛ ونظر إلى وجوههم فعرف فيهم إخوته الغادِرِين، الذين ألْقَوه في الجُبِّ منذ سنين.

ومرّت الصّور في ذِهن يوسف متلاحقة، ونظر إلى إخوته، إنهم على حالهم ولباسهم، لم يتغيّر فيهم غير تقدّم السِّنِّ بهم، وما تركه من الأثر في تجاعيد وجوههم، واشتعال الشيب في لِحاهم وشُعورِهِم، وهو يوسف لَكَم تغيّر أيضاً وتبدّل، لقد تقدّمت به السّنّ مِثلَهُمْ، ولكن كم تغيّر منه المَلبَس؟ وتغيَّر منه المجلس والمقام؟.

فشتّان بين حالهم وحالِهِ، لذلك عرفهم من أول وهلة رغم مرور السنين، أمّا هم فلم يعرفوه ولن يخطر ببالهم أنَّ يوسف قد بلغ إلى هذا المقام فيعرفوه.

رأى يوسف أمامه إخوته العشرةَ لأبيه؛ أمّا بنيامين أخوه فلم يَرَه معهم، فتاقت نفسه إلى أن يَسْألهم عنهُ، وذابت روحُهُ حنيناً إلى معرفة أخبار والِدِهِ.

فلما تقدَّموا منه ليُعرِبوا له عن حاجتهم من الميرَةِ، تمالك نفسه، وغالب تأثّرهُ، وقال لهم بصوت عادي طبيعي، لا أثر فيه للعواطف التي تضطرب في نفسه:

مَن أنتم؟ ومن أين أتيتم؟ وما مقصدكم؟

قال كبيرُهم: نحن إخوة جئنا من فلسطين نَمتار من هٰهنا.

قال يوسف وهو يتصنَّع الدّهشة، ليستدرجهم إلى الكلام: أجميعكم إخوة وأبناء رَجُلٍ واحِدٍ، وأُمٍّ واحدةٍ؟؟

قالوا: نعم، نحن إخوة، أبناء رجل واحِدٍ، ولنا أخٌ آخَرُ لأبينا بقي إلى جانب أبيه.

قال، وكأنّه غير مُصَدِّقٍ لكلامِهم: ولماذا لم تُحضِروا معكم أخاكم ليَمتار لنفسه مثلكم؟!

قالوا: أيّها العزيز؛ ليس أمرُهُ بيدنا، ولكنه بيدِ أبينا.

قال: وهل مَنَعَهُ أبوكم من المجيء مَعَكُمْ؟

قالوا: نعم، فهو لا يطيق أن يفارقه لحظةً.

قال: ولماذا يختصّ أبوكم ابنه هذا بحبّه وإيثاره، ويُبقيه بجانبه؟!

قالوا: ليتسلّىٰ بقربه عَنْ أخٍ له فُقِدَ منذ زمن طويلٍ.

قال: لو جئتم به معكم لأعطيناه مثلكم حِمْلَ حَمَلٍ من الحبوب، وأمر يوسف عُمّاله وغُلمانه أن يملئوا أوعية إخوته قمحاً وأن يأخذوهم إلى قاعة الأضياف ليستريحوا فيها، وأن يقدِّموا إليهم خير ما عندهم من المأكَل والمَشْرَبِ.

فلما أتى الإخوة إلى يوسف لأَخذ أحمالِهِم استعداداً للرحيل، قال لهم يوسف: إذا ما عُدتم إلينا تستبضعون، فأْتوني بأخيكم من أبيكم، يستبضِع معكم.

قالوا: يا أيها العزيز، إنّ أبانا لا يسمح له بذلك.

قال: ولماذا؟! ألا تروني أني أُوفي الكَيل، وأنا خير المُضيفين؟! فإذا لم تأتوني به فلا كَيل لكم عندي ولا تَقربون.

قالوا: أيّها العزيز، سنبذل لدى أبينا جهدنا حتى نقنعه بإرساله معنا وهذا وَعْدٌ منّا لك لن ننساه، ولن نتوانى عن تحقيقه.

وقد أجمل القرآن الكريم هذا الحوار بين يوسف وإخوته في الآيات الكريمات من سورة يوسف، فقال تعالى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف: الآيات ٥٨ - ٦١].

وعندئذ أمر يوسف رجاله أن يضعوا في رِحال إخوتِهِ وأوعيتهم، في خُفية منهم، ما جاؤوا به معهم من بضاعةٍ ونقودٍ، وأنْ يجهِّزوهم بما يلزمهم في سفرهم، ويُعِدّوا لهم ما يحتاجون إليه في عودتهم.

كان يخشى ألّا يعودوا، فعلَّل نفسه باحتمال عودتهم إذا ما وجدوا بضاعتهم رُدَّت إليهم، وأمَّل في رجوعهم ليتعرّفوا السرَّ في ذلك، وهل هو كَرَمٌ من الوزير فيعودوا إليه ليشكرُوهُ، أم سَهْوٌ من رجاله فيُرجِعوا البضاعة ويعتذروا.

عاد إخوة يوسف إلى بلادهم، ورجعوا إلى أبيهم ومعهم أحمالهم، فقالوا لأبيهم بعد أنْ قصّوا عليه أنباء رحلتهم: يا أبانا؛ لقد أعْطَى عزيز مِصر كلّ واحِدٍ منّا من الغِلال كيل بعير.

قال يعقوب: بارَكَ الله له فيما لديه، وبارَكَ لكم فيما جئتم به.

قالوا: ولكنه مَنَعَ منّا الكيل بعد ذلك إذا لم نُحضِر معنا أخانا بنيامين ليَكتال معنا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٦٣].

قال يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: الآية ٦٤] إذ قلتم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ١١] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: الآية ١٢]، واضطُرَّ الإخوة إزاء ما رَأوْا من تحرّك أشجان أبيهم ـ فقد عاوَدَته ذكرى يوسف ـ إلى أن يلتزموا الصمت. ولكن ما كان أشدّ دهشتهم، وأعظم عجبهم عندما فتحوا أمتعتهم وأحمالهم التي أتوا بها من مصر، فإذا ببضاعتهم وفِضَّتهم على حالها لم تُمَسّ.

فقالوا: يا عجباً، هذه بضاعتنا رُدَّت إلَيْنا، ثم قالوا لأبيهم، وقد قويت عزائِمُهمْ:

يا أبانا؟ ما نبغي؟! هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا، لم تنقُص شيئاً، فأيّ إكرام نريد فوق هذا الإكرام؟! وأيُّ إحسانٍ نودُّ من عزيز مصر فوق ما أحسن؟

يا أبانا؟ اسمح لأخينا أن يذهب معنا، فنَميرُ أهلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد كَيْلَ بعيرٍ، وسكت يعقوب ولم يُجِب.

ألحّ أبناء يعقوب عليه السلام على أبيهم بعدما زاد القحط، واشتدت المجاعة، أن يرسل معهم إلى مصر أخاهم بنيامين، كي يعطيهم وزير مصر ما وعدهم إذا أحضروه معهم.

عندئذ قال لهم أبوهم: لن أُرسلَهُ معكم حتى تعطوني عهداً موثقاً بالقسم على أن تشملوه برعايتكم من صِعاب، إلَّا إذا غُلِبْتُم جميعاً على أمرِكُمْ، فقُتلتم دونه، أو أصابكم بلاءٌ أفناهُ وأفناكم.

فلما أعطاهُ أبْناؤهُ العَهْدَ الّذي اشترطه عليهم، وأقسموا له بالله أن يعملوا به، قال: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٦٦].

وتجهَّز الأبناءُ جميعاً، ومعهم بنيامينُ، بما يلزمهم لرحلتِهِمُ الجديدة إلى مصر، وأخذوا معهم ما يُوازي بضاعتهم السابقة التي رُدَّت إليهم.

ولمّا أزمعوا الرحيل أتوا لتوديع أبيهم قبل سفرهم فباركهم وزوَّدهم بنصائحه وإرشاداته، ثم قال لهم يُوصيهم: يا بَنِيَّ، إذا أتيتم مصر لا تدخلوا من باب واحد، وادخلوا من أبواب متفرّقةٍ، وما نصائحي ووصاياي بمانِعَةٍ عنكم شيئاً أراده الله، عليه توكّلت، وعليه فليتوكّلِ المتوكّلون.

ولمّا وصل أبناء يعقوب إلى مصر، دخلوا من حيث أمرهم أبوهم، دخلوا متفرّقين من عدّة أبواب سالِكين عدّة مسالك، وهم لا يعلَمون عِلّةَ ذلِكَ، ولا يعرفون حِكمَةَ أبيهم فيه، ولمّا دخلوا على يُوسُفَ قالوا له:

يا أيّها العزيز؛ لقد جئنا نَمتارُ لأهلنا، وأحضرنا معنا أخانا لأبينا كما أمرتنا، حتى لا تمنع منّا الكيل، وأحضرنا بضاعة نعتاض بها، كما أحضرنا عِوَضاً عن بضاعتنا في المرّة الأولى حيث وجدناها في أمتعتنا بعد أن رجعنا إلى بلادنا.

فقال يوسف لهم؛ وقد ابتهجت نفسه لحضور أخيه:

الآن ثبت عندي أنكم صادقون، وتحقّق لديَّ أنكم أُمَنَاءُ طاهرون، يجب علينا رعايتكم، والعناية بأمركم، وأن نُنزلكم علينا ضيوفاً مُكرَمين.

وأمر يوسف عليه السلام خَدَمَهُ أن يُعِدّوا وليمة الضيافة، وأن يجعلوا لكل مائِدةٍ مجلسَين. وأن يجعلوا له مجلساً مع بنيامين ضيفه الذي طلبَهُ ودَعاهُ، وأمَرَ عُمّالَهُ ورجالَهُ أن يكيلوا لهم الغِلال والحبوب، وأن يجعلوها في أوعيتهم.

فلما كان يوسف مع أخيه بنيامينَ على الطعامِ قال له: يا بنيامين! ألَا تعرُفني؟

قال بنيامين: باركك اللهُ أيُّها العزيزُ.

قال يوسف: أنا أخوك يوسف الذي فقدتموه منذ سنين.

ونظر بنيامين إلى وزير مصر مبهوتاً، يتعرَّف في قَسَماتِ وجهِهِ ملامح أخيه يوسف الذي كان يتفرّس فيه، ويُدقِّق النظر في وجهه، ألم تعرفني بَعْدُ؟!.

قال بنيامين مُتلعثماً خائفاً: حَقًّا، كأنَّك هُوَ أيُّها العزيز!.

قال يوسف وهو يضحك: نعم، إنّني أنا أخوك يوسُفُ، فلا تبتئس بما عمل إخوتي معي، إذ ألقوني في غيابَةِ الجُبِّ، وطالت عليكم غيبتي، فحسبني أبوكَ وآلُكَ من الهالكين.

فرح بنيامينُ فرحاً عظيماً، لأنه تأكد أن وزير مصر الجالس إليه يأكل معه، ما هو إلا يوسف الذي حَسِبُوهُ منذ زمن طويل في عداد الأموات، وقال لأخيه يوسف فَرِحاً: أحمد الله على سلامتك يا أخي، إنك يا أخي جدير بكل منصب عالٍ، ومستأهل لكل مركز رفيع.

قال يوسف: بل وهب الله لي ما هو أعظم وأكرم، وهب لي حكمة من عنده! ومنحني علماً من لَدُنْهُ! وأمر أخاهُ ألّا يخبر إخوته بخبرِهِ، وألَّا يُعْلمهم أنَّ وزير مصر ما هو إلّا أخوهُمْ يوسف، وأعلمه أنّه سيدبِّرُ حيلةً، يُبْقيه بها إلى جانبه.

واستعدّ الإخوة للعودة، وتأهّبوا للسفر، ثم ساروا متوكِّلين على الله مع بعض المسافرين من أهالي فلسطين، وما كادوا يذهبون بعيداً

حتى سمع مُنادياً ينادي من خلفهم: يا رجال القافلة؟ إنكم لسارقون!.

فأقبل إخوة يوسف على المُنادي ومَن معه من رجال يوسف يستفسرونهم، ماذا تفقِدون؟ قالوا: نفقدُ صاعَ الملك الثمين الذي نكيلُ به ولمَن جاء به مكافأةٌ من القمح، قَدْرُهَا حِمْلُ بعير.

فقال إخوة يوسف غاضبين: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٧٣]!.

قال رجال يوسف: فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين؟

قالوا: جزاؤُهُ أن يؤخَذ عبداً رقيقاً بما سرق، فنحن هكذا نجزي السارقين. وهكذا حكم إخوة يوسف على السارق بهذا الحكم القاسي، وهو استرقاق السّارق للمسروق منه، كما هي شريعتهم ببلادهم.

ولمّا مَثَلُوا ثانياً بين يَدَيْ يوسُفَ، أمَرَ بتفتيش أمْتعةِ إخوَتِهِ واحِداً بعد آخَرَ، وبدأ بأمتعة إخوته الكبار، حتى أتى إلى أمتعة بنيامين فَفُتِّشَتْ، واستُخرِجَ منها الصَّاعَ المَسْروق!.

وحقَّ على بنيامين أن يُؤْخَذَ عبداً رقيقاً في دينِ الوزيرِ!.

وكان هذا هو الحكم الذي شَرَعَهُ إخوَتُهُ وارتضَوْهُ.

فماذا يقول إخوتُهُ لأبيهِمْ؟! وماذا يفعلون؟!

أما يوسف فقد صحَّت حيلته التي احتالها بإلهام ربِّه ليأخذ بها بنيامين! ونفع تدبيره الذي شاءَهُ الله إذ دسَّ صاعَ الملِكِ خُفيَة في أمتعة أخيه!!.

أما الإخوة فكان ينظر بعضهم إلى بعضٍ ذاهِلِين مبهوتين يتساءلون؛ أَأَخوهم سارقٌ؟ أَيُؤْخَذُ أسيراً في دين الوزير؟!.

أيعودون إلى أبيهم بدونه بعد أن عاهدوه، وأقسموا له أن يكونوا له حافظين؟!.

وسخطوا على أخيهم السارق، الذي وَقَفَهُمْ هذا الموقف الحقير الذليل، واشتدّ غضبهم عليه، إذ سيجعلهم حانِثِين في يمينهم التي أقسموها لأبيهم، فقالوا ينفِّسون عن أنفسهم حانِقين: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف: الآية ٧٧]! - يقصدون يوسف - وسمعهم يوسف، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: الآية ٧٧]. وتقدّم إخوة يوسف منه يستعطفونه ويسترحمونَهُ ليترك أخاهم، قائلين له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: الآية ٧٨]. قال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: الآية ٧٩]، حتى لا نكون من الظالمين.

يئس إخوة يوسف من أخذ أخيهم بطريق المُبادَلة، ورفض يوسف شفاعتهم واستعطافهم، فانتحوا ناحية يتبادلون الرأي فيما يفعلون، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: الآية ٨٠]، لَتَرُدُّنَّ إليه بنيامين، إلّا أن تُغْلَبُوا على أمركم، ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ [يوسف: الآية ٨٠]؟!

قالوا: وما نفعل! قد غُلِبْنا على أمرِنَا؟ ألا نعودُ إلى أبينَا؟!

قال: أمَّا أنا فَلَنْ أبرَحَ هذه الأرض، حتى يأْذن لي أبي، أو يحكم الله في شأني وشأن أخي وهو خير الحاكمين.

قالوا: وماذا نفعل نحن؟! أَنعودُ إلى أبينا بدون بنيامين؟! وإذا عُدْنا فماذا نقول؟!

قال: ارجعوا إلى أبيكم، فقولوا: يا أبانا، إنَّ ابنك سرق صاعَ الملك فاسترقَّهُ العزيز عملًا بشريعتنا، إذ أنبأناه قبل أن نَعْلَمَ ما يخبِّىء لنا الغيبُ، وما كنا للغيب حافظين.

قالوا: إنَّ أبانا لن يصدِّقنا، وسوفَ يتَّهمُنا بالتّفريط في بنيامين كما اتّهمنا من قبلُ بالتفريط في يوسف.

قال أخوهم: إن الأمرين ليسا سَوَاءً، فلنا في حادِثِ بنيامين شُهُودُ رؤْيةٍ وسمعٍ، قولوا لأبيكُمْ: ابْعَثْ مَنْ يَسْأل أهل البلد الذي كنّا فيه، أو اسأل أهلَ القافلة التي أقبلنا معها، ينبؤك بصدق قولنا، وأنَّه الحق اليقين.

عاد أبناء يعقوب التسعة إلى أبيهم، وبقي كبيرهم في مصر فلما أخبروا أباهم ما لقَّنهم إيّاه أخوهم الأكبر لم يصدّق قولهم وقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٣].

وأعرضَ عن أولادِهِ وهو يقول: يا أَسفا على يوسف!

كان الرجل يأمل أن يعرف عن يوسف ما يَسُرُّهُ ولكنه أتاهُ ما فَطَرَ قَلْبَهُ على بنيامين، وانطوى على نفسه يبكي، حتى ابيضت عيناهُ وأصابتها غشاوةٌ من كثرةِ الدموع، فحجب بصرهُ، وحاول أولاده أن يرفِّهوا عنه، ويخفِّفوا ما به، وهم يقولون له: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٥]، وتلهج باسمه، ولا تنسى حزنَهُ الذي فاتَ وانقضى، لسوف تؤذي نفسك، وتعرِّضها للتّلف والهلاك إذا لم تترك ما أنت فيه.

فكان يعقوب يقول لهم: إني لا أشكو حُزني إلى أحدٍ، ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٦].

ثم يقول: يا بني؛ اذهبوا، فتحسّسوا من يوسف وأخيه، ولا تيأسوا من رحمة الله، إنّه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

وخرج أبناء يعقوب التسعة من جديد يبغون مصر نزولًا على إرادة أبيهم وقد عوَّلوا أن يسعوا إلى وزير مصر بكل رجاء، عسى أن يفرج لهم عن أخيهم بنيامين، فيعودوا به إلى أبيهم، الذي كادت نفسه أن تذهب، وروحه تتبدّد من شدة القهر والحزن على ولديه الغائبين، فلما دخلوا على وزير مصر يوسف، قدّموا إليه بضاعتهم التي أتوا بها معهم، ثمناً لما يأخذون من حبوب، وكانت بضاعة قليلة النفع والقيمة، وقالوا له شاكين سوءَ حالهم وحال أهلهم: يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضُّرُّ، وأصابنا الهزالُ والضعفُ، وانتابتنا الأحزان والعِلَل من شرِّ المجاعة التي أحاطت بنا، ومِحنة أخينا التي نزلت علينا، وجئنا ببضاعةٍ قليلة ليست بذات قيمة لم نستطع الحصول على أحسن منها، فلا تمنع عنّا بِرَّكَ، وأوْفِ لنا الكيل، وتصدَّق علينا بردِّ أخينا إلينا إن الله يجزي المتصدِّقين.

أما يوسف فكانت تعتمل في نفسه عوامل الشفقة على إخْوتِهِ، والعطفِ والرثاءِ لما أصاب أباه من جَرَّاءِ هذا العقاب الذي أوحى الله إليه أن يُجرِيه فأصفى به نفوس إخوته به نفس أبيه، وبذا استحقوا جميعاً إتمام نعمة الله عليهم.

وقال يوسف لإخوته: أيضرّكم بُعْدُ بنيامين عنكم كلّ هذا الضرر؟!

قالوا: نعم؛ إنَّهُ أخونا، ويشقُّ علينا بُعدَهُ عَنَّا، وله أبٌ قد ابيضّت عيناهُ حُزناً.

قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ فرّقتم بينهما، وأذقتموهما آلام الفراق، وأنتم في جهلِ الطَّيش، واتّباع الهوى؟ ونظر الإخوة إلى يوسف مبهوتين؟

إنَّ عزيز مصر يعلم من أمرهم كُلَّ شيءٍ! ما تقدَّم منه وما تأخر! وفي وجهه قرؤُوا الحقيقة، ومن ملامحه ونَبرات صوته خَمَّنوا مَن هو؟ قالوا يستفهمون: أئِنَّك لأنت يوسف؟!

قال: أنا يوسف، وهذا أخي الذي فرّقتم بيني وبيْنَهُ ـ وأشار إلى بنيامين الذي كان يقف على مقربة مِنْهُ ـ قد مَنَّ الله علينا، فجمع بيننا، وأحسن إليْنا، بما أطعنا وصبرنا، فإنَّ الله لا يضيع أجْرَ المُحسنين.

فقالوا والخزي يغمرهم، والندم يعصف بهم: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: الآية ٩١]، وفضَّلك عنّا، بما فعلنا من ذنب، وما آتينا من خطيئة فاغفُ عنّا واصفح عن ذنبنا، ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: الآية ٩١].

قال يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، ولا عقاب لكم عندي بما كفرتم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين.

وخلع يوسف قميصه، وأعطاه إخْوته قائلًا: اذهبوا بقميصي هذا، فألقوه على وجه أبي، يأتِ بصيراً، وَأْتوني به وبجميع آلِكُمْ، لتُقيموا عندي في جِواري آمنين.

وهكذا نَبَّأ يوسف إخوته بأمرهم معَهُ، كما أُوحِيَ إليه من الله عندما ألقى به إخْوَتُهُ إلى غيابة الجُبِّ منذ سنين.

ـ وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذا الحوار الشيّق بين يوسف وإخوته فقال عزّ وجل:

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: الآيات ٩٠ - ٩٣].

سَعِدَ الإخوة بهذه الأخبار المُثيرة، وعَجِبوا أشدّ العَجَب لمّا سمعوا من أخيهم يوسف قصته، وكيف أن الله منَّ عليه وعلى أخيه بنيامين.

وتذكّروا أنهم سيعودون إلى أبيهم بخبر كبير ينتظره منذ عشرات السنين لأنه لم يَنْسَ يوسف أبداً طِوال هذه السنين، حتى أنه لمّا قيل عن بنيامين واحتجازه، ذكر يوسف قبل بنيامين وتحسَّر على يوسف الذي مضى على غيابه عشرات السنين، فقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٤].

ولنشهد الأحداث الأخيرة وهي ذروة تفسير رؤيا يوسف عليه السلام.

التعبير والتأويل للرؤيا الأُم

عاد أبناء يعقوب إلى أبيهم، فلما خرجوا من مصر ـ وأقبلوا على فلسطين ـ كان أبوهم جالساً في ذلك الوقت مع نفرٍ من آله وأحفاده، فإذا به يُرهِف حواسّه ويُولي وجهه شطر هبوب الريح، يتنسم ريحها، ويملأ

معاطسه من هوائها، ثم يقول: آه! إني لأجد ريح يوسف، وَأُحِسُّ رُوحَهُ ترفرف عليَّ.

قال له مَن حوله مؤنِّبين: لسانك لا يكفّ عن ذِكرِ يُوسُفَ، والآن تزيدُ بكَ الأوْهامُ، ويشتدّ عليك الْخَلْطُ حتى لتتوهم أنك تجد ريح يُوسُفَ، وتُحِسُّ رُوحَهُ وتَشُمُّ طيبَهُ.

قال يعقوب: لولا أنكم تفنِّدونَ كلامي، وتخطِّئون قولي ـ لعرفتم أنَّ قَوْلي حَقٌّ، وإحساسي صِدْقٌ.

قالوا: بل نرى إنَّكَ تتعلقُ بالأوهام الباطِلَةِ، وتتبع الأفكار الخاطئة.

ووصل الإخوةُ إلى ديار أبيهم، وسبقهم البشير الذي يحملُ قميص يُوسُفَ، فألقى بالقميص على وَجْهِ أبيهِ فارتدّ بصيراً!!

ودبّت في جسمِهِ حياةٌ جديدةٌ، حَتَّى لكأنما عاد إليه شَبابَهُ.

وفرح الأولاد بعودة البصر إلى أبيهم، وسُرُّوا برجوع النور إلى عينيه فأسرعوا يبشِّرونه بالفرحة الكبرى، ويخبرونه بلقائهم مع يوسف، ويعرِّفونه بأنه هو نفسه وزير مصر، ورئيس خزائنها، والمتصرّف في معظم شؤونها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ﴾ [يوسف: الآيات ٩٦ - ٩٨] إن ربي غفورٌ رحيمٌ.

وشدّ يعقوب وآله جميعاً الرِّحال إلى مصر، فرحلوا إليها، فلما خلَّفوا أراضي فلسطين ودخلوا أراضي مصر ـ حطّوا للراحة والاستجمام، وذهب نفرٌ من أولاده يبشِّرون يوسف بحضورهم.

فأعلم يوسف الملك بحضور آلِهِ إلى مصر للإقامة بها، فرحّب بهم الملك وأمر يوسف أن يخرج للقائهم والترحيب بهم، وأن يُقطِعهم أرضاً لمَعاشهم، وييسِّر لهم بيوتاً لسُكناهم.

خرج يُوسُف للقاء آله مع جَمْع من الكُبَراء والعُظماء.

وكانت ملاقاة يوسف لأبيه، وملاقاة أبيه له، بعد غياب طويل مرير، قاسى فيه يعقوب ما قاسى، وعانى فيه يوسف ما عانى، ثُمَّ أتمَّ الله نعمته عليهما وقال يوسف لآله مُرَحِّباً: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وأقيموا بها بإذنه هانئين وادِعين.

واصطحب يوسف عليه السلام آله إلى قصره، وأدخلهم القاعة العظيمة التي يقضي بحُكمه فيها، وأصعد أبويه إلى العرش الذي يجلس عليه، ليُجلِسهما بجانبه، والتفَّ إخوته من حوله جميعاً، وعندئذ خرّوا له جميعاً ساجدين تحية له وتعظيماً، على عادة أهل زمانهم.

ونظر يوسف إلى أبويه، وإلى إخوته الأحد عشر الذين يسجدون تحية له، فتذكّر حُلمه القديم الذي قصَّه على أبيه من قبلُ، إذ رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له. فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٠].

وجاء في القرآن الكريم أن رؤيا يوسف جعلها ربّ العِزّة حق، وصدقت الرؤيا ـ التي جاءت في الآية الرابعة من سورة يوسف: ﴿رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

أما التأويل فجاء في الآية رقم مائة من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ

بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

رؤيا السجن

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: الآية ٣٦].

ذكرت الآيات الرؤيا التي رآها الفتيان صاحبي السجن ليوسف عليه السلام وقد تحدّث يوسف عن تعبير هذه الرؤيا، لكننا في البداية نتحدّث عن دخول يوسف السجن، وهو السبب الذي جعله يسمع الرؤيا ويكون تعبير هذه الرؤيا سبباً في خروجه من السجن.

لماذا السجن

جاءَتْ لحظة توجّه فيها يوسف إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء قائلًا: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٣].

كان يريد الهروب من فتنة النساء وكيدهن، تُرَى ما هي الأسباب التي دعته يدعو هذا الدعاء ويطلب من ربّه هذا وهو النبي الطاهر الشريف من ذريّة يعقوب وإبراهيم وكلّهم من أنبياء الله المُخلَصين ـ لنرى الأسباب.

ما إن خَلُصَ يوسف من محنة البئر واشتراه السَّيَّارة وبِيعَ إلى عزيز مصر، وخَلَدَ إلى حياة هادئة في بيت العزيز، حتى ابتدأت الأيام تخيط له محنة أخرى لعلّها تقوّي عزمه، وإيمانه، وقد جاءته المحنة الثانية

بسبب ما هو عليه من حُسْنٍ وجمالٍ، ودخلت إليه من طريق فُتُوّته ونضارة شبابه.

تقدّم العمر بيوسف عليه السلام، وأظلّ ربيع الأيام، وأصبح شابًا يافعاً قويًا يأخذ الناظر إليه بجماله وفتوّته. وإذا امرأة العزيز التي يعيش يوسف في بيتها يشغلها أمره، فأخذت ترقُبه في غُدوُه ورَواحِهِ، وتلحَظه في قيامه وقعوده، وفي يقظته ومنامه، وطعامه وشرابِهِ، وحركته وسكونه، وبَدَت لها محاسنه الخَفِيَّة، وحيويته القوية، وشعرت أن حبّه ينبت في قلبها، وينبض في عروقهما، حتى أنها وسوست به في خَلوتها وتمنّته، ولكن كيف يكون لها هذا وهي امرأة العزيز صاحب المكانة العظيمة في مصر.

نصبت امرأة العزيز حبائل الفتنة ليوسف، وأطلعته من نفسها على ما عساه أن يعبّر نفسه، ويثير داعية هواه.

لكنّه أعرَضَ عن تلويحها وتلميحها، وغضّ بصره عن محاسنها ورونق جمالها، وما كان ليوسف الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم**» ـ ما كان له أن يميل قلبه إلى مُحرّم، أو تجنح به نفسه إلى معصيته، وما كان له أيضاً ـ وقد مهّد له العزيز من كنفه، وائتمنه على أهله، ما كان له أن يخونه في منزله، أو يسوءَهُ في امرأته.

ولكن إعراض يوسف ضاعف هوى امرأة العزيز، فرأت أن تصل بالتصريح إلى ما لم تَنَلْه بالتلويح، وأن تكون أجْرأ على ما تطلب، وأشجع فيما تريد، فما عادت بعد اليوم تطيق صدّه وإعراضه، وأجمَعَت الرأي، وهيّأت نفسها لِما تريد، بعد أن ألقت صولجان المُلْك. ولبست

شِعار المتصبِّبة العاشقة، ودعته إلى مخدعها فلبّى سريعاً، استجابة لأمرها، وجرياً على عادته في طاعتها، ثم أسدلت السُّجُف (الستائر) ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]!.

ولكن يوسف، وإن كان في ريعان الشباب، وفورة المُراهق، وفَراغ البال، وحُسْنِ الحال، إلا أن الله سبحانه عزّ وجلّ حفظه، لأن قلبه مشغول بربّه ليس فيه موضع تستميله المرأة، أو تستهويه نَزَوات الهوى.

أجابها يوسف قائلًا: معاذ الله أن أُجيبك إلى ما تُريدين، أو أُذعِنَ إلى ما تطلبين، وحاشاي أن أخون مولاي العزيز، وهو الذي أحسَنَ مَثواي، وأكرم مأواي، وما أنا بمُنكِر للنعمة، ولا بجاحِدٍ للجميل، إن كنتِ قد غَلَّقتِ الأبواب، وأسدلتِ الحُجُب فإن الله يعلم خائنة الأعين، وما تُخفي الصدور، وحاشاي أن تُطاوعني نفسي إلى معصية. إنه لا يفلح الظالمون.

أثار هذا الصّدّ والرّفض من يوسف لرغبة امرأة العزيز غضباً شديداً منها، فهي امرأة العزيز في جمالها ودلالها تدعو فتى من فِتيانها، بل واحداً من خُدَّامها فيأبى ويمتنع ويستكبِر ويعتصِم، وهي الآمرة والناهية في قصرها. إنها لكَبيرة لا يحتملها كبرياؤها.

غضبت وهاجت، وهمّت به بطشاً، وأرادت به سُوءاً، انتقاماً لعِزّتها المُضاعَة، فهَمَّ يوسف أن يَلقَى الشرَّ بالشرِّ، ولكنه لما همَّ بالشَّرِّ رأى برهان ربّه في قلبه، وأُوحِيَ إليه أنَّ الفرار خيرٌ من القتال، والمُسالَمَة خير من الموائبة، فاستجاب لوحي ربّه، وهَمَّ إلى الباب جَرْياً، وهمَّت وراءه عَدْواً، حتى أمسكته من قميصه، وجَذَبَته من ثوبه، وما انتهى إلى الباب حتى رآه العزيز واقفاً وقميصه مُمَزقاً.

كان موقفاً يبعث على الرّيبة، ويُثير الاتّهام، رجعت فيه المرأة إلى كيدها ومَكرها، والتجأ يوسف إلى صِدْقِه وصراحته. . .

قالت: إن يوسف لم يَرْعَ حُرمَتَك، ولم يحفظ يدك، فإنه حاول أن يُدَنِّس ثوبي، فراودني عن نفسي، ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٢٥].

عندئذ كان ملجأ يوسف هو الصراحة في القول، والصدق، والاعتراف بالواقع، فقد وجد امرأة العزيز جريئة في الكذب والبُهتان، فقال: هي التي راودتني عن نفسي وجذبتني من قميصي وها هو شاهد على صِدق دَعواي.

وفيما هم يتحدّثون دخل ابن عمّها، وكان فَطِناً لبيباً، ذكيًّا صاحب فراسة، فسمع القضية من أطرافها، فقال: إن كان قميصهُ قُدَّ (شُقَّ) من قُبُلٍ فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين.

فلما رأى قميصه شُقَّ من الخَلْف، وَضُحَ الحق، وظهرت براءة يوسف، والتفت العزيز إلى امرأته وقال: إن هذا من كيد النساء ومكرهنّ، فاستغفري لذنبك إنَّك كنتِ من الخاطئين، وأنتَ يا يوسف، اربط لسانك عن الخَوْض في الحديث، خشية أن تشيع القالَة، وينتشر الحديث بين الناس.

حديث النسوة ومجلسهنّ

ذاعَ الخبر في المدينة على ألسِنة النِّسوة، وبين جَنبات القُصُور، أنَّ امرأة العزيز قد افتُتِنَت بغُلامها العبراني، ووقعت في غرامه، واستهامَت بجماله، وأنها نزلت عن عرشها، ودَعَته إلى نفسها، وسدّدت

إليه سِهام فِتنتها وسِحرها، ولكنه عَزَفَ عنها، وزَهِدَ فيها، ولم يفتنه حُسنها ولا دلالها، ولم يَسْتَهْوِه روعتها ولا جمالها، فهي لهذا مسلوبة الفؤاد مضرمة الأنفاس، تخفي أمرها فيفضحها الدمع، وتستر وجْدَها فيتمُّ عليه السَّقَم.

وأخذت الأخبار تَشِيع وتتشعّب، وتتّخذ لها ألواناً وأشكالاً، حتى انتهت إلى امرأة العزيز، وسقط في سمعها كلّ ما تحدَّث به لِداتُها وأترابها من نِسوة المدينة، وما تزيدنّ فيه، وما نِلْنَه منها بحصائِد ألسِنتهنّ وقارِسِ تأنيبهنّ فلم تَرَ بُدًّا أن تدحَض هذا القول، وتغل ذلك السلاح، وتقابل مكرهنّ بمكر، وكيدهنّ بكيد.

فدعتهنّ في يوم من أيامها المُشرِقَة إلى طعامها، وهيّأت لهنّ مُتكآتٍ وثيرة، وأرائك مُريحة، وخلعت عليهنّ أردية الحفاوة، وحاطتهنّ بهالَة من النّعيم، وقدّمت لهنّ الفاكهة، وأتَت كُلَّ واحدة منهنَّ سكِّيناً، وقالت ليوسف: اخرج عليهنّ، وامشِ بين صفوفهنّ، فخرج من مخدعه وقد صبغَ الحياءُ وجهه، وملأه الحُسْن من رأسه إلى قدميه، فشاهدن فتًى لا كالفتيان، وشابًّا لا كالشبّان، نضير الطّلعة، وضِيء النظرة، حُلو الملامح، ملء إرادته قوة وشباب.

وشاهدن من وراء هذه القسامة نفساً جميلة كريمة، فذهِلْنَ عمّا كُنَّ فيه، وخُولِطن في عقولهنّ، فإذا السكاكين تقع على أيديهنّ فتقطّعها، فقلن: حاش لله وتبارك خلقه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: الآية ٣١].

نظرت امرأة العزيز إلى يوسف وأشارت إليه وهي تنظر إليهن وقالت: هذا الذي لُمتُنّني فيه، وخُضْتُنَّ في حديثي معه، وهذا شأنكنّ

فيه وقد رأيتُنّه عفواً، وشاهدتُنّه لمحاً، فما بالكُنَّ تلُمنني فيه وقد ترعرع في داري، وبلغ أشدّهُ أمامي، واستوى بين سمعي وبصري، فأنا أُشاهده في قُعوده وقيامه، ويَقظته ومنامه، وطعامه وشرابه، وحركته وسكونه، وأخلو به في ليلي ونهاري، وأتراءى له في زينتي، وأعرض على نظره ما ظهر من محاسني؛ فيُعرِض عني استعصاماً، ولا يرفع إليَّ طرفاً.

ثم قالت: لا أُخفي عليكنّ إنني قد راودته عن نفسه، وَجَذَبْته من قلبه، فتأبّى واستعصم، وانصرف عني وأعرَضَ، ولا أُخفي عليكنّ أنني سوف لا أُطيق على إعراضه صبراً، ولا أستطيع أن أملك لقلبي معه زماماً، فهو قد مَلَكَ أعِنَّة قلبي، واسترقَّ فؤادي، وأطالَ ليلي، ولكنني ـ وقد أذللتُ نفسي، وافتضح أمام النّاس أمري ـ لئن لم يفعل ما آمُرُهُ لأدفعنّ به إلى غيابات السجن يُعاني ظلامه ـ ويبلى فيه رداء شبابه، أو لأُذيقنّه هَوان نفسه، وإيذاء جسمه، فهما أمران يختار أهونهما عليه.

اجتمعت النسوة على رأي امرأة العزيز وبدلًا من أن يَلُمنَها على جُرأتها هذه وقفن إلى جِوارها واتّجهن إلى يوسف بالحديث، منهنّ مَن ترغِّبه بجمال امرأة العزيز، ومنهنّ مَن ترغِّبه بمالها وسلطانها، فهذه تقول له: أيّها الفتى الكريم، لِمَ هذا التأبّي والتمنّع؟ أليس لك قلب يلين لهذه التي أسلمت نفسها، ودفعت إليك بقلبها؟ أليس لك عينٌ تنظر إلى مَن تُقَيِّد الطرف بحُسنها.

وأخرى تقول: إن لم يكن لك مأرب في جمالها أو مَطمَع في مالها، ألستَ تخشى ما توعّدتكَ به من سجن لا تعلم مَداه، أو عذاب لا تُدرك غايته أو مُنتهاه؟ لَخيرٌ لك أن تخفِّف من عنادك وتفوز بجمالها ومالها.

تحدَّثن كثيراً إلى يوسف وقد ظننَّ أنّه يُستَمال بكلامهنّ هذا.

ولكنّ يوسف اتّجه إلى ربّه، وخاف من وسوسة الشيطان، وكيدهنّ إن كيدهنّ عظيم، اتجه إلى الله، وتضرّع إليه أن يصرف عنه السوء ويصدّ عنه كيد النساء، وقال: ربِّ، إنَّ السجنَ على ظلامه ووحشته أحبّ إلى نفسي، وأميَل إلى قلبي من مجاهدة هؤلاء النِّسوة ومُغالبتهنّ، فيه أصبر على بلائك، وأزيد إيماناً بقضائك، وأعلم ما خَفِيَ عليّ من شؤون خلقك، وقد يُفتَح لي باب الدعوة إلى معرفتك وتوحيدك، وتُهَيَّأ لي الفرصة لعبادتك وتمجيدك، وفي السجن أُعِدُّ نفسي لإقامة الحق، ونصب ميزان العدل فيما عسى أن تخوّلني من الأمر، كما وعدت أن تُمَكِّن لي في الأرض، ووعدك الحق وقولك الصدق. أمَّا أن أُقيم بين هؤلاء النِّسوة، يفتنّني بالقول، ويُزخرفن لي باطل الحياة، فإنني لأخشى من هواي أن يميل، ومن الشيطان أن يوسوس فيتغلّب، فأصبو إليهنّ. جاء ذلك كله موجزاً في قول الله عزّ وجلّ حكاية عن يوسف: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٣].

وظلّ يوسف مُعرِضاً عن امرأة العزيز، متجاهلًا لها، فنفذَ صبرها، وفشلت كل حِيَلها في استِمالة يوسف، فهبّت إلى زوجها، وكان مِطواعاً لها، وقالت له: إن يوسف قد فضحني في أمري، وافترىٰ عليَّ الزّور في شرفي، فلا أجد شفاءً لغليلي سوى أن تسجنه، فتأخذ لشرفي وتشفي في غيظي.

انقاد العزيز لقولها، وأطاع أمرها، وأودع يوسف في السجن بريئاً من ذنبه، كما كان الذئب بريئاً من دمه، فاستقبل في السجن مِحنَة جديدة وتجربة قاسية، تلقّاها بقلب الصابرين، وعَزْم المؤمنين.

يوسف في السجن

دخل يوسف السجن مظلوماً بريئاً لم يجد من العِباد مَن ينصفه بكلمة، فأسلم نفسه يرجو عدلَ السماء، ولكنه دخل السجن مطمئناً، مرتاح الضمير، رضِيّ النفس، وما السجن وظلامه بأقسى عليه من الفتنة التي نُصِبَتْ له، ألم يكن السجن نجاة له من هذه الفتنة التي قُصِدَ بها إيمانه وعقيدته للنَّيل منهما، والمؤامرة التي دُبِّرَت للإيقاع به، وإفساد عصمته، وما ضرَّ يوسف أن يُسجَن أو يُمنَع من الغُدوّ والرَّواح.

إن من الخير ليوسف أن يكون داعية لله في السجن ومعلّماً مرشداً وناصحاً أميناً فلعلّه ينزع الشّرَّ من صدور هؤلاء المساجين، فيكون قد طهّر بعض الناس من الشّرور التي لحقت بهم. إن ذلك من حظ الأنبياء والمخلصين الذين رضي الله عنهم، فامتحنهم وهو لهم خيرٌ حافِظاً وهو أيضاً أرحم الراحمين.

بقي يوسف في السجن، وامتدّت أيّامه فيه، ومكث فيه زمناً، يعود المريض ويُواسي الضعيف، وينصح الشقيّ، وينشر عليهم مع كل صُبحٍ فَيضاً من علمه، وقبساً من فضله، حتى أحبَّهُ المسجونون، وكَلِفُوا به، واطمأنت نفوسهم إليه.

ودخل معه السجن فتيان من حاشية الملك، ساقِيهِ، وخازِن طعامه ذاقا معه آلام السجن، واحتَمَلا ذُلَّ الأسْر والقَيْد، حتى أصبحا يوماً على رؤيا أزعجتهما وأهمّتهما، فأسرعا إلى يوسف يستنبِئانه عن رؤيتهما ويستفتِيانه في أمرهما.

الــرؤيا

قال الساقي: لقد رأيت كأني في بستان كَرْمٍ معروش زاهٍ ومُخضرّ، وكأن بيدي كأس الملك، أعصر من عناقيده فيها ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٦].

وقال الخازن: وأمّا أنا فقد رأيت كأني أحمل سِلالًا فيها أصناف الخبز والطعام، وكأن سرباً من الطّير يتهاوى إليها ويتخطّفها، ويذهب بها إلى مكان سحيق؛ فهل لك أن تُنبِّئنا بتأويل ما رأيناه، وبما نعهده فيك من فضل المعرفة والتدبير، ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: الآية ٣٦].

كان يوسف عليه السلام قبل أن يأتيه الفَتيان قد أكرمه الله عزّ وجلّ برسالته، وأتاه ما وعده وأقرّهُ أن يضطلع بما اضطلع به أبوه من قبلُ، من الدعوة إلى التوحيد، وإشعال قَبس الإيمان، وحَرِيٌّ به أن تكون دعوته مؤكَّدة النجاة، مقرونة بالفَلاح، فهو في قوم فقراء قد طهَّر نفوسهم الفقر ومظلومين يتشوقون إلى الإيمان، وهؤلاء وأولئك أقرب الناس لِفهم الدعوى، وأكثرهم استعداداً لما يُلقَى عليهم من هَدْيٍ ورَشاد.

وبينما كان يوسف يتهيّأ للدعوة والرسالة، ويعدّ نفسه لإعلان كلمة التوحيد إذ جاءه الفَتيان، ورآها يوسف فرصة يُمَهِّد بها للدعوة، فقال: يا قوم، إن وراء هذه الأصنام التي تعبدونها، والآلهة التي تتقرّبون إليها، إلـٰهاً قد أُوحِيَ إليَّ أن أدُلّكم عليه، وأُرشدكم إليه، وإن ما تعبدونه من أصنام وتماثيل مثل رَعْ وأبيس ـ ليست إلا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم

ما أنزل الله بها من سُلطان، ولا يحملكم على عبادتها دليل أو برهان، وإن التمستم دليلًا على صدقي، أو أردتم برهاناً على صحّة دعوتي، فدونكم تأويل رؤيا الفَتَيين.

تأويل الرّؤيا

قال يوسف في تأويل الرّؤيا:

ـ أما أحدهما فسيخرج من سجنه، ويعود إلى سابق عهده، ساقياً للملك، قائماً بينه وبين نُدمائه.

وأما الآخر فسيُصلَب وستأكل الطير من رأسه، عَرَفْتُ هذا من وَحي غَيب، لا بكهانة أو تنجيم أو ما يشابههما من صناعة وتعليم، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٧].

وجاء ذلك التأويل والتعبير في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف: الآية ٤١].

وكان يوسف عليه السلام متأكداً وعالِماً بصدق تأويله للرؤيا، وأنّ ما قاله سيحدث حقًّا، وقد علم نجاته وتوقّع صدور العفو عنه فقال له: يا هذا، إذا ما فارقت السجن، ورجعت في قصر الملك إلى مكانك، فاذكر له أن مظلوماً يحويه السجن، ومُتَّهماً بغير ذنب أو جناية يُعاني الأسْر والسجن.

وجاء ذلك الطلب من يوسف حكاية عنه في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤٢].

خرج الساقي من السجن، وخرج إلى قصر الملك، فقد عَفَا عنه، وأعاده إلى مكانه ساقياً في قصره، يمرّ عليه وعلى حاشيته بالشّراب كلما جمع المجلس جمعهم.

أما الآخر فقد مات على ما أوّل يوسف الرؤيا له.

ولمّا عاد الساقي إلى مَليكه انشغل في زحام العمل، وأنساه الشيطان وصيّة يوسف عليه السلام له، بأن يذكره عند الملك، وكان من جرّاء ذلك أن لبث يوسف عليه السلام في السجن سنوات وسنوات، قيل في نص الآية الكريمة إنها بضع سنين، وجاء في الآية الكريمة عن هذا الأمر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: الآية ٤٢].

رؤيا الملك

قال تعالى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يُوسُف: الآية ٤٣].

أصبح المَلك على رؤيا أزعجته وأهمّته وأثارت الفَزَع في نفسه، فدعا إليه علماء دولته، وأشراف قومه، وقصَّ عليهم ما رأى.

قال: إني أرى سبعَ بقرات سِمانٍ، يأكلهُنَّ سبع عِجاف مَهازيل، وسبع سُنبلات خُضر، وأُخَر يابسات، ثم طلب إليهم تعبير هذه الرؤيا وتفسير ذلك الحُلم، فكلهم عجز عن التأويل، وَعَيَّ عن التفسير،

وقالوا: خيالاتٌ وأوهام، وأضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالِمِين!.

ولم يجدوا تفسيراً لسبع بقرات خرجن من نهر يابس وهنّ سِمان، كبيرات الحجم، يكاد اللحم يتساقط من جوانب كل واحدة منهنّ من كثرة السُمنة، وهذه البقرات السّبع تُطاردهنّ سبع عِجاف هزيلات ضعيفات لا يظهر منها سوى الهيكل العظمي، وظلّت تطاردهنّ حتى أمسكت كل بقرة من البقرات الضّعاف الهزيلات ببقرة من السِّمان من آذانها وأكلتها فلم تُبقِ منها إلا القرنين، ولم يصدّقوا أن سبع سُنبلات قمح خضراء قد أقبل عليهنّ سبع سُنبلات يابسات فأكلتهنّ حتى أتين عليهنّ فلم يَبقَ منها شيءٌ وهُنَّ يابسات، وكذلك البقرات السبع كُنَّ عِجافاً ضِعافاً هزيلات حتى بعد أن أكلن البقرات السِّمان. لذلك فقد عجزوا هم وملكهم عن التأويل وتفسير وتعبير هذه الرؤيا وقالوا: خيالات وأوهام، وأضغاث[1] أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالِمِين!.

اذكرني عند ربك

ولكن هذه الرؤيا ذكَّرت ناسياً، ونبَّهت لاهياً، وأثارت عنده ذكريات بعيدة، وأياماً في تاريخه منصرفة، إنها أيام السجن، هذا اللّاهي الناسي هو ساقي الملك، فما كاد يسمع هذه الرؤيا، ويحسُّ رغبة الملك في التأويل، حتى تذكّر يوسف السجين، وذلك الذي أوّل له الرؤيا فصدق في التأويل وهو الآن يمرح في نِعمة الحرية، ويتقلّب في فراش النعيم.

(١) أضغاث: بمعنى أخلاط؛ وأضغاث أحلام: ما كان منها متلبّساً مضطرباً يصعب تأويله.

وعندما تذكّر يوسف قال: أيّها الملك، إنّ بالسجن فتًى كريماً، صائب الفكر، مُلهَم الرأي، يكشف ودائع الغيوب بنور عقله، ويُدرك غيب الصواب بفراسته وثاقب تدبيره، تعرض عليه الرؤيا فيخمّرها ويُجيلها، ويُجيد الفكرة فيها ويُطيلها ثم يخرج بعد ذلك بالرأي الوثيق، والتأويل الصادق، ولو أرسلتني إليه لجئتك بالخبر اليقين.

وانطلق السّاقي إلى يوسف في سجنه، ومهبط آلامه، فوجده كما تركه صابراً مُحتَسِباً مؤمناً قانتاً، قال له: يوسف، أيّها الصدّيق جئتك فيما أرجو أن يكون لك فيه فرجٌ من ضِيقك، وعافية من محنتك، أفتِنا في سبع بقرات سِمان يأكلهنّ سبعٌ عِجافٌ مهازيل، وسبع سُنبلات خُضر وأُخَر يابسات، فلعلّك بعلمك تروي نفوساً للتأويل ظامئة، وتُجيب على أسئلة في الصدور مُختلجة، ثم تمنّى الساقي أن يعرف القوم فضل يوسف الواسع وعلمه الفيّاض.

ولكن يوسف عليه السلام لم يكن عالِماً يؤوّل الرؤيا فحسب، بل كان رسولًا مُصلِحاً داعية أرسله الله عزّ وجلّ هادياً للناس في دُنياهم وآخرتهم، ومعاشهم ومَعادهم، فما كان يرى فرصَةً يتنفس فيها برسالته إلّا انتهزها، ولا مناسبة صالحة للدعوة إلّا عَلِق بها.

فيذكر ليوسف أنه من سنين مَضَت سأله صاحبي السجن عن رؤياهما، فانتهزها فرصة لإعلان كلمة التوحيد وقال لصاحبيه في السجن: أَأَرباب متفرّقون أم الإلٰه الواحد القهّار، وبذلك أعلن كلمة التوحيد، وندّد بعبادة الأصنام وهَزِىء منها، وها هو اليوم يسأله الملك عن رُؤياه، فيعرف تأويلها، ولكنه لا يقصر التأويل والتفسير على الرؤيا فقط، بل يمزج بالتأويل دعوته ورأيه، يقول بوحدانية الله، وينهى عن عبادة الأوثان، ويُسدِي إلى الناس نُصحه وإرشاده.

قال يوسف في تعبيره وتأويله لرؤيا الملك:

- إنكم تستقبلون سبع سنوات ليِّنة رُخاء، تكونون في أخصب تربة وأحسن مرعى، تزدهر حقولكم، وتزكوا غِلّاتكم، ويصفو لكم العيش، وتطيب حياتكم.

- ثم تأتي في أعقابها سبعٌ شِدادٌ يظلّكم فيها الأمل، وتكشف لكم الأيام عن قلّةِ المطر، وجفاف الزرع والضّرع، ينكفي النيل فلا يَفِي بوعده، ولا يمدّكم بمائه، ويجفّ وجه الأرض ويتجهّم، فلا تعطيكم مَكنون خيرها ثم لا تجدون قائماً أو زرعاً يُحْصَدْ، ولا حصيداً يخزن، وتُصابون من دهركم بمصيبة كبرى، وداهية عظمى، ونائبة كبرى.

- وبعد ذلك تُصالِحكم الأيام، ويُقبِل عليكم الزمان، وتبدو على الوجوه البِشْر، من تدفّق الخير والبرّ، ويظلّكم عام خصيب، تُغاثون فيه من شدَّتكم، وتُصلِحون ما فسد من أموركم، تجودكم الأرض بالحنطة والشعير فتأكلون، وتأكلون الزيتون والسمسم فتعصرون وتأتدِمون ثم سكت يوسف لحظة واستأنف يقول: ذلك تأويل الرّؤيا، وذلك ما أشرقت به نفسي، وما تلقّيته بالوحي عن ربّي.

وإذا كان ما أخبرتُ واقعاً لا مَحالَة، فما حصدتم في سِنيكم الرخاء فاخزنوه في بيوتكم ومخازنكم، مَصوناً في سُنبله، حتى يظلّ سليماً نقيًا، إلّا ما تحتاجون إليهم ما يقيم أودكم[1] ويحفظ حياتكم، لتتّقوا السبع الشِّداد، والسِّنين العِجاف.

(١) الأود: الأعرج، يُقال: أقام أوده: قوَّم اعوجاجه.

ولمّا وصل إلى الملك هذا التفسير، وفَطِنَ لذلك النُّصح والتدبير، أدرك أن وراء هذا عقلًا حصيفاً مُحكَماً، وفكراً مُلهَماً، فدعاه إليه ليفيد من رأيه.

حضر رسول الملك إلى يوسف في السجن وناداه: يا يوسف، إنّ الملك يدعوك إلى حضرته، ويطلبك إلى مجلسه، فقد أحسَّ من تعبيرك للرؤيا علماً غزيراً ولمح من نُصحك رأياً حصيفاً، وإنه ليوشك أن يرتفع مِقدارك، ويطلع نهارك، وينتشر علمك.

ولكن يوسف عليه السلام كان رسولًا كريماً، وعلّمه ربُّه كيف يكون صبوراً حليماً، فما استجاب للدعوة من أول مرة، وهو أحوج ما يكون إلى الانطلاق من الأسْر ومُفارقة السجن، فقد طال عهده بوحشته وظلامه، وأحزانه وآلامه، وقد مرّت عليه سنوات مجرَّمات، لم يرَ الشمس طالعة، ولا البدور المتألّقة، ولا النجوم المشتبكة، ولا الزروع الناضرة، ولا الحقول المُمَرِّعَةِ[1]، بل لعله أمضى أيام سجنه لم يَذُق إلّا طعاماً يابساً، وخبزاً قفاراً، وماءً عكراً، ولعلّ رِجلَيه لم تحرم من قيود السجن الغليظة، ويديه لم تَسلَم من غِلٍّ ثقيل، ولعلّه أيضاً آذته ليالٍ افترشَ فيها الطِّين وتوسَّدَ الحجر، ونام على الألم، وهو مع تلك الأيام شاهد، والمصائب التي لاقى، لم يكن إلا مظلوماً مغلوباً على أمره، يلقى العذاب ثمناً لما ادَّرع به من عصمة وإيمان ونزاهة وطهارة وأمانة.

ولذلك لم يحب يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن ممنوناً عليه بعفو، أو مُتفضَّلًا عليه بشيء، بل قال للرسول: ارجع إلى الملك

---

(١) الكثيرة الرّعي والخصب.

وَسَلْه أن يتعرّف أمر هؤلاء النّسوة اللاتي قطّعن أيديهنّ، وأُخِذتُ ظُلماً بجريرتهنّ، ليظهر أمري قبل أن أُغادر السجن، وتُعرَف قضيتي قبل أن يفصل بها بالعفو عنّي.

انشغل الملك بأمر يوسف عليه السلام، وشغل باله ذِكْر النّسوة، وتشعّبت أمامه وجوه القضية بعد أن كانت محصورة في العفو عن يوسف لتأويله الرؤيا فما كان الملك يظن الأمر يعدُو أن يكون ذلك السجين فتًى لا يُنظَر له، وهو اليوم يدعوه إليه لِما ظهر من فضله، وعُرِفَ من علمه وخبره، ولكن ها هي ذي أمورٌ ظهرت لديه كانت من قبلُ خافية، واتّضحت أشياء كانت غامضة.

دعا الملك النّسوة إلى قصره، فلما جئن بين يديه سألهنّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يُوسُف: الآية ٥١]؟

وكانت المفاجأة، الصراحة والصدق، فما وجد الإنكار سبيلًا إلى قلوبهنّ، وما استطاع الكذب أن يسبق ألسنتهنّ، بل صَرَّحْنَ بالحق، فقلن على الفور: حاش لله! ما علمنا على يوسف من سوء وما خَبِرنا فيه إلا فتى عفيفاً كريماً، نزيهاً أميناً، غير مُتَّهم في رأي، ولا ظَنِين في عفّة.

وقالت امرأة العزيز، وقد نالت منها الأيام والسنون:

الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه، وجذبته للغرام، فقد كان فتى وسيماً جميلًا وضيئاً، وقد كان منّي قريباً دانياً، وشخصه أمام عيني أبداً ماثلًا، فعَلِقَهُ قلبي، ولم أستطع له دفعاً، فدعوته فتأبّى، وطلبته فامتنع، وكان لربّه حافظاً، ولزوجي وفيًا.

وإني أُخبركم الآن إنه أعفُّ مَن رأيت نفساً، وأزكى مَن شهدت قلباً، وإنه احتمل ما احتمل من آلام السجن بريئاً مظلوماً.

أنا قذفت به إلى السجن، وأنا ألقيت به في هذا العذاب، ذلك الذي أعترف به الآن في وَضَح النهار، وضوء الشمس، بين سمع الملك وبصره، وبين حاشيته وبِطانته، ليعلم يوسف وهو الآن في سجنه أني لم أَخُنْه بالغيب، ولم أُعيبه بعيب، أو أزمِه بريب، من يوم سجنه إلى هذه الساعة التي يُفصَل فيها في أمره.

لقد صرّحت لهؤلاء النسوة من قبلُ بأني راودته عن نفسه فأبى واستعصم، والآن أعترف بأني دعوته لنفسي فأبى، ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: الآية ٥٢].

هذه هي مُلابسات تأويل رؤيا الملك التي عبّرها يوسف عليه السلام.



١ ـ رؤيا النبي ﷺ أُم حرام تشارك في غزو قبرص

جاءت قصة هذه الرؤيا في رواية صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أُم حرام بنت ملحان ـ وكانت تحت عُبادة بن الصامت ـ فدخل عليها يوماً، فأطعمته وجعلت تفلّي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يُضحِكك يا رسول الله؟

قال: **«ناسٌ من أُمّتي عُرِضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله يركبون ثبج[١] هذا البحر ملوكاً على الأسِرَّة»**[٢] ـ أو **«مثل الملوك على الأسِرَّةِ»**.

قالت: فقلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله.

---

(١) ثبج البحر: متنه وظهره، وقيل: ثبج كل شيء وسطه.

(٢) أي يركبون مراكب الملوك لغِناهم وثروتهم وكثرة عددهم.

ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يُضحِكك يا رسول الله؟

قال: «**أنتِ من الأوّلين**».

فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصُرِعَت عن دابّتها حين خرجت من البحر فهلكت[1].

وكانت أُم حرام بنت ملحان زوجة لعُبادة بن الصامت رضى الله عنه، ولنتحدّث عن قصة غزو البحر هذه التي بشّر بها الرسول ﷺ أُم حرام.

فقد انصرفت السُنون، وأُم حرام تنام على أحلامها أن تكون غازِية في البحر إلى أن كان وتحقّق لها موعود رسول الله ﷺ في غزو قبرص.

وكان معاوية قد ألَمَحَ إلى عمر بن الخطاب أنه يريد غزو الروم من البحر وعن طريق حمل الجنود على السُفُن إلا أن عمر رضي الله عنه تحفّظ على هذا الطلب خوفاً على جنود المسلمين وكتب كتاباً قد يبدو عجيباً ولكن الزمان الذي رأى فيه أمير المؤمنين هذا الرأي يختلف عن زماننا هذا، كتب عمر رضي الله عنه إلى معاوية كتاباً جاء فيه:

والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لا أحمل مسلماً أبداً، وقد بلغني أن بحر الشام يُشرِف على أطول شيء من الأرض، فيستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يُغرِق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر (المُستَصعَب)؟!

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب «الاستئذان» باب «مَن زار قوماً فقال عندهم»، ومسلم في كتاب: الإمارة حديث رقم ١٦٠.

وبالله لَمسلمٌ واحد أحبُّ إليَّ مما حَوَت الروم، وإياك أن تعرض إليَّ، (وقد تقدَّمت إليك) فقد علمت ما لَقِيَ العلاء مني (ولم أتقدم بمثل ذلك)[1].

هذا هو رأي عمر رضي الله عنه الذي أبداه إلى معاوية بن أبي سفيان والي الشام في عهده، والحقّ يُقال إنها مغامرة جَسور باسلة تلك التي يدعو إليها معاوية، فكتب عثمان رضي الله عنه إلى معاوية، حينما طلب منه غزو البحر قائلًا: «لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيِّرهم، فمَن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنْه»[2].

ووصل الكتاب إلى معاوية رضي الله عنه، وكان كلّ ما يهمّه أن يحصل على الموافقة من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، ولمّا وصل الكتاب إليه لم يفتّ ذلك في عضده، ودعا الناس وحثّهم على الجهاد، فتراكض بين يديه كبار الصحابة يلبّون النداء، منهم: أبو ذرّ الغفاري، وعُبادة بن الصامت، وزوجته أُم حرام بنت ملحان، والمقداد بن عمرو، وأبو الدرداء، وشدّاد بن أوس. . .

ومضى جيش معاوية، بل هو جيش المسلمين على السُّفن محمولًا لأول مرّة كما وصفهم رسول الله ﷺ كالملوك على الأسِرَّة، ولأول مرة في تاريخ الإسلام يركب المسلمون البحر بقيادة أميرهم معاوية حتى يصلوا إلى قبرص ويحاصرونها، وتوجّه عبد الله بن سعد من مصر، فالتقى الجيشان على حصونها وفُوجىء القبرصيّون بالحصار فصمدوا، وصمدوا، ثم بدأت أعصابهم تنهار، وزادُهم ينفذ، فلم يكن لهم بدٌّ من الاستسلام والمصالحة.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثر ج ٣ ص ٤٠.
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٤٨.

«قَبِلَ المسلمون ذلك، وكانت الجزية سبعة آلاف دينار كل سنة، وكما كانوا يؤدّون إلى الروم، ولكن أُضيف للصلح شرطان أساسيان هما:

١ ـ عليهم أن يُؤذِنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم إليهم.

٢ ـ ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم»[1].

وعاد المسلمون بالنصر والغنائم والأسرى، ووقع نظر جبير بن نفير على أبي الدرداء رضي الله عنه، فراعَه أنه يبكي، فتقدّم منه وقال له:

«ما يُبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ فيه الكُفر وأهله؟».

ورفع أبو الدرداء رأسه، وقد امتلأت عيناه بالدموع، وتقدّم من جبير فضرب مَنكبيه بيده وقال له:

«ثكلتك أُمك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى، فسلّط الله عليهم السّباء، وإذا سقط السّباء على قوم فليس لله فيهم حاجة»[2].

وبدأ الجيش الإسلامي يتحرّك ليؤوب إلى الشام، وتقدّمت أُم حرام بنت ملحان من بغلتها، وهي سعيدة أن حقّق الله لها موعد نبيّه ﷺ، وشَهِدَت بأُمّ عينيها نصر المسلمين، وأتت لتركب البغلة وتنضم إلى الجيش العائد، وما إن استوَت على بغلتها حتى انتفضت البغلة وألقتها على ظهرها فأهوت على عُنقها على الأرض، فإذا هي جثه

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق.

هامدة. وبلغ الخبر زوجها عُبادة بن الصامت فهاجت شجونه، وبلغ الخبر المسلمين فخيّم عليهم الحزن العميق فترة وجيزة لوفاة هذه المُجاهِدة العظيمة. ثم اجتمعوا جميعاً ليشهدوا جنازتها، ووارُوها الثَّرى في قبرص، لتبقى ذِكرى خالدة للمسلمات المجاهِدات في سبيل الله، وما زال الناس يتبرّكون بها كلما زاروها ويطلِقون على قبرها: قبر المرأة الصالحة.

٢ ـ رؤيا النبي ﷺ في المسيح ابن مريم والدجّال

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ:

«أراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم[١] كأحسن ما يُرى من أُدم الرجال، تضرب لِمَّته[٢] بين منكِبَيه، رَجِل الشعر[٣] يقطر رأسه ماء، واضعاً بين منكبي رجُلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم.

ثم رأيت رجلًا جعداً قططًا[٤] أعور العين اليُمنى، كأشبه مَن رأيت بابن قَطَن[٥] واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: المسيح الدجال»[٦].

(١) آدم: أسمر، وأدم الرجال: سُمرهم.
(٢) اللِّمَّة: الشعر إذا تجاوز شحمتي الأُذُنين وألمَّ بالمنكبين.
(٣) رَجِل الشعر: قد سرَّحه ودهنه.
(٤) قططاً: شديد جعودة الشعر.
(٥) ابن قطن: عبد الفري، مات في الجاهلية.
(٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب «الأنبياء» باب «واذكر في الكتاب مريم» ومسلم في صحيحه، كتاب: «الإيمان» حديث رقم ٢٧٥.

وللطّواف بالكعبة في المنام تعبير عند أهل تعبير الرؤيا، فالطّواف يدلّ على الحج، ويدلّ أيضاً على التزويج، وعلى حصول أمر مطلوب من الإمام. ويدلّ أيضاً على برّ الوالدين، ويدلّ أيضاً على خدمة عالِم أو رجل صالح، والدخول في أمر الإمام. فإن كان الرّائي رفيقاً دلّ على نُصحه لسيّده[١].

٣ ـ رؤيا النبي ﷺ لبعض العُصاة والمُذنبين

رأى النبي ﷺ أنواعاً من العُصاة وأصنافاً من المُذنبين، ورأى شيئاً من الجنة والملائكة منهم مالك خازِن النار، رأى كل هذا في مشاهد وصور حينما جاء تعبيرها. وحينما نقرأ تعبيرها نجد أن تعبير الرؤيا الصادقة أمر له أُصوله في سُنَّة رسول الله ﷺ وتقول الرؤيا في نصّ الحديث:

عن سَمُرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يُعنى مما يكثر أن يقوله لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم رؤيا؟**».

قال: فَيُقَصُّ عليه ما شاء الله أن يُقَصّ... وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وأنهما ابتعثاني**[٢] **وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإذا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ**[٣] **رأسه فيتدهده**[٤] **الحجر هٰهنا، فيتّبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحّ رأسه كما كان، ثم**

(١) انظر فتح الباري ١٢/ ٤٣٥.
(٢) ابتعثاني: أرسلاني، وقيل: أيقظاني.
(٣) يثلغ رأسه: يشدخه، والشدخ: كسر الشيء الأجوف.
(٤) يتهدهده: ينحطّ، والمراد أنه يدفع الحجر من علو إلى أسفل.

يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله، ما هذان؟

قال: قالا لي: انطلق، انطلق...

فانطلقنا فأتينا على رجلٍ مُسْتَلْقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب[١] من حديد، وإذا هو يأتي أحد شِقَيّ وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه[٢]، ومِنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحوّل إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصحّ ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى... قال: قلت: سبحان الله، ما هذان؟

قال: قالا لي: انطلق، انطلق...

فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات، قال: فاطّلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا[٣]، قال: فقلت لهما: ما هؤلاء؟

قال: قالا لي: انطلق، انطلق...

فانطلقنا، فأتينا على نهر، حسبت أنّه كان يقول: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شطّ النهر رجل قد جمع عنده

---

(١) الكلوب: حديدة معوجّة الرأس يُنشَل بها الشيء أو يعلق.
(٢) فيشرشر شدقه إلى قفاه: أي يقطعه شقًا، والشّدق جانب الفم.
(٣) الضوضاة: أصوات الناس ولَغَطهم، وضوضوا: أي رفعوا أصواتهم مختلطة.

حجارة كثيرة، وإذا ذلك السّابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغَر له فاه[١] فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فَغَرَ فاه فألقمه حجراً.

قال: قلت لهما: ما هذان؟

قال: قالا: انطلق، انطلق...

قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة[٢] كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرآة، وإذا عنده نار يحُشُّها[٣] ويسعى حولها.

قال: قلت لهما: ما هذا؟

قال: قالا لي: انطلق، انطلق...

فانطلقنا فأتينا على روضة مُعتمة[٤] فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة[٥] رجل طويلا لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حوله من أكثر ولدان رأيتهم قطّ.

قال: قلت لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟

قال: قالا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا إلى روضة عظيمة لم أرَ روضة قطّ أعظم منها ولا أحسن.

---

(١) فيفغر له فاه: يفتحه.
(٢) كريه المرآة: قبيح المنظر.
(٣) يحشّها: يوقدها.
(٤) روضة معتمة: غطاها الحصيب.
(٥) وإذا بين ظهري الروضة: وسطها.

قال: قالا لي: اْرَقَ.

فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنيّة بلَبِن[١] ذهب ولَبِن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا ففتح لنا، فدخلناها فتلقّانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ.

قال: قال لهم: اذهبوا فقعوا[٢] في ذلك النهر.

قال: وإذا نهر مُعتَرِض[٣] يجري كأن ماءه المحض[٤] من البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم[٥] فصاروا في أحسن صورة.

قال: قالا لي: هذه جنّة عدن[٦] وهذاكَ منزلك.

قال: فَسَمَا[٧] بصري صُعُدًا[٨]، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء.

قال: قالا لي: هذاك منزلك.

قال: قلت لهما: بارك الله بارك الله فيكما، ذراني[٩] فأدخله.

قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله.

---

(١) اللَّبِن: جمع لَبِنَة وأصلها ما يُبنَى من طين.
(٢) فقعوا: أي انغمسوا فيه لتتغيّر وتغسل هذه الضفة بماء هذا النهر.
(٣) تعترض: يجري عرضاً.
(٤) المحض: اللبن الخالص عن الماء حلواً كان أو حامضاً.
(٥) أي صار الشطر القبيح كالشطر الحَسَن، فأصبحوا في أحسن صورة.
(٦) هذه جنّة عدن: يعني المدينة.
(٧) سما: نظر إلى أعلى.
(٨) صُعُداً: ارتفع كثيراً.
(٩) ذراني: اتركاني.

قال: قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟

قالا: أما إنَّا سنُخبرك. . . أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه[١] وينام عن الصلاة المكتوبة.

ـ وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومِنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته[٢] فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

ـ أما الرجال والنساء العُراة الذين في مثل بناء التنّور فهم الزُّناة والزّواني.

ـ وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الرِّبا.

ـ وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشّها ويسعى حولها فإنه مالِك خازِن جهنم.

ـ وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفِطرة».

قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟

فقال رسول الله ﷺ: «**وأولاد المشركين**».

---

(١) قيل: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يُوهِم أنه رأى فيه ما يُوجِب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء عُوقِب في أشرف أعضائه وهو الرأس.

(٢) يخرج مبكراً.

ـ «وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حَسَن وشطر قبيح، فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم»[(١)].

مشاهد الرؤيا وتعبيرها

انحصرت هذه الرؤيا الصادقة التي رآها رسول الله ﷺ في سبعة مشاهد ولكل مشهد من المشاهد السبعة تعبير وتأويل جاء في اللفظ النبوي الشريف نوردها حصراً من الحديث كما يلي:

١ ـ المشهد الأول

جاء المشهد في صورة مُثيرة عنيفة تدلّ على مدى خطورة العصيان والمعصية، ففي صورة هذا المشهد رجل مضطجع وآخر واقف على رأسه وفي يده صخرة، يهوي القائم على الرجل المضطجع بالصخرة فيكسر رأسه كما يُكْسَرُ الشيء الأجوف، ويقع الحجر، فيذهب إليه الرجل ليلتقطه فيعود بالحجر ليجد رأس الرجل الذي كُسِرَت وشُدِخَتْ قد التئمت وبرأت كأن شيئاً لم يكن فيضربه مرة أخرى فتُكسَر رأسه ويكرّر.

فلما سأل رسول الله ﷺ عن تأويل هذه الرؤيا وتعبيرها قيل له:

أما هذا الرجل الذي أتيت عليه تُكْسَرُ رأسه بالحجر، فإنه يأخذ بالقرآن فيرفضه، ورفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يُوهم بأنّه رأى فيه ما يُوجِب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن العظيم عُوقِبَ في أشرف أعضائه وهو الرأس.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: «التعبير» باب: «تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح».

وكان هذا الرجل ينام على الصلاة المكتوبة فجاء هذا عقابه.

٢ ـ المشهد الثاني

المشهد الثاني في رؤيا رسول الله ﷺ مشهد عنيف جدًا فها هو رسول الله ﷺ يرى في هذا المشهد رجل مُستَلْقٍ لقفاه، ورجل آخر يقف إلى جِواره ـ قائم عليه وفي يده حديدة معوَجَّة الرأس يُنْشَل بها الشيء أو يعلق، ويمسك الرجل بهذه الحديدة فيقطع بها جانب فم هذا الرجل المُستَلْقِ على قفاه، وكذلك عينه يقطعها بالحديدة وينظر إلى قفاه، ثم يتحوّل إلى الجانب الآخر من وجهه فيصيب جانب الفم والعين والأنف تقطيعاً بالحديدة إلى أن يصل إلى قفاه، فما يكاد يفرغ من جانب الوجه الأيمن تقطيعاً بالحديدة حتى يجد الأيسر قد التئم وعاد كما كان، فيعود إلى تقطيعه بالحديدة، مثل ما فعل في المرة الأولى ـ يا له من مشهد عنيف.

تعبير رؤيا المشهد الثاني

وقد جاء تعبير وتأويل وتفسير رؤيا المشهد الثاني في الرؤيا النبويّة الشريفة يقول: إن الرجل يخرج من بيته مبكراً، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وتنتشر بين الناس، وذلك لما للكذب من خطورة على مجتمع المسلمين.

٣ ـ المشهد الثالث

أما المشهد الثالث فقد تحدّث عن المُفسدين في الأرض والزُّناة فجاء بما يتناسب مع إثمهم وذنبهم، ففيه أصوات ولَغَطٌ، ثم رأى تنوراً مضيئاً فيه رجال ونساء عُراة، واللّهب يأتيهم من أسفل منهم فإذا جاء اللّهب من الأسفل وعلا رفعوا أصواتهم وزاد صُراخهم.

تعبير رؤيا المشهد الثالث

وجاء تعبير هذا المشهد من رؤيا رسول الله ﷺ، يقول: أما الرجال والنساء العُراة الذين في مثل بناء التنّور فهم الزُّناة والزّواني.

والزّنا من الكبائر وهو الذّنب الذي وُضِعَ له حدود في الدنيا وعقاب كالجَلْد والرّجم حتى الموت.

٤ ـ المشهد الرابع

يقول المشهد إن الرسول ﷺ وصاحبَيه، أتيا على نهر، أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وعلى شطّ النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ووقف ينتظر، ويظلّ الرجل السّابح في النهر يسبح، ثم يأتي إلى الشاطىء فيفتح الرجل صاحب الحجارة فم الرجل السّابح فيلقمه حجراً، فيعود ويسبح ويرجع إليه، وكلما رجع فتح فمه وألقمه حجراً وجعل يكرّر هذا الأمر.

تعبير المشهد الرابع

يجيء تعبير هذه الرؤيا في الحديث الشريف على أمر خطير ألا وهو الرِّبا الذي نهى عنه الإسلام في قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: الآيتان ٢٧٥، ٢٧٦].

وتعبير رؤيا هذا المشهد أنّ الرجل الذي أتاه الرسول ﷺ يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الرِّبا، وهذا يدلّ على حجم إثم آكِل الرِّبا الذي يقول عنه ربّ العزّة في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: الآيتان ٢٧٨، ٢٧٩].

وفي حجّته الوداعية نبّه رسول الله ﷺ إلى خطورة الرِّبا، فخطب خطبته الشهيرة التي اشتملت على أشياء كثيرة من أهمها الرِّبا، فقال ﷺ: «**وربا الجاهلية موضوع، وأول رِبا أضع من رِبانا رِبا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله**»(١).

ويقول عزّ وجلّ ناهياً عن آكِل الرِّبا وأكل أموال الناس بالباطل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عِمران: الآيات ١٣٠ - ١٣٢].

هكذا دَعَت الرؤيا الصادقة وهذا المشهد من مشاهدها إلى البُعْد عن الرِّبا لأن الله حرّمه.

٥ ـ المشهد الخامس

أما المشهد الخامس فيصف خازِن النار بأنه رجل كريه المرآة ـ أي قبيح المنظر كأكره ما أنت راءٍ رجلًا غيره قبيح المنظر ـ، وعنده النار يُوقِدها ويدور حولها ويسعى.

---

(١) انظر صحيح مسلم باب حجّة النبي ﷺ ١/ ٣٩٧.

وهذا الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يُوقِدها ويسعى حولها فهو مالِك خازِن جهنم.

وقد تحدّث القرآن عن مالِك فقال عزّ وجلّ ـ يبيِّن حواراً جرى بين مالِك وبين أهل النار من المجرمين والظالمين ـ :

﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزّخرُف: الآيتان ٧٧، ٧٨].

وقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم . . . وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. . . فقالوا: إن لصاحبكم مثلًا، فاضربوا له مثلًا . . .

فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمَن أجاب الدّاعي دخل الدار وأكل من المأدبة . . . ومَن لم يُجِبْ الدّاعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة.

فقالوا: أوِّلوها له يفقهها.

فقال بعضهم: إنه نائم. . . وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة، والدّاعي محمد ﷺ، فمَن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومَن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فرَّق بين الناس[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة» باب: «الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ».

٦ ـ المشهد السادس

انحصر المشهد الثالث في داعية حليم، وخليل حليم أوّاه، انحصر في إبراهيم عليه السلام ومكانته عند ربّ العزّة، وهذه المكانة جاءت في وصف الرؤيا له بأن كان في روضة جميلة غطّاها الخصب، فيها من كل لون الربيع، زهوراً ووروداً وحُسْنُ منظر وراحة نفس، وفي وسط هذه الروضة يقف مارِد هائل في مكانته عند ربّه طويل لا يكاد رسول الله ﷺ كما رأى في هذا المشهد من رؤياه الصادقة يرى رأسه طولًا في السماء، وهذه مكانة رفيعة حدّدتها الرؤيا عندما جاء تعبيرها في الحديث الشريف، والرؤيا الصادقة بأنه إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن وحبيبه إنّه الحليم والمتسامح الأوّاه القانت إلى ربّه حامِل رسالته وبانِي كعبته، ومن حول إبراهيم عليه السلام عدد كثير من الولدان لا يُحصَى عددهم، وقد أحاطوه في جمال ما بعده جمال، إنهم الأولاد الذين ماتوا على الفِطرة صغاراً، حتى ولو كانوا أولاد المشركين عندما استوضح الناس من الرسول ﷺ، وقالوا: وأولاد المشركين؟ فأجابهم عليه السلام وأولاد المشركين ـ لأنهم على الفِطرة ـ.

٧ ـ المشهد السابع

أما المشهد السابع فقد كان مكانه راقياً عالياً، رأى فيه رسول الله ﷺ مدينة مبنيّة بطُوب من ذهب وآخر من فضة، فأتوا باب المدينة، فطلبوا فتحها ففُتِحَت لهم، فدخلوها فتلقّوهم رجال على قدر عظيم من الجمال كأحسن ما رأى رسول الله ﷺ من جمال، ورأى مجموعة أخرى من الرجال شكلهم قبيح كأقبح ما رأوا.

فنودِيَ على هؤلاء القوم الذين كانوا قبيحي المنظر، وقالوا لهم: انزلوا في هذا النهر، وكان النهر مُعتَرِضاً طريقهم يجري كأن ماءه لبناً

حُلواً خالصاً من شدّة البياض، فذهبوا فغمروا أجسامهم فيه، ثم رجعوا إلى الرسول وصحبه وقد ذهب عنهم القُبْح فصار الشطر القبيح من الرجال كالشطر الحَسَن، وبذلك أصبحوا في أحسن صورة.

تعبير رؤيا المشهد السابع

عبَّر الحديث النبوي عن هؤلاء القوم الذين وصفهم المشهد السابع من رؤيا رسول الله ﷺ فقال مُعَبِّراً ومفسِّراً له: وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حَسَن وشطراً قبيح، فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم[١].

(١) رواه البخاري في صحيحه. كتاب: «التعبير»، باب: «تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح».



رؤيا النبي ﷺ للوحي أول مرة

كان رسول الله ﷺ إذا استدار العام وجاء شهر رمضان ذهب إلى غار حِراء وعاد إلى تفكيره وتأمّله يُنْضجه شيئاً فشيئاً وتزداد نفسه به امتلاءً، وبعد سنوات شغلت أثناءها هذه الحقائق العليا نفسه، صار يرى في نومه الرؤيا الصادقة تنبلج أثناءها أمام باصِرته أنوارُ الحقيقة التي يَنْشُد، ويرى معها باطل الحياة وغرور زُخرفها. إذ ذاك آمَنَ أن قومه قد ضلّوا سبيل الهدىٰ، وأنَّ حياتهم الروحيّة قد أفسدها الخضوع لأوهام الأصنام وما إليها من عقائد متّصلة بها ليست دونها ضلالًا، وليس فيها ما يذكر اليهود وما يذكر النصارى ما يُنقذ قومه من ضلالهم، ففيما يذكر هؤلاء وأولئك حق؛ لكن فيه كذلك ألواناً من الوهم، وصوراً من الوثنية، لا يمكن أن تتفق مع الحق المجرد البسيط الذي لا يعرف كل هذه المُضارَبات الجدلية العقيمة مما يُمعِن هؤلاء وأولئك من أهل الكتاب، وهذا الحق هو الله خالق الكون لا إله إلا هو.

وشارف محمد ﷺ الأربعين من العمر، وذهب إلى غار حِراء يتعبّد وقد امتلأت نفسه إيماناً بما رأى في رُؤاه الصادقة وقد خلصت

نفسه من الباطل كله، وقد أدّبه ربّهُ فأحسن تأديبه، وقد اتجه بقلبه إلى الصراط المستقيم وإلى الحقيقة الخالدة. وقد اتّجه إلى الله عزّ وجلّ بكل روحه أن يهدي قومه بعد أن ضربوا في طريق الضلال.

وهو عليه السلام في توجّهه هذا يقوم ويُرهف ذِهنه وقلبه، ويُطيلُ الصّوم، وتثور به تأمّلاته، فينحدر من الغار إلى طريق الصحراء، ثم يعود إلى خَلوَته، ليعود فيمتحِن ما يدور بذِهنه وما يتبيّن له في رُؤاه، ولقد طالت به الحال ستة أشهر، حتى خَشِيَ على نفسه عاقِبة أمره، فأسرَّ بمخاوفه إلى خديجة وأظهرها على ما يرى، وأنه يخاف عَبَث الجنّ به، فطمأنته الزوج المخلصة الوفيّة، وجعلت تحدّثه بأنه الأمين، وبأن الجنّ لا يمكن أن تقترب منه، وإن لم يَدُرْ بخاطرها ولا بخاطره أنّ الله يهيِّىء مُصطَفاه بهذه الرياضة الروحية إلى اليوم العظيم، وإلى النبأ العظيم، يوم الوحي الأول، ويهيِّئه بها إلى البَعْث والرسالة فجاءت رُؤياه الصادقة بداية لهذه الرسالة العظيمة.

وفيما هو نائم بالغار يوماً جاءه مَلَك وفي يده صحيفة، فقال له: اقْرأ فأجابه مأخوذاً: «**ما أقرأ؟**»! فأحسَّ كأن المَلَك يخنقه ثم يرسله ويقول له: اقرأ. قال محمد ﷺ: «**ما أقرأ؟**»! فأحسّ كأن المَلَك يخنقه كَرَّة أخرى، ثم يرسله ويقول: اقرأ. قال محمد ﷺ ـ وقد خاف أن يُخنَق مرة أُخرى ـ: «**ماذا أقرأ؟**»! قال المَلَك: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: الآيات ١ - ٥]، فقرأها وانصرف المَلَك عنه وقد نُقِشَت في قلبه.

وقد روى الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

كان أول ما بُدِىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلَق الصّبح ثم حُبِّبَ إليه الخَلاء[١]. فكان يخلو بغار حِراء يتحنَّث فيه[٢] ـ وهو التعبّد ـ الليالي أُولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى فجئه[٣] الحقّ وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارىء**»[٤]. قال: «**فأخذني فغطَّني**[٥] **حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**». فقال: اقرأ. قلت: «**ما أنا بقارىء**». قال: «**فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**». فقال: اقرأ. فقلت: «**ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال**»:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: الآيات ١ - ٥].

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «**زمّلوني زمّلوني**»[٦]، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع.

ثم قال لخديجة: «**أي خديجة، ما لي؟!**»، وأخبرها الخبر. قال: «**لقد خشيت على نفسي**».

---

(١) الخلاء: الخلوة، وإنما حُبِّبَت له الخلو لأنه معها فراغ القلب.
(٢) يتحنّث: يعبد.
(٣) فجئه الحق: جاءه الوحي.
(٤) أي لا أُحسِن القراءة.
(٥) غَطّني: ضمّني وعصرني.
(٦) غطّوني بالثياب ولفّوني بها.

قالت له خديجة: كلا، أبشِر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً... والله إنَّكَ لتَصِل الرَّحِم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ[١]، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى، وهم أبناء عمّ خديجة أخي أبيها، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي.

فقالت له خديجة: أي عمِّ، اسمع من ابن أخيك!

قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه...

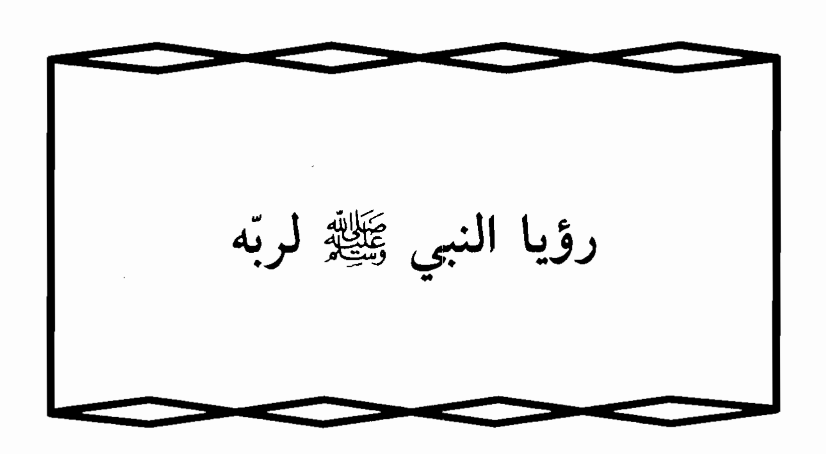
فقال له ورقة: هذا الناموس[٢] الذي أُنزِلَ على موسى عليه السلام، يا ليتني فيها جذعاً[٣].

قال رسول الله ﷺ: «**أوَمُخرِجيَّ هم؟**».

قال ورقة: «نعم، لم يأتِ رجل قطّ بما جئت به إلّا عُودِيَ، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً»[٤].

---

(١) الإنفاق على اليتيم والضعيف.
(٢) الناموس: جبريل عليه السلام.
(٣) جذعاً: أي ليتني أكون حيًّا حين يُخرِجُك قومك حتى أُبالغ في نصرك.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب: «التعبير»، باب: «أول ما بُدِىء به رسول الله ﷺ من الوحي، وكذا صحيح مسلم: كتاب «الإيمان» حديث رقم **٢٥٢**.



رؤيا النبي ﷺ لربّه

وقد رأى النبي ﷺ ربّه في منامه وهذا اختصاص به عليه السلام وتكريم له، فقد روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني ربّي في أحسن صورة ـ قال: أحسبه في المنام، فقال: يا محمد، هل تدري فِيمَ يختصم الملأ الأعلى؟**

قلت: لا...

قال: فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدت بردها في ثَديَيَّ ـ أو قال في نحري ـ فعلمتُ ما في السمٰوات وما في الأرض.

قال: يا محمد، هل تدري فِيمَ يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: نعم...

قال: في الكفّارات، والكفّارات المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء على المكاره، ومَن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أُمه.

وقال: يا محمد، إذا صلّيت فقل: اللّهمَّ أسألك فِعْل الخيرات، وترك المُنكَرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.

قال: وللدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نِيام»[١].

وفي رواية للترمذي أيضاً، عن معاذ بن جبل قال: احتبس عنّا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نترايا عين الشمس، فخرج سريعاً فثوّب بالصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم دعا بصوته، قال لنا: «**على مصافِّكم كما أنعم**»، ثم انفتل إلينا ثم قال: «**أما إني سأُحدِّثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصلّيت ما قُدِّرَ لي فنعِستُ في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي ـ تبارك وتعالى ـ من أحسن صورة فقال :ـ يا محمد،** . . .

قلت: لبّيك ربِّ. . .

قال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى[٢].

قلت: لا أدري. . . قالها ثلاثاً. . .

قال: فرأيته وضع كفّه بين كتفي حتى وجدت بردَ أنامله بين ثديَيَّ فتجلّى لي كل شيء وعرفت.

---

(١) رواه الترمذي في الجامع باب سورة صٓ.

(٢) الملأ الأعلى: هم الملائكة الكِرام سكّان السمٰوات وما فوقهنّ من الكرسي والعرش، واختصاصهم في ذلك إما أن يكون في التسابق إلى كتابة ثواب هذه الأمور، ومعرفة ثوابها، وإما إنهم يتمنّون أن يكونوا من أهل الأرض حتى يتمكّنوا من التسابق في هذه الأعمال ليقينهم من جزيل الثّواب وحُسْن عاقبتها.

فقال: يا محمد، . . .

قلت: لبَّيك ربِّ. . .

قال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: في الكفّارات.

قال: وما هُنَّ؟

قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات.

قال: فِيمَ؟

قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نِيام.

قال: سَــلْ.

قلت: اللَّهمَّ أسألك فِعْل الخيرات، وترك المُنكَرات، وحبّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفّني غير مفتون، أسألك حُبّك، وحبّ مَن يحبّك، وحبّ عملٍ يقرِّب إلى حبّك».

قال رسول الله ﷺ: «إنّها حق، فادرسوها ثم تعلَّموها».



رؤيا النبي ﷺ في عائشة قبل أن يتزوّجها

«أُرِيتُكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بك المَلَك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه»[1].

رأى النبيُّ ﷺ رُؤْيا في منامه بعد وفاة زوجته خديجة، وكان قد جِيءَ له في هذه الرؤيا بقطعةِ قُماشٍ من حرير أخضَرَ مَطويّة، فلما فتح طيّاتها وَجَدَ بداخلها رَسْماً لصورة عائشة بنت صدّيقه الحميم أبي بكر... وسمع قائلًا يقول له:

ـ هذه صورة زوجتك في الدنيا والآخرة.

وعادت هذه الرؤيا النبي مرة ثانية في ليلة أخرى وسمع قائلًا يقول له:

ـ يا رسول؛ هذه تُذْهِبُ بعض حُزنك، وإن في هذه خَلَفاً من خديجة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: «فضائل الصحابة».

وتعجّب النبي ﷺ من هذا الأمر؛ يرى رؤيا، ثم يرى هذه الرؤيا نفسها في ليلة أخرى!! ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن كان هذا من عند الله فليُمْضِه**»!.

وكان من أسباب الاستعجاب لدى النبي ﷺ أن عائشة بنت أبي بكر والتي رأى صورتها في قطعة الحرير التي قُدِّمت إليه في المنام ـ كانت لا تزال وقتئذٍ طفلة صغيرة حَدَثَةً، لا يزيد عُمْرُها على ستّ سنوات، فأنّى لهذه الطفلة بالزواج. . .؟! وأنّى لهذه الحَدَثَةِ أن تكون زوجةً له. . .؟! وأنّى لها أن تَسُدَّ فراغ خديجة. . .؟!.

كانت عائشة الطفلةُ حقًّا مصدَرَ سرور للرسول ﷺ منذ أن عاد بها حاضِنوها من بني مخزوم من البادية إلى دار أبَوَيها. وكان للرسول ﷺ من لُطفها وخفَّة روحها ما كان يُسَرِّي عنه ويُدخِل السرور إلى قلبِهِ، وكان لِما يلمسه من ذكائها وفِطنتها وتوقُّد ذِهنها ما يُحبِّبه فيها، وما يجعله يعجب بها.

كان الرسول ﷺ يتردّد كثيراً على منزل صديقه أبي بكر، الذي كان يُصادقه ويُؤاخيه ويُؤازره، والذي آمَنَ لمحمدٍ ﷺ عندما دعاه إلى الإسلام دون توانٍ أو تردّد، ثم كان له من بعد ذلك عَوْناً كبيراً على نشر رسالة الإسلام، وصدّ أذى المشركين من قريش.

وبمنزل أبي بكر كان محمد ﷺ يرى عائشة الطفلة الصغيرة، وكان يَلحظها ويرعاها، وكان يُلاعبها ويُداعبها، فدَرَجت بين يديه، وشبّت أمام عينيه، وكان كثيراً ما يُوصي بها أمّها ـ أُم رومان بنت عمير بن عامر ـ خيراً. وكان كثيراً ما يقول لها حين يُوصيها بها:

«**يا أُم رومان؛ استوصي بعائشة خيراً، واحفظيني فيها**».

وإذ يدخل محمد ﷺ يوماً إلى دار أبي بكر فيجد عائشة تبكي، ويعرف أن سبب بُكائها هو اشتداد أُمِّها عليها، فيُقبِل على أم رومان مُعاتِباً لائماً قائلًا لها:

«يا أُمَّ رومان! ألم أُوصِكِ بعائشة أن تحفظيني فيها...؟!».

فتقول أُمّ رومان معلِّلة ما كان منها لابنتها: يا رسول الله؛ إنها بَلَّغَتْ عنِّي الصِّدِّيق، وأغضبته علينا. فيقول النبي ﷺ:

«وإن فعلت».

فتقول أُم رومان: لا جَرَمَ، ولا سُؤْتُها أبداً.

وهكذا كان النبي ﷺ يحمي عائشة الصغيرة، وهكذا كان ينتصر لها، ويشفع فيها!

وماتت خديجة بنت خويلد زوجة محمد ﷺ وأُمّ أولاده التي صَدَّقت بمحمد ﷺ أول مَنْ صَدَّقَ، وآمنت له أوّل مَن آمَنَ، وشجّعتْهُ على جهاد النُّبوَّة وعاونته على تَحَمُّل أعْباء الرسالةِ، وكانت له خَيْرَ مُرشِد منذ تزوَّجته وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وكانت له وزير صِدقٍ منذ نزل عليه الوحي وعمره أربعون سنة إلى أن ماتت بعد أن اختاره الله لحمل رسالته بنحو عشر سنوات.

وَوَجَدَ النبي ﷺ على خديجة، وَجْداً شديداً، وحزن على وفاتها حُزْناً عظيماً، ومن قبل موت خديجة كان موت أبي طالب عمّ النبي ﷺ الذي كَفِله صغيراً، وحَدَبَ عليه كبيراً، وكان له أيضاً أكبر مُعين، وأول ناصِر.

وبموت أبي طالب، وخديجة فَقَدَ محمد ﷺ حبيبين عزيزين وفِيَّين، كان له فيها العَون والسَّنَد، وبوفاتهما وَقَعَ النبي ﷺ تحت تأثير هَمٍّ شديدٍ وحُزنٍ عميق.

وخِيفَ على رسول الله ﷺ من هذا الحزن الشديد، وفكَّر أصحابه فيما يجب عليهم أن يفعلوه للتخفيف عنه، فرأوا أن خير ما يفعلونه هو أن يعملوا على زواجه، لعلّ في ذلك ما يُسَرِّي عنه ولعلّ فيه بعض العَوَض عن فَقْد خديجة.

وكانت فكرة زواجه بعائشة رضي الله عنها، ونعود إلى حديث الرؤيا التي رأى فيها ما يدعوه إلى الزواج من عائشة.

حديث رؤياه في عائشة قبل أن يتزوّجها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُرِيتُكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بك المَلَك في سَرَقَة[١] من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهكِ فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه**»[٢].

وعند البخاري، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ النبي ﷺ قال لها: «**أُرِيتُكِ في المنام مرتين، أرى أنك في سَرَقَة من حرير، ويقول: هذه امرأتك، فأكشف عنها، فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه**»[٣].

(١) السرقة: الشقق البيض من الحرير.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: «فضائل الصحابة»، حديث رقم ٧٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: «مناقب الأنصار»، باب: «تزويج النبي ﷺ عائشة وقُدومها المدينة».

وقد تحدّث الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عن هذه الرؤيا فقال: في قوله ﷺ: «**فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه**».

قال القاضي: إن كانت هذه الرؤيا قبل النُّبوَّة وقبل تخليص أحلامه ﷺ من الأضغاث، فمعناها: إن كانت رؤيا حق، وإن كانت بعد النبوّة فلها ثلاث معانٍ:

الأول: أن المراد إن تكن الرؤيا على وجهها وظاهرها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير فسَيُمضه الله تعالى ويُنجزه، فالشك عائد إلى أنها رؤيا على ظاهرها لم تحتاج إلى تعبير وحرف على ظاهرها.

والثاني: أن المراد إن كانت هذه الزوجة في الدنيا يُمْضِها الله، فالشك أنها زوجته في الدنيا أم في الجنة.

والثالث: أنّه لم يشكّ ولكن أُخبِرَ على التحقيق وأُتِيَ بصورة الشك كما قال: أأنت أم أُم سالم... وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمّونه تجاهل العارِف، وسمّاه بعضهم مزج الشك باليقين(١).

وقول آخر(٢): رؤيا المرأة في المنام يختلف على وجوه:

- منها أن يتزوّج الرائي حقيقة بمَن يراها أو شبهها.

- ومنها يدلّ على حصول دنيا أو منزلة فيها، أو سعة في الرزق... وهذا أصل عند المُعَبِّرين في تعبير الرؤيا.

- وقد تدلّ المرأة بما يقترن بها في الرؤيا على فتنة تحصل للرائي.

وأما ثياب الحرير فيدلّ اتخاذها للنساء في المنام على النكاح، وعلى العزاء، وعلى الغِنى، وعلى زيادة في البدن.

---

(١) انظر شرح النووي ١٥/٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر فتح الباري ١٢/٤١٨ قول ابن بطّال.

قالوا: والملبوس كله يدلّ على جسم لابِسِه لكونه يشتمل عليه، ولا سيما واللباس في العُرْف دالٌّ على أقدار الناس وأحوالهم[١].

نعود إلى زواج الرسول ﷺ وهو تأويل رؤياه الصادقة لزواجه من عائشة رضي الله عنها، فالسيدة عائشة رضي الله عنها هي التي قال عنها مؤرِّخوا السِّيرة العَطِرة: لم ينكح امرأة أبواها مهاجران سواها، وأن أباها وجدّها صحابيّان[٢].

وقد بدأت خطوات زواجه ﷺ من عائشة بالخطبة، فقد عرضت عليه خولة بنت حكيم بعد وفاة خديجة ووضوح حزنه على وفاتها، فقالت خولة بنت حكيم للرسول ﷺ: يا رسول الله، ألا تتزوج؟

فسألها: «مَن»؟

قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيّباً؟

فقال: **«ومَن البكر ومَن الثيِّب»**؟

فذكرت خولة أن البكر هي عائشة ابنة أحبّ خلق الله إليه. وأن الثيِّب هي سَودة بنت زمعة التي آمنت به واتّبعته.

عندئذ أذِنَ الرسول ﷺ لخولة بنت حكيم أن تذهب إليهما «عائشة» و«سودة» وتخطبهما، فوفدت خولة إلى بيت أبي بكر الصدّيق، وتحدّثت خولة بنت حكيم السّلمية عن خطبتها لعائشة رضي الله عنها فقالت[٣]:

ـ دخلت بيت أبي بكر فوجدت «أُم رومان» أُم عائشة، فقلت لها:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإصابة للزركشي.

(٣) عن تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٧٦.

ـ أي أُمّ رومان، ماذا أدخَلَ الله عليكم من الخير والبركة!

قالت: وما ذاك؟

أجبت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب له عائشة:

فقالت: وددت، . . . انتظري أبا بكر فإنه آتٍ . . .

وجاء أبو بكر فقلت له: يا أبا بكر، ماذا أدخَلَ الله عليك من الخير والبركة! أرسلني رسول الله ﷺ أخطب «عائشة».

قال وقد ذكر موضعه من الرسول: وهل تصلح له؟ . . . إنما هي ابنة أخيه . . . فَرَجِعْتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت له ذلك، فقال:

ـ «**ارجعي إليه فقولي: أنت أخي في الإسلام، وأنا أخوك، وابنتك تصلح لي**».

فأتيت أبا بكر، فذكرت له فقال: «انتظريني حتى أرجع»[1].

وقالت أُمّ رومان تبيِّن وتوضِّح الموقف لخولة بنت حكيم السّلمية:

إن المطعم بن عدي كان قد ذكر عائشة على ابنه «جبير» ولا واللهِ ما وعد أبو بكر شيئاً قطّ فأخلف.

فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أُم جبير ـ وكانت مُشرِكة ـ فقالت العجوز: يا ابن أبي قحافة، لعلّنا إن زوّجنا ابنتك، أن تصبئه وتُدخِله في دينك الذي أنت عليه[2]؟

(١) تاريخ الطبري، والسمط الثمين ص ٣١.
(٢) السمط الثمين ص ٣١.

فلم يَرُدّ عليها «أبو بكر» بل التفت إلى زوجها المطعم فقال: ما تقول هذه؟

أجاب المطعم: إنها تقول «الذي سمعت».

فخرج أبو بكر وقد شعر بارتياح لما أحلّه الله من وعده، وعاد إلى بيته فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ...

فمَضَت خولة إليه ﷺ فدعته، فجاء بيت صاحبه أبي بكر، فخطب عائشة وهي يومئذ بنت ست سنين أو سبع، وكان صداقهما خمسمائة درهم...

ثم هاجرت عائشة رضي الله عنها إلى المدينة، فبعد أن استقرّ ﷺ في دار هجرته، بعث زيد بن حارثة إلى مكة ليصحب بنات الرسول ﷺ إليها، ومعه رسالة من أبي بكر إلى ابنه عبد الله، يطلب إليه فيها أن يلحق به، مصطحباً زوجته أُم رومان، وابنتيه «أسماء، وعائشة» وكان مع زيد بن حارثة «أبو رافع» مولى النبي ﷺ.

وتهيّأ الجَمْع للسفر، وخرجوا ضحية يريدون مدينة الرسول ﷺ فلما كانوا ببعض الطريق نفر بعير عائشة، فاستغاثت أُم رومان قائلة وهي مذعورة: «وابنتاه واعروساه»(١).

فأسرع عبد الله بن أبي بكر، وطلحة بن عبد الله، وزيد بن حارثة، وأبو رافع، فردّوا البعير النافر، ومن ثم سكنت عائشة فوق راحلتها وتنهّدت ـ ثم مضى الرّكب إلى المدينة.

---

(١) الإصابة والاستيعاب: في ترجمة أُم رومان، وانظر تاريخ الطبري في حوادث الهجرة.

وفي المدينة هيّأ النبي ﷺ داراً لعائشة، وتحدّث أبو بكر بعد الهجرة بأشهر معدودات إلى النبي ﷺ في إتمام الزواج الذي عقده بمكة منذ ثلاث سنين.

لبّى رسول الله ﷺ دعوة أبي بكر راضياً، وخرج عليه السلام مع رجال ونساء من الأنصار إلى منزل صديقه وصهره، حيث كان ينزل بأهله، في بني الخزرج.

وتصف عائشة رضي الله عنها يوم عُرسها فتقول:

جاء رسول الله ﷺ بيتنا فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أُمي وأنا في أُرجوحة بين عذقين، فأنزلتني ثم سَوَّت شعري ومَسَحَت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى إذا كنت عند الباب، وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي، ثم أدخلتني ورسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا، فأجلستني في حجره وقالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهنّ، وبارك لهنَّ فيك[١]. وصدقت رؤيا رسول الله ﷺ التي قالها لعائشة رضي الله عنها:

«أُرِيتُكِ في المنام مرتين، أرى أنك في سَرَقَة من حرير، ويقول: هذه امرأتك... فأكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه»[٢].

وكانت رؤياه حقٌّ ﷺ.

ولما دخل رسول الله ﷺ أكملت عائشة قولها:

---

(١) السمط الثمين ص ٣٢، وفي الوفاء للسمهوري ١/ ٢٦٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب: «مناقب الأنصار»، باب: «تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة».

«ووثب القوم والنساء، فخرجوا، وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي، ما نُحِرَت عليَّ جذور ولا ذُبِحَت من شاة، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين، حتى أرسل إلينا سعد بن عُبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ».

وحُمِلَ إليهما كذلك قدح من لبن، شرب الرسول ﷺ منه، ثم تناولته عروسه عائشة رضي الله عنها على استحياء فشربت منه.

وكانت عائشة رضي الله عنها عروساً حلوة خفيفة الجسم، ذات عينين واسعتين، وشعر جَعْد، ووجه مُشرِق، مُشرَب بالحُمرة، رضي الله عنها.

رؤيا النبي ﷺ لما وقع في أُحُد ومقتل حمزة

ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: «**رأيت في المنام أني أُهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وَهَلي إلى أنّها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً، والله خيرٌ فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أُحُد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بَعدُ وثواب الصدق الذي أتانا الله بعد يوم بدر**»[1].

ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحُد فقال: «**رأيت في سيفي ذا الفقار فلاً فأوّله فلّا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشاً فأوّلته كبش الكتيبة، ورأيت أني في درعٍ حصينة فأوّلتها المدينة، ورأيت بقراً تُذبَح، فبقر والله خير فبقر والله خير**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فكان الذي قال رسول الله ﷺ[١] فقتل عمّه حمزة بن عبد المطّلب والبقر التي تُذبَح هو ما حصل في المسلمين يوم أُحُد.

اتصل تأويل هذه الرؤيا بأحداث غزوة أُحُد ـ فلما أُصيبت قريش يوم أُحُد ورجع فلُّهم إلى مكة، وعاد أبو سفيان بقافلته، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُمية في رجال من قريش ممّن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان ومَن كانت لهم في تلك العِير تجارةٌ، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد جَعَلَ لكم عنده ثأراً وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه، فلعلّنا ندرك منه ثأرَنا بمَن أصاب منّا، ففعلوا، واجتمعت قريشٌ ومَن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة لحرب رسولِ الله ﷺ.

وخرجت قريش بحلفائها ومَن تَبِعها من بني كِنانة وأهل تِهامة، وخرَّجُوا معهم نساؤهم لئلا يفرُّوا.

وخرج أبو سفيان بن حرب ـ وهو قائد الناس ـ بهند بنت عُتْبَة زوجته، وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أُم حكيم بنت الحارث، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد، وكذلك غيرهم.

وأقبلوا جميعاً حتى نزلوا بعينين[٢] في جبل ببطن السَّبْخَة على ناحية الوادي مما يلي المدينة.

---

(١) رواه أحمد والبزار والحاكم والبيهقي في الدلائل، وصحّحه الحاكم والذهبي، وروى الترمذي وابن ماجه طرفاً من أوّله.

(٢) جبل بأُحُد.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمين، وعرف أنهم نزلوا حيث نزلوا قال النبي ﷺ للمسلمين رؤياه التي نتحدّث عنها هنا في سياق أحداث غزوة أُحُد وتأويلها.

قال عليه السلام: «**إني رأيت والله خيراً، رأيت بقراً تُذْبَح، ورأيت في ذُباب سيفي ثَلْماً**[١]**، ورأيت أني أدخلت يدي في درعٍ حصينة؛ فأوّلتها المدينة؛ فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعوهم حيثُ نَزَلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها**».

فقال رجالٌ من المسلمين: يا رسول الله؛ اخْرُجْ بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جَبُنّا عنهم وَضَعُفْنا.

فقال عبد الله بن أُبيّ (المنافق): يا رسول الله؛ أقِم بالمدينة ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطّ إلا أصاب منّا، ولا دخلها علينا عدوٌّ إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساءُ والصبيان بالحجارة من فوقهم؛ وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا.

ولكن بعض المسلمين ـ ممّن أحبّوا لقاء قريش ـ ما زالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته، ولبس درعه، ثم خرج فلما رأوه قد لَبِسَ السلاح ندموا، وقالوا: بئس ما صنعنا! استكرهنا رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك لنا، أنُشير على النبي ﷺ والوحي يأتيه.

وقاموا فاعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما رأيت، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ينبغي لنبي إذا لَبِسَ لأمته أن يضعها حتى يقاتل**».

---

(١) ذُبابُ السيف: حدّه أو طرفه، وثلماً: كسراً ـ أي إنه رأى في طرف سيفه كسراً.

واستعمل رسول الله ﷺ بالمدينة ابن أم مكتوم، يصلّي بالناس، وخرج في ألف من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط ـ بين أُحُد والمدينة ـ انخذل عنه عبد الله بن أُبَيّ بثُلث الناس، وقال: أطعناهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علامَ نقتُل أنفسنا هٰهنا أيّها الناس!.

واتّبعه عبد الله بن عمرو، وهو يقول له ولمَن معه: يا قوم أذكِّركم الله! لا تخذلوا قومكم ونبيّكم! قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلّا الانصراف قال لهم: أبعدكم الله يا أعداء الله! فسيُغني الله عنكم نبيَّه.

ولم يُثْنِ المسلمين ذلك الموقف، بل ساروا إلى هدفهم.

ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل الطريق في جبل أُحُد في عَدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره، وعسكره إلى أُحُد، وقال: **«لا يقاتلنّ أحَدٌ منكم حتى نأمره بقتال، وأمر عبد الله بن جبير على الرّماة»**، وقال له: **«انضح الخيل عنّا بالنّبل لا يأتوننا من خلفنا، وإن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانَكَ، لا نؤتينّ من قبلك»**، وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين، ودفع اللّواء إلى مصعب بن عُمَير، أمّا قريش فقد عبّأت وجهّزت ثلاثة آلاف رجل، معهم مائتا فرس قد سيّروها بجانبهم، وجعلوا على مَيمَنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى مَيسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار، يحرّضهم على القتال:

يا بني عبد الدار، إنكم قد وُلِّيتم لواءَنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتى الناس من قِبَل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أن

تكفونا لواءنا، وإمّا أن تُخَلّوا بيننا وبينه فهمّوا به وتواعَدُوه، وقالوا: نحن نُسَلِّمُ إليك لواءَنا! ستعلم غداً إذا التَقَيْنَا كيف نصنع!.

والتقى الناس ودَنَا بعضهم من بعض، فقامت هند بنت عُتبة في النّسوة اللائي معها، وأخذْنَ الدّفوف يضربن بها خلف الرجال يحرِّضنهم، فقالت هند:

وِيها بني عبد الدار وِيها حُماة الأدبار
ضرباً بكُلِّ بتّار
إن تُقبِلُوا نُعانق ونفرش النَّمارق
أو تُدبِروا نُفارق فِراق غير رامق

وقال النبي ﷺ: «**مَن يأخذ سيفي هذا بحقه؟**»، فقام إليه الرجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة، فقال: وما حقُّه يا رسول الله؟ قال: «**أن تضرب به العدو حتى ينحني**»، قال: أنا آخذه بحقه، فأعطاه إيّاه، فلما أخذه من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته الحمراء فعصب بها رأسه، وخرج وهو يقول:

إنّي امرؤٌ عاهدني خليلي ألّا أقومَ الدهر في الكيُّولِ[1]
أضرب بسيف اللهِ والرَّسول ضربَ غلامٍ ماجِدٍ بُهْلولِ[2]

ثم جعل يتبختر بين الصَّفين، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «**إنّها لمِشْيَةٌ يبغضها الله إلّا في مثل هذا الموطن**». وجعل أبو دجانة لا يلقى أحداً إلا قتله، حتى انتهى إلى نسوة في سفح الجبل، معهنّ دفوف لهنّ،

(١) الكيول: مؤخر الصفوف.
(٢) البهلول: السيد الجامع لكل خير.

وبينهنّ امرأة تقول:

نـحـن بـنـاتُ طـارِق　　　إن تُـقْـبِـلـوا نُـفـارِقْ

فرفع السيف ليضربها، ثم كفَّ عنها، لأنه أكرم سيفَ رسول الله ﷺ أن يضرب به امرأة.

ونظر وحشيٌّ غلام جبير بن مطعم إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه ما يُبقِي على شيء، فهزَّ حِربَته، ودفعها إليه فخرّ صريعاً.

وقاتل مصعب بن عمير حتى قُتِل فأعطى النبي اللّواء عليّ بن أبي طالب، فقاتل به، وقاتل المسلمون حتى أنزل الله نصرَه عليهم، وصَدَقهُم وعده، فهزموا المشركين، وحسُوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العَسْكر، وأصابوا أصحاب اللّواء، ولم يزل لِواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فاجتمعوا حوله، وفي ذلك قال حسّان:

فـلولا لـواءُ الـحـارثـيـة أصـبـحـوا
يُـبـاعـون فـي الأسـواق بـيـع الـجـلائـب

وأتى المسلمون من خلفهم فانكشفوا، وهُزِمَ المسلمون لأن الرّماة تركوا أماكنهم، وأُصيب رسول الله ﷺ في وجهه وسالَ الدم منه فكان يمسح الدم وهو يقول: «**كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيّهم، وهو يدعوهم إلى ربّهم**».

وكان مقتل حمزة في هذا اليوم هو أشدّ ما أصاب رسول الله ﷺ وأدمَى فؤاده، إن قاتِله هو وحشيّ بن حربِ الحبشي، المُكَنَّى بأبي وَسَمَة، ومقتل حمزة هو تأويل رؤيا رسول الله ﷺ عندما قال: «**إني رأيت والله خيراً، رأيت بقراً تُذْبَح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً**».

وحدَّث بعضهم أن رسول الله ﷺ قال: «**فأما البقر فناس من أصحابي يُقتَلون، وأما الثَّلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتَل**».

وقُتِلَ حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وعمّ النبي ﷺ، وقاتله وحشيّ بن حرب الحبشي، الذي سنتركه يتحدّث عن قصة مقتله لحمزة وهي تأويل رؤيا رسول الله ﷺ.

قال وحشيّ بن حرب: كنت غلاماً رقيقاً لجُبَيْر بن مطعم أحد سادة قريش، وكان عمُّه طُعَيْمَةُ قد قتل يوم بدر على يد حمزة بن عبد المطلب، فحزن عليه أشَدَّ الحُزْن، وأقسَمَ باللّات والعُزَّى لَيثأَرَنَّ لِعَمِّه، وَلَيَقْتُلَنَّ قاتِلَه... وجعل يتربّص بحمزة الفُرَص.

ولم يمضِ على ذلك طويلُ وقتٍ حتى عقدت قريش العَزْم على الخروج إلى أُحُد للقضاء على محمد بن عبد الله، والثّأر لقَتلاها في بدرٍ، فكتَّبت كتائبها، وجمعت أخلافها، وأعدَّت عُدَّتها، ثم أسلمت قيادها إلى أبي سفيان بن حرب.

فرأى أبو سفيان أن يجعل مع الجيش طائفةً من عقيلاتِ قريشٍ ممَّن قُتِلَ آباؤُهُنَّ أو أبناؤهُنَّ أو إخوتهنّ أو أحَدٌ من ذَويهنَّ في بدرٍ، ليُحَمِّسَنَّ الجيش على القتال، ويَحُلْنَ دون الرِّجالِ ودون الفرارِ؛ فكان في طليعَةِ مَن خرج معه من النساءِ زوجُهُ هِنْدُ بنتُ عتبة.

وكان أبوها وعمُّها وأخوها قد قتلوا جميعاً في بدر... ولمّا أوشك الجيش على الرَّحيل، التَفتَ إليَّ جُبَيرُ بنُ مُطْعِمٍ وقال: هل لكَ يا أبا وَسَمَةَ في أن تُنْقِذَ نَفْسَكَ من الرِّقِّ؟

قلت: ومَن لي بذلك؟

قال: أنا لك به.

قلت: وكيف؟

قال: إن قتلت حمزةَ بن عبد المطلب عمَّ محمدٍ بعمّي طُعيمَةَ بن عَدِيٍّ فأنت عتيق.

قلت: ومَن يضمن لي الوفاء بذلك؟

قال: مَن تَشاءُ، ولأُشْهِدَنَّ على ذلك الناس جميعاً.

قلت: أفعل، وأنا لها...

قال وحشيّ: وكنت رجلًا حَبَشيًّا أَقذِفُ بالحِربَةِ قَذْفَ الحبشية فلا أُخطِيءُ شيئاً أرميه بها.

فأخذت حِربتي ومضيت مع الجيش، وجعلت أَمْشي في مؤخرة قريباً من النساء؛ فما كان لي أَرَب وغاية بقتال.

وكنت كلّما مررت بهند زوجَ أبي سفيان أو مرّت بي ورأت الحِربَة تلتمعُ في يدي تحت وهج الشمس تقول: أبا وَسَمَة، اِشْفِ واستَشْفِ - أي اشْفِ غيظَ قلوبنا من حمزة وابن أخيه محمد ﷺ -.

فلما بَلغنا أُحُداً، والتقى الجمعان، خرجتُ ألتمس حمزة وأبحث عنه وأطلبه، وقد كنت أعرفه من قبل، ولم يكن حمزة يَخفىٰ على أحدٍ، لأنَّه كان يضع على رأسه ريشة نعامة ليَدُلَّ الأقران من أمثاله في البطولة عليه كما كان يفعل ذَوو البأس من شُجعانِ العرب.

وما هو إلا قليلٌ حتى رأيتُ حمزة يهدِرُ بينَ الجموع كالجمل الأورق، وهو يهدُّ النّاس بسيفه هَدًّا - أي يقطع الناس قَطْعاً - فما يَصْمُدُ أمامَه أحدٌ ولا يثبت له شيءٌ...

وفيما كنت أتَهَيَّأُ له، وأستتر منه بشجرةٍ أو حجرٍ مُتَرَبِّصاً أن يدنو منّي، إذ تقدّمني إليه فارس من قريش يُدْعَىٰ سِباع بن عبد العُزَّى وهو يقول: بارِزني يا حمزة... بارِزني.

فبرز له حمزةُ وهو يقول: هَلُمَّ إليَّ يا ابْنَ المشركةِ... هَلُمَّ إليَّ ثم ما أسرع أن بادَرَه بضربة من سيفه، فخرَّ صريعاً يتخبَّط بدمائه بين يَدَيْه.

عند ذلك وَقَفْتُ من حمزةَ مَوْقِفاً أرضاه، وجعلت أهُزُّ حَرْبتي حتى إذا اطمأننت إليها دفعت بها نَحْوَه، فوقعت في أسْفَلِ بطنِهِ وخرَجَتْ من بين رِجلَيه.

فَخَطَا مُتثاقِلًا نحو خطوتين، ثم ما لبث أن سقط، والحِربَة في جسده، فتركتها فيه حتى أيقَنْتُ أنَّهُ ماتَ، ثم أتيتُه وانتزعْتُها منه ورجعت إلى الخِيام، وقعدت فيها؛ إذ لم تكن لي حاجة بغيرِهِ، وإنما قتلته لأُعتَق، ثم حَمِيَ وطيس المعركة وكَثُر فيها الكَرّ والفَرُّ غير أن الدّائرةَ ما لبثت أن دارت على أصحاب محمد ﷺ، وكَثُرَ فيهم القَتْلُ.

عند ذلك غَدَتْ هند بنت عُتبة على قَتْلى المسلمين ومِنْ ورائِها طائفةٌ من النِّساء، فجعلت تُمثِّلُ بهم: فتبقر بطونهم، وتفْقَأُ عيونَهم، وتَجْدَعُ أُنوفَهم، وتَصْلِمُ آذانَهم.

ثم صنعت من الآناف (الأُنوف) والآذان قِلادَةً وأقراطاً فتحلّت بها، ودفعت قِلادتها وقُرطَيْها الذَّهبيّين إليَّ وقالت:

هما لك يا أبا وَسَمَة... هما لك... احتفظ بهما فإنَّهما ثمينان.

ولما وضعت أُحُدٌ أوزارَها وتوقّفت وهدأت، عُدْتُ مع الجيش إلى مكة فبرَّ لي جُبير بن مُطْعَم بما وعَدَني به وأعتق رقبتي، فغدوتُ حُرًّا.

وقد أسلَمَ وحشي بن حرب فيما بعد، وشاءت الأقدار له في معركة اليمامة أن يقتل عدوًّا من أعداء المسلمين هو مُسيلمة الكذّاب.

وصدقت رؤيا النبي ﷺ: «**إني رأيت والله خيراً، رأيت بقراً يُذبَح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أُدخِلتُ في درعٍ حصينة فأوّلتها المدينة**...» إلى أن قال: «**وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتَل**».



رؤيا النبي ﷺ في عمرة القضاء

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: الآية ٢٧].

ومن الرؤيا الظاهرة أيضاً رؤيا النبي ﷺ أنه سيأتي البيت هو وأصحابه ويطوفون به، وكان ذلك قبل عمرة الحديبية، فلما صدَّهم المشركون عن دخول مكة عام الحديبية وصالحهم رسول الله ﷺ على أن يرجعوا عامهم ذلك وأن يعتمروا في العام المقبل قال عمر ـ رضي الله عنه ـ للنبي ﷺ: أوَليس كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال عليه السلام: «**بلى فأخبرتك أنّا نأتيه العام**».

قال: قلت: لا.

قال: «**فإنَّك آتيه ومُطَّوَّف به**»(١).

وقد وقع تصديق رؤيا النبي ﷺ، في عمرة القضاء حيث جاء هو وأصحابه إلى البيت وطافوا به وهم آمِنون لا يخافون، وقد ذكر الله تعالى هذه الرؤيا الصادقة في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفَتْح: الآية ٢٧].

وهذا الفتح هو الصلح الذي جرى بين رسول الله ﷺ، وبين مُشرِكِي قريش، وقد أوَّل المفسِّرون قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفَتْح: الآية ٢٧] ـ يعني صلح الحديبية ـ، وما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه.

ولكن ما هي قصة عمرة القضاء وصلح الحديبية اللذان صدق الله رسوله بهما الرؤيا في دخول المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ومُحَلِّقين رؤوسهم ومُقصِّرين؟ وما المقصود بالفتح القريب الذي جُعِلَ من دون ذلك؟

هذه الأسئلة والتي أساس تأويل رؤيا النبي ﷺ الظاهرة والذي قال عنها لعمر: «**فإنك آتيه ومُطَّوَّف به**».

١ ـ صلح الحديبية

أُرِيَ رسول الله ﷺ في المنام وهو بالمدينة أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم

---

(١) رواه البخاري.

وقصَّر بعضهم، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، وحَسِبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك، وأخبر أصحابه أنّه مُعتَمِر فتجهّزوا للسفر.

واستنفر رسول الله ﷺ العرب ومَن حوله من الأعراب من البوادي ليخرجوا معه، فأبطأ كثيرٌ من الأعراب، وغسل ثيابه، وركب ناقته القَصْواء، واستخلف على المدينة ابن أُم مكتوم أو غيلة الليثي، وخرج منها يوم الاثنين غرَّة ذي القعدة سنة ٦ هـ، ومعه زوجته أُم سلمة رضي الله عنها ـ وخرج في ألف وأربعمائة، ويقال ألف وخمسمائة، ولم يخرج معه بسلاح، إلّا سلاح المسافر، السيوف في القِرَب.

وتحرّك عليه السلام في اتجاه مكة، فلما كان بذي الحليفة قلّد الهَدِي وأشعرَه، وأحرَمَ بالعمرة، ليأمَن الناس من حربه، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريباً من عسفان أتاه عينه، فقال: إني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مُقاتِلوك، وصادُّوك عن البيت.

استشار النبي ﷺ أصحابه وقال: «**أترون نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا يكن عنق قطعها الله، أم تريدون أن نؤمّ هذا البيت فمَن صدّنا عنه قاتلناه؟**».

فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، لم نجيء لقتال أحد، ولكن مَن حالَ بيننا وبين البيت قاتلناه.

فقال النبي ﷺ: «**فروّحوا، فراحوا**».

وكانت قريش لمّا سمعت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلساً استشاريًا، قرّرت فيه صدّ المسلمين عن البيت كيفما يمكن، فبعد أن

أعرَضَ رسول الله ﷺ عن الأحابيش، نقل إليه رجل من بني كعب أن قريشاً نازلة بذي طِوَى، وأن مائتي فارس في قيادة خالد بن الوليد مُرابِطة بكراع الغميم، في الطريق الرئيسي الذي يُوصِل إلى مكة، وقد حاول خالد صدّ المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم يتراآى الجيشان، ورأى خالد المسلمين في صلاة الظهر يركعون ويسجدون فقال: لقد كانوا على غِرَّة، لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم. ثم قرّر أن يميل على المسلمين ـ وهم في صلاة العصر ـ ميلة واحدة، ولكن الله أنزل حُكْم صلاة الخوف، ففاتت الفرصة خالداً.

وأخذ رسول الله ﷺ طريقاً وعراً بين شِعاب، وسلك بهم ذات اليمين بين ظهري الحمس، في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة، وترك الطريق الرئيسي الذي يُفضي إلى الحرم مارًّا بالتنعيم، تركه إلى اليسار، فلما رأى خالد فترة الجيش الإسلامي قد خالفوا عن طريقه انطلق يركض نذيراً لقريش.

وسار رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بثنية المرار بَرَكَت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء (ناقة الرسول) فقال النبي ﷺ: **«ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»**، ثم قال: **«والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظِّمون فيها حُرُمات الله إلّا أعطيتهم إيّاها»**.

ثم زجرها فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على حوض قليل الماء، إنما يأخذ منه القليل، فلم يلبث أن نزحه الناس، فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش بالرّيّ لهم حتى صَدَروا.

ولما اطمأن رسول الله ﷺ جاء بُدَيل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانت خزاعة موضع سرٍّ لرسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم الإبل الحديثة النّتاج وأولادها، وهم مُقاتلوك وصادّوك عن البيت.

قال رسول الله ﷺ: «**إنّا لم نجيء لقتال أحد، ولكن جئنا مُعتَمِرين، وإن قريشاً قد أنهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم، ويخلو بيني وبين الناس، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل النّاس فيه فعلوا، وإلّا فقد جموا، وأبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده لأُقاتلنّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذنَّ الله أمره**».

قال بُدَيل: سأُبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً:

إني قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولًا، فإن شئتم عرضته عليكم، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدّثنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم: هات ما سمعته.

قال: سمعته يقول كذا وكذا، فَبَعَثَتْ قريش مكرز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هذا رجل غادر**». فلما جاء وتكلم قال له مثل ما قال لبُدَيل وأصحابه، فرجع إلى قريش وأخبرهم. وأرسلت قريش رُسُلَها، فقال رجل من كنانة ـ اسمه الحليس بن علقمة ـ: دعوني آته، فقالوا: آته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلان، وهو من قوم يعظِّمون البُدْن** (الماشية والهَدي) **فابعثوها**»، فبعثوها له، واستقبله القوم يلبّون (لبّيك اللّهمَّ لبيك...) فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت، فرجع إلى

أصحابه فقال: رأيت البُدْن قد قُلِّدَت وأُشعِرَت، وما أرى أن يُصَدُّوا، وجرى بينه وبين قريش كلام أحفظه.

فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رُشْدٍ فاقبلوها، ودعوني آته، فآتاه، فجعل يكلّمه.

فقال له النبي ﷺ نحواً من قوله لبُدَيل، فقال له عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً وأرى أوباشاً من الناس خلقاً أن يفرّوا ويَدَعوكَ.

فقال له أبو بكر: . . . أنحن نفرّ عنه؟

قال: مَن ذا؟

قالوا: أبو بكر.

قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وجعل يكلِّم النبي ﷺ، وكلّما كلَّمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شُعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه وقال: مَن ذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، أوَلست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة قد صحب أُناساً في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم. فقال النبي ﷺ: **«أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»**. (وكان المغيرة ابن أخي عروة)!!.

ثم إن عروة بن مسعود الثقفي جعل يحدّق بأصحاب رسول الله ﷺ، وعلاقتهم به، فرجع إلى أصحابه، فقال:

أي قوم، والله لقد وَفَدتُ على الملوك، على قيصر وكِسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يُعَظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمدٍ محمداً، والله إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رُشْدٍ فاقبلوها.

ولمّا رأى فتيان وشباب قريش المتهوِّرون الطائشون الطامِحون إلى الحرب رغبة زعمائهم في الصُّلح، فكّروا في خطة تَحُول بينهم وبين الصلح، فقرّروا أن يخرجوا ليلًا ويتسلّلوا إلى معسكر المسلمين، ويُحْدِثوا أحداثاً تُشعِل نار الحرب، وفِعلًا فقد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلًا فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلّل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعاً، ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعَفَا عنهم. وفي ذلك أنزل الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: الآية ٢٤].

وحينئذ أراد رسول الله ﷺ أن يبعث سفيراً يؤكّد لدى قريش موقفه وهدفه من هذا السَّفر، فدَعَا عمر بن الخطاب ليُرسله إليهم، فاعتذر قائلًا: يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أُوذيت، فأرسل عثمان بن عفّان، فإن عشيرته وقومه بها، وإنه مُبْلِغُ ما أردت، فدعاه وأرسله إلى قريش، وقال: «**أخبرهم أنّا لم نأتِ لقتال، وإنما جئنا عُمَّاراً وادعُهم إلى الإسلام. وأمره أن يأتي رجالًا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيبشِّرهم بالفتح ويخبرهم أن الله عزّ وجلّ مُظهِرٌ دينه بمكة، حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان**».

فانطلق عثمان حتى مرّ على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟

فقال عثمان: بعثني رسول الله ﷺ كذا وكذا.

قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص وهو ابن عمّه، فرحّب به ثم أسرَجَ فرسه، فحمل عثمان على الفرس، وأجارَه وأردَفه حتى جاء مكة، وبلّغ الرسالة إلى زعماء قريش، فلما فرغ عرضوا عليه أن يطوف بالبيت، لكنّه رفض هذا العرض، وأبى أن يطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ.

هكذا كانت عزيمة عثمان وقوّة إيمان عثمان رضي الله عنه حتى وهو بين المشركين.

احتبست قريش عثمان عندها، ولربما أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم، ويُبرِموا أمرهم، ثم يردّوا عثمان بجواب ما جاء به من رسالة النبي ﷺ، ولكن طال احتباس عثمان هناك، فشاعَ بين المسلمين أن عثمان قد قُتِل، فقال رسول الله ﷺ لمّا بلغته تلك الإشاعة: «**لا نبرح حتى نُناجِز القوم، ثم دعا أصحابه إلى البيعة**»، فثاروا إليه يُبايعونه على أن لا يفرّوا، وبايعته جماعة على الموت، وأول مَن بايعه أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات، في أول الناس، ووسطهم، وآخرهم، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: «**هذه عن عثمان**».

ولمّا تمّت البيعة جاء عثمان فبايعه، ولم يتخلّف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس.

أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت الشجرة، وكان عمر آخذاً بيده، ومعقل بن يسار آخذاً بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ،

وهذه بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها الآيات الكريمة التي تبيِّن رِضَى الله عن هؤلاء، وبيّنت الآيات أن البيعة لله عزّ وجلّ، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: الآيتان ١٨، ١٩].

أحسّت قريش بدقّة الموقف، فأسرعت إلى بعث سهيل بن عمرو لعقد الصلح، وأكدت له أن لا يكون في الصلح إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا، لا تتحدّث العرب أنّه دخلها علينا عنوةً أبداً، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه عليه السلام قال: «**قد سهل لكم أمركم، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل**»، فجاء سهيل فتكلَّم طويلًا، ثم اتفقا على قواعد الصلح وهي كما يلي:

١ ـ الرسول ﷺ ـ يرجع من عامه ـ فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القِرَب، ولا تتعرّض قريش لهم بأيِّ نوعٍ من أنواع التعرّض.

٢ ـ وضْع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمَن فيها الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض.

٣ ـ مَن أحبّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومَن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضمّ إلى أيِّ الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأيّ عدوان تتعرّض له أيٌّ من هذه القبائل يعبر عدواناً على ذلك الفريق.

٤ ـ مَن أتى محمداً من قريش من غير إذن وليِّهِ ـ أي هارباً منهم ـ ردّه عليهم، ومَن جاء قريشاً ممّن مع محمد ـ أي هارباً منه ـ لم يُرَدّ عليه.

ثم دعا عليًّا ليكتب الكتاب، فأملى عليه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمٰن فوالله لا ندري ما هو؟! ولكن اكتب باسمك اللَّهمّ. فأمر النبي ﷺ عليًّا بذلك، ثم أملى (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله)، فقال سهيل: لو نعلم أنَّك رسول الله ما صَدَدْناكَ عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: «**إني رسول الله وإن كذَّبتموني**».

وأمر عليًّا أن يكتب محمد بن عبد الله، ويمحو لفظ رسول الله، فأبى عليٌّ أن يمحو هذا اللفظ، فمَحاه ﷺ بيده، ثم تمّت كتابة الصحيفة.

وبينما الكتاب يُكتَب جاء ابن سهيل بن عمرو وهو أبو جندل، جاء يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين، فقال سهيل للرسول: هذا أول ما أُقاضيك عليه على أن تردّه.

فقال النبي ﷺ: «**إنّا لم نقضِ الكتاب بعد**».

فقال: والله إذاً لا أُقاضيك على شيء أبداً.

فقال النبي ﷺ: «**فأجزه لي**».

قال سهيل بن عمرو: ما أنا بمُجيزه لك.

قال: «**بل فافعل**».

قال: ما أنا بفاعل. وقد ضرب سهيل أبا جندب في وجهه، وأخذ بتلابيبه وجرَّهُ؛ ليردّه للمشركين، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته، يا معشر المسلمين أَأُرَدُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني؟

فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمَن معك من المستَضعفين فرجاً ومَخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم**».

ولمّا فرغ الرسول من قضية الكتاب قال: «**قوموا وانحروا**»، فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرّات، فلمّا لم يقم منهم أحد قام فدخل على أُم سلمة، فذكر لها ما لَقِيَ من النّاس، فقالت: يا رسول الله أتحبّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلّم أحداً كلمةً حتى تنحر بُدْنَك (ماشيتك) وتدعو حالِقك فيحلقك، فقام وخرج ولم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نَحَرَ بُدْنَه، ودعا حالِقِهِ فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا، وكانوا نحروا البُدْنَة الواحدة عن سبعة، والبقرة عن سبعة، ونحر رسول الله ﷺ جَمَلًا كان لأبي جهل، كان في أنفه برّة من فضة، ليغيظ به المشركين، ودعا رسول الله ﷺ للمُحَلِّقين ثلاثاً وللمُقَصِّرين مرة.

كان صُلح الحديبية هو بُشرى فتح عظيم رآه رسول الله ﷺ في رؤيا وصدقت الرؤيا، ولكن في العام المُقبِل سيدخل المسلمون مع رسولهم الكريم المسجد الحرام طائفين ومُحَلِّقين ومُقَصِّرين، ولنرى ذلك في عمرة القضاء.

٢ ـ عمرة القضاء

تواترت الأخبار أنّه ﷺ لمّا هلَّ ذو القعدة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء عُمرتهم، وأن لا يتخلّف منهم أحد شَهِدَ صُلح الحديبية، فخرجوا إلّا مَن استشهد، وخرج معه آخرون مُعتَمِرين، فكانت عدّتهم ألفين سوى النساء والصبيان[١].

واستخلف رسول الله ﷺ عويف أبا رهم الغفاري، وساق ستّين بُدْنَة، وجعل عليها ناجية بن جُندب الأسلمي، وأحرَمَ للعمرة من الحليفة ولبّى، ولبّى المسلمون معه، وخرج مستعدًّا بالسّلاح والمقاتلة خشية أن يقع من قريش غَدْر، فلما بلغ يأجج وضع الأداة كلها ـ النَّبل والرِّماح، وخلف عليها أوس بن خولي الأنصاري في مائتي رجل ودخل بسلاح الراكب والسيف في القِرَب[٢].

وكان الرسول ﷺ عند الدخول راكباً على ناقته القصواء، والمسلمون متوشّحوا السيوف، مُحدِقون برسول الله ﷺ يُلبّون.

وخرج المشركون إلى جبل قعيقعان ـ الجبل الذي في شمال الكعبة ـ ليَروا المسلمين، وقد قالوا فيما بينهم: إنه يقدم عليكم وقد وهَنَتهم حُمَّى يثرب، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا (يسرعوا) الأشواط كلها إلا الإبقاء، وإنما أمرهم بذلك ليُرِي المشركين قوّته[٣].

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٧٠٠.

(٢) زاد المعاد ٢/ ١٥١.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢١٨، ٢/ ٦١٠، ٦١١. صحيح مسلم ١/ ٤١٢.

كما أمرهم بالاضطباع ـ أي يكشفوا المناكب اليُمنى (الكتف اليُمنى) ـ ويضعوا طرفي الرّداء على اليُسرى.

ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثَّنِيَّة التي تطلعه على الحجون، وقد صفّ المشركون ينظرون إليه ـ فلم يَزَل يُلبِّي حتى استلم الركن بمِحجنه، ثم طاف، وكان المسلمون وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ يرتجز متوشّحاً السيف يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله — خلوا فكلّ الخير في سبيله

قد أنزل الرحمٰن في تنزيله — في صُحُفٍ تُتلى على رسوله

. . . . — . . . .

وفي حديث أنس قال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حَرَم الله تقول الشعر؟

فقال النبي ﷺ: «**خلِّ عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نَضْح النّبل**»[1].

وأسرع رسول الله ﷺ والمسلمون ثلاثة أشواط، فلما رآهم المشركون قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمّى قد وهَنَتهم، هؤلاء أجلَد من كذا وكذا[2].

ولمّا فرغ من الطّواف سعى بين الصّفا والمروة، فلما فرغ من السّعي، وقد وقف الهَدي عند المروة، قال: «**هذا المنحر وكل فِجاج مكة مَنحَر**». فنحرَ عند المروة وحَلَق هناك، وكذلك فعل المسلمون، ثم

---

(١) رواه الترمذي ـ أبواب الاستئذان والأدب ـ باب ما جاء في إنشاد الشعر ٢/ ١٠٧.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤١٢.

بعث ناساً لإخوانهم في يأجج، فيحرسوا السلاح، ويأتي الآخرون يقضون نُسُكهم.

وصدقت الرؤيا كما جاء في الآيات الكريمات:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: الآية ٢٧].



رؤيا النبي ﷺ في مُسيلمة الكذّاب

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قَدِمَ مُسَيلمة الكذّاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جَعَل لي محمد الأمر من بعده تَبِعته.

وقَدِمها في بشرٍ كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة حرير، حتى وقف على مُسيلمة وأصحابه فقال: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكه، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت**[1] **ليغفرنك الله، وإني لأراك الذي رأيت فيه ما رأيت وهذا ثابت يُجيبك عني**» ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت في قول رسول الله ﷺ: «**إني لأراك الذي أُريت فيه ما رأيت**»، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم ـ رأيت في يدي سِوارين من ذهب، فأهمّني شأنهما، فأُوحِيَ إليَّ في**

---

(١) أي خالفت الحق.

المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما كذّابَين يَخرُجان بعدي: أحدهما العنسي، والآخر مُسَيلمة»[(١)].

وقد أوّل النبي ﷺ السّوارين بالكذّابين، لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه، فلما رأى في ذراعيه سِوارَين من ذهب، وليسا من لبسه لأنهما من حِلية النساء، عرف أنه سيظهر مَن يدّعي ما ليس له، وأيضاً ففي كونهما من ذهب والذهب مَنْهِيٌّ عن لبسه دليل على الكذب.

وأيضاً فالذهب مشتق من الذهاب، فعلم أنّه شيءٌ يذهب عنه، وتأكد ذلك بالإذن له في نفخهما فطارا، فعرف أنّه لا يثبت لهما أمر، وأنَّ كلامه بالوحي الذي جاء به يُزيلهما عن موضعهما، والنَّفخ يَدُلُّ على الكلام[(٢)].

الوفـــد[(٣)]

نبدأ تأويل هذه الرؤيا بسنة عشر لهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ففي سنة عشر قَدِمَ وفد بني حنيفة من أهل اليمامة على رسول الله ﷺ مسلمين فدخلوا الإسلام شأنهم شأن الوفود جميعاً، وكانوا سبعة عشر رجلًا فيهم مُسيلمة الكذّاب ـ وهو مُسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث من بني حنيفة ـ نزل هذا الوفد في بيت رجل من الأنصار، ثم جاؤوا إلى النبي ﷺ فأسلموا، وكانوا قد تركوا مُسيلمة في رِحالهم، فلما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: «المغازي»، باب: «وفد بني حنيفة». ومسلم في صحيحه كتاب: «الرؤيا» حديث رقم ٢١.

(٢) انظر فتح الباري ١٢/ ٤٣٩.

(٣) رجعت إلى المراجع التالية بشأن اليمامة ومقتل مسيلمة: الطبري ٣/ ١٦٢، ابن الأثير ٢/ ١٧٤، وابن كثير البداية والنهاية ٦/ ٣٢٣، وسيرة ابن هشام.

أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله؛ إنّا قد خَلَّفنا صاحباً لنا في رِحالنا وفي رِكابنا، يحفظها لنا. فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «**أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً**»، ثم انصرفوا، وجاؤوا مُسليمة بما أعطاه رسول الله ﷺ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ وتنبّأ لهم، وقال: إني قد أُشْرِكتُ في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، وأحلّ لقومه الخمر والزّنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي وكتب إلى رسول الله ﷺ: من مُسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلامٌ عليك؛ أما بعدُ فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون.

وقَدِمَ على النبي ﷺ رسولان بهذا الكتاب، فقال لهما النبي ﷺ حين قرأ كتاب مُسيلمة: «**فما تقولان أنتما؟**» قالا: نقول مثل ما قال، فقال عليه السلام: «**أما والله لولا الرُسُل لا تُقتَل لضربت أعناقكما**»[1].

ثم كتب إلى مُسيلمة الكذّاب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: «**من محمد رسول الله ﷺ إلى مُسيلمة الكذّاب، سلامٌ على مَن اتّبع الهُدى، أمّا بعد، فإن الأرض لله يُورِثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين**».

فما مات رسول الله ﷺ، حتى بعث أبو بكر السّرايا إلى المرتدّين؛ أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مُسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة، وكان مُسيلمة قد اشتدَّ أمره، والتفَّ حوله أربعون ألف مقاتل من بني حنيفة باليمامة.

---

(١) رواه الإمام أحمد، مشكاة المصابيح ٢/ ٣٤٧، واللفظ النبوي: لو كنت قاتلًا رسولًا لقتلتكما.

فسار عكرمة إلى اليمامة، ولم يَرَ أن ينتظر شرحبيل ليكون له فخار النصر، وكان عكرمة بطلًا مُجَرِّباً، وفارساً مِغواراً، وقد اجتمع في لِوائه أبطالٌ لهم في الحروب بلاءٌ ولكنه لم يثبت لقوّتهم، ونكبه بنو حنيفة، وعلم شرحبيل بهزيمتهم فأقام بالطريق.

وكتب عكرمة لأبي بكر بالذي أصابه وأصاب جُنْدَه، فغضب أبو بكر، وكتب إليه: يا ابن أُم عكرمة: لا ترجعَنَّ فتُوهِنُ النّاس؛ امضِ إلى حُذيفة وعرفجة فقاتل أهل عُمان ومهرة، ثم تسير أنتَ وجندك حتى تلقى المهاجر بن أُميَّة باليمن وحضرموتَ.

وكتب إلى شرحبيل بن حسنة يأمُرُه بالمقام حتى يأتيه أمْرُه.

ولمّا قَدِمَ خالِدٌ على أبي بكر من البطاح، ورضي عنه وقَبِل عُذره وصدَّقه، أرسله إلى مُسيلمة، وأوعب معه النّاس، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن عازب، وعلى المهاجرين أبا حذيفة وزيد بن الخطاب، وعلى كل قبيلة رَجُلًا.

وقبل أن يقوم خالد بجيشه كتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة كتابًا آخر جاء فيه: إذا قَدِمَ عليك خالد، ثم فرغتم إن شاء الله، فالحق بقضاعة، حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على مَن أبى منهم وخلف.

وخرج خالد في جنده حتى أتى اليمامة، حيث كان بنو حنيفة مستعدِّين هناك في جمعهم الكثيف.

وكان مُسيلمة يُصانِع كل أحدٍ ويتألَّفَهُ، ولا يُبالي أن يطَّلع النَّاسُ منه على قبيح، وكان معه نِهارٌ الرجال، وكان نِهارٌ هذا قد هاجر إلى النبي ﷺ، وقرأ القرآن، وفَقُهَ في الدّين، وعرف أُصول الإسلام، فبعثه الرسول ﷺ معلِّماً لأهل اليمامة يُفَقِّههم في الدّين، ويشدُّ من عزائم

المسلمين، ويشغب معهم على مُسيلمة المتنبّىء الكاذب، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مُسيلمة نفسه، فشَهِدَ له أنه سمع محمداً ﷺ يقول: إنه قد أُشْرِكَ معه، فصدَّقه القوم واستجابوا له.

ولمّا بلغ مُسيلمة اقتراب خالد بن الوليد نشر عسكره وجنده بعقرباء وهي منزل من منازل اليمامة، واستنفر الناس، فجعلوا يخرجون إليه استعداداً للقتال.

وبينما كانت جيوش خالد تتلاحق إلى أرض اليمن، وتبلغ أنباؤها مُسيلمة خرج مُجَّاعةَ بن مرارة في جماعة من بني حنيفة، يطلبون ثأراً له في بني عامر وبني تميم وقد خافَ أن يفوته إذا شُغِلَ بلقاء المسلمين وقتالهم، وأدرك مُجّاعة ثَأْرَه وعاد في أصحابه، ولمّا بلغوا ثَنِيَّة اليمامة كان التَّعبُ قد أخذ منهم، فناموا.

وأدركهم جنودُ خالد، فوجدوهم نِياماً وأرسان خيولهم (حِبالها) بأيديهم تحت خُدودهم، وهم لا يشعرون بقُرْب الجيش منهم، فأنْبهوهم وقالوا: ـ مَن أنتم؟ قالوا: هذا مُجَّاعة، وهذه حنيفة، قالوا: وأنتم؟ فلا حيّاكم الله، فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد فأتوه بهم، فقال لهم: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما شَعَرنا بك؛ إنّما خرجنا لثأرٍ لنا فيمن حولنا من بني عامر وتميم، فسألهم عن النبي ﷺ والإسلام، فقالوا: منّا نبيّ ومنكم نبيّ! فعرضهم على السيف، فجادوا كلهم بأنفسهم دون مُجّاعة بن مرارة؛ وقالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شرًّا فاستبقِ هذا ولا تقتله، فقتلهم خالد، وحبس مُجَّاعة عنده كالرهينة، وأوثقه في الحديد، ثم دفعه إلى أُم تميم امرأته، وقال: استوصِي به خيراً، ثم مضى حتى نزلَ باليَمَامة. وتقدَّم المسلمون حتى

نزل بهم خالد على كَثيبٍ يُشْرِفُ على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس، والعربُ على راياتها، ومُجَّاعة بن مرارة مُقَيَّدٌ في الخيمة مع أُمّ تميم.

والتقى الجيشان واقتتلوا قتالًا شديداً، حتى انهزم المسلمون، وخَلَصَ بنو حنيفة إلى مُجَّاعة وإلى خالد، فزال خالد عن فُسطاطه، ودخل أُناس الفسطاط، وفيه مُجَّاعة تحرسه أُم تميم زوج خالد، فحمل عليها رجل بالسيف، فقال مُجَّاعة: مَهْ، أنا لها جارٍ، فَنِعْمَتِ الحرَّةَ! عليكم بالرجال فمزّقوا الفسطاط بالسيوف.

ولمّا حلّت الهزيمة بالمسلمين عادوا فتكاتفوا وحضّ بعضهم البعض على القتال فتحدّث ثابت بن قيس وحثَّ المسلمين على القتال، ونادى أبو حذيفة: يا أهل القرآن؛ زيِّنوا القرآن بالفِعال؛ وحمل فيهم حتى أبعدهم.

ونادى زيد بن الخطاب: أيّها الناس عَضُّوا على أضراسكم، واضربوا عدوَّكم وامضوا قُدُماً، والله لا أتكلّمُ حتى يهزمهم الله، ثم خرج للقتال، فلَقِيَ الرجال بن غنوة فقتله، ثم قاتل زيد حتى استشهد.

وقد كانت المصيبة في المهاجرين والأنصار وقرّاء القرآن الذين استشهد منهم عدد كبير.

وظلّت الحرب سِجالًا؛ مرَّة على المسلمين ومرَّة على الكافرين، فقال خالد:

امتازوا اليوم لنعلم بلاءَ كُل حيّ، ولنعلم من أين نؤتىٰ، فامتاز أهل القرى والبوادي من المسلمين، وامتازت القبائل من أهل البادية

وأهل الحاضرة، وتنافس المسلمون مهاجرين وأنصار وبوادي وحضر وقبائل، ووقف بنو كل أبٍ على رايتهم فقاتلوا جميعاً، وقال أهل البوادي يومئذ: الآن يستمرُّ ويشتدُّ القتل في الأضعَف الأجدع ـ أي الضعيف فينا ـ.

فاستمر القتل في أهل القرى، وثبت مُسليمة، وعرف خالد أنها لا تهدأ إلَّا بقتل مُسيلمة، فبرز حتى إذا كان أمام الصفا دعا إلى البراز وانتحى، وقال: أنا ابنُ الوليد، ونادى بشِعارهم يومئذ: يا محمداه، فجعل لا يبرز له أحدٌ إلَّا قتله، ودارت رُحى المسلمين وطحنت.

وأقبل المُحيطون بمُسيلمة يخرجون إلى لقاء خالد، فيَلقاهم الموت من سيفه قبل أن يبلغوه، وكَثُرَ فيهم القتل، وشعر مُسيلمة بالخزي يركبه، فساورته نفسه أن يخرج كما خرجوا، لكنه أيقن أنه مقتول إن خرج فتردّد واضطرب، وإنه لفي اضطرابه وتردُّده إذ شدَّ خالدٌ برجاله عليه وعلى مَنْ حوله، يعملون فيهم السلاح.

ورأى محكم بن الطفيل فِرارَ القوم، ورأى المسلمون يتعقبونهم فصاح بهم: يا بني حنيفة! الحديقة! وكانت على مقربةٍ منهم، وكانت لمُسيلمة، وتدعى حديقة الرحمٰن، وكانت فسيحة الأرجاء، منيعة الجدران، كأنها الحصن، وقد فرّوا إليها، وتحصّنوا بها من هزيمتهم، بعد أن خرّ الأُلوف منهم صَرعى، ووقف المحكم بن الطفيل برجاله يحمي ظهورهم أثناء فرارهم، وإنه لكذلك يحاول صَدَّ المسلمين، ويحرِّضُ رجالهم على دفعهم، ويقاتل وإيّاهم أشدّ قتال؛ إذ رماه عبد الرحمٰن بن أبي بكر بسهم وقع في نحره فقتله.

وأحاط المسلمون بالحديقة، ليجدوا فيها ثغرة، فصرخ البراء بن مالك، وقال: يا معشر المسلمين، احملوني على الجدار، حتى تطرحوني عليه، ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأُرعِدَ فنادى: أنزلوني، ثم قال: احملوني، ففعل ذلك مِراراً، ثم قال: احملوني، فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين، فدخلوا منه زُمَراً تلمع في أيديهم السيوف، ويطلّ الموت من حدق عيونهم، وأغلق الباب عليهم، ثم رمى بالمِفتاح من وراء الجدار، فاقتتلوا قتالًا شديداً، وأُبِيد مَن في الحديقة منهم.

وذهب فريق إلى مُسيلمة يقولون: أين ما كنت تَعِدنا؟ قال: قاتلوا عن أحسابكم.

وحين دخل المسلمون الحديقة من حيطانها خلصوا إلى مُسيلمة، وإذا هو واقف إلى جانب جدار، كأنه جمل أورق، وهو لا يعقل من الغيظ، فتقدّم إليه وحشيّ بن حرب، مولى جبير بن مطعم وقاتِل حمزة، فأصابه، وسارع أبو دجانة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر واأمير الوضاءة، قتله العبد الأسود[١]!

ولنترك وَحشيّ بن حرب يتحدّث عن هذه اللحظة التي صَدَقت فيها رؤيا رسول الله ﷺ بزوال مُسيلمة الكذّاب، وكان وَحشيّ قد قتل حمزة بن عبد المطّلب عمّ الرسول ﷺ، ولمّا أسلَمَ أشاحَ عنه الرسول بوجهه بعد أن قَبِل إسلامه ـ يقول وحشيّ:

وعلى الرغم من أنّي عرفت بأن الإسلام يَجبُّ[٢] ما قبله، فقد ظللتُ أستشعر فداحة الفِعلَةِ التي اجترحتُها، وأستفظع الرّزءَ الذي

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) يجبُّ ما قبله: يمحو ما قبله من الذنوب.

رَزَأتُ به الإسلام[١]، وطفقتُ أتحيَّن الفرصة التي أُكَفِّرُ بها عمّا سَلَفَ منّي.

فلما لَحِقَ رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وآلت خلافة المسلمين إلى صاحبه أبي بكرٍ، وارتدّت بنو حنيفة أصحاب مُسَيلمة الكذّاب مع المُرتَدّين جهّز خليفة رسول الله ﷺ جيشاً لحرب مُسَيلمة، وإعادَةِ قَوْمِهِ بني حنيفة إلى دين الله.

فقلت في نفسي: إن هذه ـ والله ـ فُرصتُكَ يا وَحْشيّ فاغتنمها، ولا تدعها تَفْلِتُ من يديك.

ثم خرجت مع جيوش المسلمين، وأخذت معي حِربَتي التي قتلت بها سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطّلب، وآلَيْتُ على نفسي أن أقْتُلَ بها مُسَيلمة أو أظفر بالشّهادة.

فلما اقتحم المسلمون على مُسَيلمة وجيشه حديقة الموت، والتحموا بأعداء الله، جعلت أترصّد مُسيلمة، فرأيته قائماً والسيف في يده، ورأيت رجلًا من الأنصار يتربّص به مثلما أتربّص أنا به؛ كِلانا يريد قَتْلَه، فلما وقفت منه موقفاً أرضاه، هَزَزْتُ حِربَتي حتى استقامت في يدي ودفعت بها نحوه، فوقعت فيه، وفي نفس اللحظة التي أطلقتُ بها حِربَتي على مُسَيلمة كان الأنصاري يَثِبُ عليه ويكيل له ضربه بالسيف، فربّكَ يعلم أيُّنا قتله، فإن كنت أنا الذي قتلته، أكُن قد قتلت خير الناس بعد محمد، وقتلت شرّ الناس أيضاً... وصدقت رؤيا رسول الله ﷺ وذهب مُسَيلمة إلى الجحيم.

---

(١) الرزء الذي رزأت به الإسلام: المصيبة التي أصبت بها الإسلام.



كان رسول الله ﷺ زاهداً في الدنيا مُحِبًّا لدار القرار، فلم يطلب مالًا لنفسه بل عاش حياته لا يملك ما يزيد على قوت يومه في الوقت الذي كان يمكنه أن يكون صاحب مالٍ واسع وذهب وفضة.

وفي الحديث الشريف يُعدِّد النبي ﷺ نِعَم الله عليه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بجوامع الكَلِم، ونُصِرتُ بالرّعب، وبينا أنا نائم أُوتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعَت في يدي**».

قال أحد العلماء: «وبلغني أن جوامع الكَلِم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي تُكتَب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك»[(١)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب «التعبير»، باب: «المفاتيح في اليد»، ومسلم في كتاب «المساجد ومواضع الصلاة»، حديث رقم ٧.

وقال الهروي: جوامع الكَلِم يُعنَى به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع، قليل اللفظ كثير المعاني.

وقد ذكر البخاري هذا الحديث، ووضعه تحت باب «المفاتيح في اليد»، وذكر علماء التعبير ـ تعبير الرؤيا: «المفتاح مال وعِزٌّ وسلطان، فمَن رأى أنه فتح باباً بمفتاح فإنه يظفر بحاجته بمعونة مَن له بأس، وإن رأى أن بيده مفاتيح فإنه يصيب سلطاناً عظيماً»[1].

وفي صحيح مسلم بشرح النووي ـ قال النووي في قوله ﷺ: «**أُوتيت مفاتيح خزائن الأرض**».

هذا من أعلام النبوّة، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأُمّته، ووقع كما أخبر ﷺ[2].

(١) فتح الباري ١٢/٤١٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٥.



رؤيا النبي ﷺ في فضائل الأعمال تشفع لأصحابها

الوضوء، والصلاة، وذِكر الله، وصيام رمضان، والحج، والعمرة، وصِلة الأرحام، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والبكاء من خشية الله، والخوف من الله، والقَرْض الحَسَن، وحُسْن الظن، والصلاة على النبي ﷺ، وشهادة أن لا إلٰه إلا الله.

هذه الأعمال التي بلغت ستة عشر عملًا من فضائل الأعمال تشفع لأصحابها من غير موضع عندما يأتي يوم الحساب، ومَلَك الموت ووهج النار، وزبانية العذاب، والحزن والزحف على الصراط، كلّ هذه المواقف الصعبة تشفع لها فضائل الأعمال التي ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث الشريف عن رؤيا رآها ﷺ. فعن عبد الرحمٰن بن سمرة قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «**إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلًا من أُمتي قد احتوشته[1] ملائكة فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك..**

(١) احتوشته: أحاطوا به.

ورأيت رجلًا من أُمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذِكْر الله فخلّصه منهم.

ورأيت رجلًا من أُمتي يلهث من العطش فجاءه صيام رمضان فسقاه.

ورأيت رجلًا من أُمتي بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة فجاءه حجّه وعُمرته فاستخرجاه من الظلمة.

ورأيت رجلًا من أُمتي جاءه مَلَك الموت ليقبض روحه، فجاءته صِلَة الرَّحِم فقالت: إن هذا كان واصلًا لرَحِمه، فكلّمهم وكلّموه وصار معهم.

ورأيت رجلًا من أُمتي يتّقي وهج النار عن وجهه، فجاءته صَدَقَته فصارت ظلّاً على رأسه وستراً عن وجهه.

ورأيت رجلًا من أُمتي جاءته زبانية العذاب، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلًا من أُمتي هَوَى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله فأخرجته من النار.

ورأيت رجلًا من أُمتي قد هَوَت صحيفته إلى شماله، فجاء خوفه من الله فأخذ صحيفته عن يمينه.

ورأيت رجلًا من أُمتي قد خفَّ ميزانه فجاء إقراضه فثقّل ميزانه.

ورأيت رجلًا من أُمتي يرعد كما ترعد الزعفة[١] فجاء حُسْنُ ظنّه بالله فسكَّن رعدته.

---

(١) الزعفة: جريدة النحل.

ورأيت رجلًا من أُمتي يزحف على الصراط مرة ويجثو[١] مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاوز.

ورأيت رجلًا من أُمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادته أن لا إلٰه إلا الله فأخذت بيده فأدخلته الجنة»[٢].

---

(١) جثا يجثو مثل جلس يجلس على ركبتيه.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمٰن المخزومي. وكلاهما ضعيف.



القيد في المنام

هذه الحالة درس نبوي عظيم في تعبير الرؤيا فلربما فهم البعض عندما يرى نفسه مُقَيَّداً في الرؤيا، ربما فهم هذا القيد فهماً خاطئاً ولكن الرسول ﷺ قال: «**أُحبُّ القيد، وأكره الغِل، والقيد ثَبات في الدين وقوّة في الإيمان، وثبات على الحق وقوّة في العقيدة التي لا تتأثّر ولا تتغيّر عند المؤمن الحق، والمسلم الثابت القابض على دينه**».

وفي الحديث عن القيد في المنام، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً... ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوّة، والرؤيا ثلاثة:**

- فرؤيا صالحة بُشرى من الله.

- ورؤيا تحزين من الشيطان.

- ورؤيا مما يحدّث المرء نفسه.

فإن رأى أحدكم ما يكره فليقُم فليُصَلِّ، ولا يحدّث الناس».

قال: «**وأُحِبُّ القيد، وأكره الغُلّ، والقيد ثبات في الدّين**»[1].

وقال العلماء: إنما كُرِهَ الغُلّ كمفهوم ذلك من القرآن الكريم:

- ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: الآية ٧١].
- ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحاقّة: الآية ٣٠].
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: الآية ٨].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: الآية ٢٩].

أمّا القيد فهو ثَبات في الدين، لأن المُقَيَّد لا يستطيع المشي فضُرِبَ مثلًا للإيمان الذي يمنع عن المشي إلى الباطل.

قال الإمام الثوري: إنما أَحَبَّ القيد لأن محله الرِّجل وهو كَفٌّ عن المعاصي والشّرّ والباطل، وأَبْغَضَ الغُلّ لأن محله العنق وهو صفة أهل النار.

وأما أهل التعبير فقالوا: إن القيد ثبات في الأمر الذي يراه الرائي بحسب مَن يرى ذلك له.

وقالوا: إن انضمّ الغُلّ إلى القيد دلَّ على زيادة المكروه، وإن جُعِلَ الغُلّ في اليدين حُمِدَ لأنه كفٌّ لهما عن الشّرّ، وقد يدلّ على البخل بحسب الحال.

وقالوا أيضاً: إن رأى أن يديه مغلولتان فهو بخيل، وإن رأى أنه قيد وغُلّ فإنه يقع في سجن أو شِدّة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب «التعبير» باب: «القيد في المنام»، ومسلم في كتاب «الرؤيا» حديث رقم ٦.

قال الحافظ بن حجر في الفتح: وقد يكون الغُلّ في بعض المراثي محموداً، كما وقع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن مسروق قال:

ـ مرَّ صُهَيب بأبي بكر فأعرضَ عنه، فسأله فقال: رأيت يدك مغلولة على باب أبي الحشر رجل من الأنصار.

فقال أبو بكر: جُمِعَ لي ديني إلى يوم الحشر رضي الله عنهم جميعاً.



رؤيا النبي ﷺ السِّحر

كان اليهود أشدّ النّاس إيذاءً للنبي ﷺ، وأكثرهم كرهاً له ولدينه، وكان منهم المُنافق والمُؤذي. وحاول بعضهم قتله واغتياله مثل عمرو بن جحاش الذي حمل حجراً فوق سطح داره وأراد أن يُلقِيه على رسول الله ﷺ وهو جالس مع أشراف اليهود فيما كان على عهد بينه وبينهم.

وحاولت زينب اليهودية اغتيال الرسول ﷺ وقتله عندما سألت: أيّ لحم الشاة يُحبّ رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الكتف. فذبحت شاةً وشَوَتها ثم وضعت فيها سُمًّا قاتلًا وقدّمتها لرسول الله ﷺ، وكان معه صاحبه البراء، فلما همَّ بالأكل منها وكان البراء قد أكل فعلًا أشار رسول الله ﷺ إلى البراء ألّا يأكل، ولم يقرب عليه السلام لحم الشّاة المسمومة حينما بَلَغَه من ربّ العِزّة أنها مسمومة، وقد تأثّر الصحابي الجليل البراء من السُّمّ وظلّ يُعاني منه حتى مات، أما الرسول ﷺ فقد كَشَفَ غَدْر اليهود وإيذائهم. ولذلك قال لهم: **«اخرجوا من بلادي»**. واستطاع أن

يُخرِج بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، وأخرجهم من حصن خيبر أيضاً.

وممّن حاول إيذاء رسول الله ﷺ من اليهود رجل يهودي يُقال له لبيد بن الأعصم، وكان يهوديًا مُؤذياً يؤذي الناس بِسِحْرِهِ، وقد قصد أن يؤذي رسول الله ﷺ بما تعلّمه من سِحْر.

ومن المراثي التي وقعت لرسول الله ﷺ في مرضه أن الوجع الذي أصابه كان بسبب السِّحْر!

فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

سَحَرَ رسول الله ﷺ، يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ، يُخَيَّل إليه أنّه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا ثم دعا ثم قال: «**يا عائشة أشَعَرْتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟!!**

جاءني رجلان، فَقَعَدَ أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رِجلي، أو الذي عند رِجلي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: مَن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شيء؟ قال: من مشط ومشاطة، قال: وجف طلعه ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان».

قالت: فأتاها رسول الله ﷺ، في أُناس من أصحابه ثم قال: «**يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين**».

قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: «**لا، أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أُثير على الناس شرًّا فأمرت بها فدفنت**»(١).

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لبث رسول الله ﷺ، ستّة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه مَلَكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رِجلَيه، فقال أحدهما: ما باله؟ قال: مطبوب، قال: مَن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فِيمَ؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلعه ذكر في بئر ذروان تحت رعوفة، فاستيقظ النبي ﷺ من نومه فقال: «**أي عائشة ألم تَرَين أن الله أفتاني فيما استفتيته**»، فأتى البئر فأمر به فأخرج فقال: «**هذه البئر التي أُرِيتها والله كأن ماءها نقاعة الحِنّاء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين**».

فقالت عائشة: لو أنك، كأنها تعني أن ينتشر.

قال: «**أما والله وقد عافاني الله وأنا أكره أن أُثير على الناس منه شرًّا**»(٢).

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح.

رؤيا النبي ﷺ لمَن تولّى الخلافة بعده

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطّاب فلم أرَ عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن**»[1]، والعطن مَبرَك الإبل.

وتعبير هذه الرؤيا ظاهر من قيام النبي ﷺ، بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وجهاد المشركين وبذْل النصيحة للأُمة وتعليمهم أُمور دينهم وما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم وغير ذلك من الأمور العظيمة والمصالح العامّة التي قام بها ﷺ، أحسن قيام وأتمّه. ثم قام أبو بكر الصديق بما كان يتولّاه رسول الله ﷺ، من أمور المسلمين أتمّ القيام وحارب أهل الرّدّة حتى أدخلهم من الباب الذي خرجوا منه، ثم بعث الجيوش إلى الفرس والروم وحصل في زمانه عدّة انتصارات عليهم، ثم كانت خاتمة أعماله

(١) رواه البخاري ومسلم.

الجليلة أن عَهِدَ بالخلافة لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، فكانت ولاية عمر ـ رضي الله عنه ـ حسنة من حسنات أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكانت مدّة ولاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ سنتين وشهرين تقريباً، فكانت مُطابِقة لما رآه النبي ﷺ في منامه أنه نزل بالدلو ذنوباً أو ذنوبين.

ثم استخلَفَ عمر ـ رضي الله عنه ـ بعده بأمور المسلمين أكثر من عشر سنين ففتح الله له الفتوح الكثيرة بالشام والعراق وخراسان ومصر وغيرها من الأمصار، وأذلّ الله به أُمم الكُفر، ودوَّن الدّواوين، وقام بتدبير أمور المسلمين أتمّ القيام، وكان مَضرَبَ المَثَل في العدل والحَزْم وحُسْن السِّيرة. فكانت أعماله رضوان الله عليه في ولايته مطابقة لما رآه النبي ﷺ في منامه من قوّة نزعته للماء وإرواء الناس حتى ضربوا بعطن. وقوله: «**وفي نزعه ضعف**» قِصَر مدّته وعجلة موته وشغله بالحرب مع أهل الرّدّة عن الافتتاح والتزيّد الذي بلغه عمر في طول مدّته[١].

وقال النووي في شرح مسلم، ومعنى «**ضرب الناس بعطن**»: أي أروَوا إبِلهم ثم آوُوها إلى عطنها وهو الموضع الذي تُساق إليه بعد السّقي فتستريح.

قال العلماء: هذا المنام مِثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ في خلافتهما وحُسْن سِيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، وكلّ ذلك مأخوذ من النبي ﷺ، ومن بركته وآثار صحبته. فكان النبي ﷺ، هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام وقرّر قواعد الإسلام ومهّد أُموره وأوضح أُصوله وفروعه ودخل النّاس في

---

(١) انظر مَن رأى رؤيا فكانت كما رأى ـ إبراهيم الحازمي ـ دار الشريف السعودية.

دين الله أفواجاً وأنزل الله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٣].

ثم توفي ﷺ، فخلفه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ سنتين وأشهُراً وهو المراد بقوله ﷺ: «**ذنوباً أو ذنوبين**». وحصل في خلافته قتال أهل الرّدّة وقطع دابرهم واتّساع الإسلام. ثم توفي فخلفه عمر ـ رضي الله عنه ـ فاتّسع الإسلام في زمنه وتقرّر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبّر بالقليب (البئر) عن أمر المسلمين لما فيها من الماء الذي به حياتهم وصَلاحهم، وشبّه أميرهم بالمستقي لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم وتدبير أُمورهم. وأما قوله ﷺ في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: «**وفي نزعه ضعف**»، فليس فيه حط من قدر وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا إثبات فضيلة لعمر رضي الله عنه عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتّساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات ومصَّر الأمصار ودوَّن الدواوين.

وأما قوله ﷺ: «**والله يغفر له**»، فليس فيه تنقيص له ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعِّمون بها كلامهم، ونعمت الدّعامة. وقد سبق الحديث في صحيح مسلم إنها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك.

قال العلماء: وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر وعمر وصحة ولايتهما وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها، وقوله ﷺ: «**فلم أرَ عبقريًا من الناس يفري فريه**»، اتفق على أن معناه لم أرَ سيّداً يعمل عمله ويقطع قطعه، وأصل الفري بالإسكان القطع.

وقوله ﷺ: «**حتى ضرب الناس بعطن**»، ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصّة.

وقيل يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعاً لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تمّ هذا الأمر وضرب الناس بعطن لأن أبا بكر قمع أهل الرّدّة وجمع شمل المسلمين وألّفهم وابتدأ الفتوح ومهّد الأمور وتمّت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[1] ـ.

(١) الحازمي عن النووي في مَن رأى رؤيا ص ٣٣.



رؤيا النبي ﷺ
مفاتيح خزائن الأرض

بشّر الرسول ﷺ بأنه وأُمّته أُعْطِيَ مفاتيح خزائن الأرض وهي أرض النبوّة في بلادنا تجود بالخير من باطنها كالنفط والماء وغيره.

فعن عتبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ، خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرط لكم وإني شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وقد أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشرِكوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها**»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نُصِرتُ بالرّعب وأُعطِيتُ جوامع الكَلِم وبينا أنا نائم إذ جِيء بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعَت في يدي**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه: «لقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها»[١].

قال الحافظ بن حجر في «فتح الباري»: قال أهل التعبير: المفتاح مال وسلطان فمَن رأى أنه فتح باباً بمفتاح فإنه يظفر بحاجته بمعونة مَن له بأس، وإن رأى أن بيده مفاتيح فإنه يصيب سلطاناً عظيماً. ونقل عن الخطابي أنه قال: المراد بخزائن الأرض ما فُتِحَ على الأُمة من الغنائم من ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما، ويحتمل معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة.

وقال غيره: بل يُحْمَلُ على أعمّ من ذلك.

قال ابن حجر: ومفاتيح خزائن الأرض المراد بها ما يُفتَح لأُمّته من بعده من الفتوح.

وقيل المعادن: وهو ما يظهر في أيامنا هذه من معادن وبترول وغازات طبيعية وغيرها.

وقال ابن حجر: وأنتم تنتثلونها من النثل بالنون والمثلثة أي تستخرجونها. تقول: نثلت البئر إذا استخرجت ترابها.

(١) رواه البخاري ومسلم.



١ ـ وُلاة الأمر

ومن الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ، وأوّلها بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما جاء في حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط**[١] **برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر**».

قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: «أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما ما يذكر رسول الله ﷺ، من نوط بعضهم ببعض فهم وُلاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيّه ﷺ»[٢].

---

(١) نِيطَ: علق.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وصحّحه ابن حبّان والحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي.

٢ ـ رؤيا الخلفاء الأربعة بعده ﷺ

هذه الرؤيا رآها رسول الله ﷺ عن الخلفاء الأربعة بعده. فعن سفينة مولى أُم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قال: فصلى ذات يوم فقال: **«أيكم رأى رؤيا»**؟ فقال الرجل: أنا رأيت يا رسول الله، كأن ميزاناً دُلِّيَ به من السماء فوُضِعتُ في كفّة ووُضِعَ أبو بكر في كفّة أخرى فرجحت بأبي بكر ورُفِعتُ وتُرِكَ أبو بكر مكانه فجيء بعمر بن الخطاب فوُضِعَ في الكَفَّة الأُخرى فرجح به أبو بكر فرُفِعَ أبو بكر وجِيء بعثمان فوُضِعَ في الكفّة الأخرى فرجح عمر بعثمان، رُفِعَ عمر وعثمان ورُفِعَ الميزان، قال: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: **«خلافة النبوّة ثلاثون عامًا ثم تكون مُلْكاً»**. قال سعيد بن جُهمان: فقال لي سفينة: أمسك سنتي أبي بكر، وعشر عمر، وثنتي عشرة عثمان، وست عليّ ـ رضي الله عنهم[(١)] ـ.

وعن سَمُرَة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ أن رجلًا قال: يا رسول الله إني رأيت كأن دلواً دُلِّي في السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً[(٢)]، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيبها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيبها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عليّ فأخذ بعراقيبها فانتشطت[(٣)] وانتضح عليه منها شيء[(٤)].

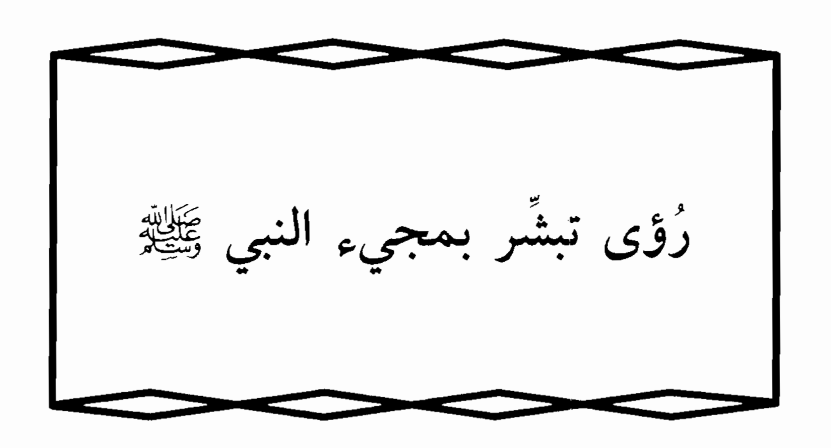
---

(١) رواه البزار مختصراً، وله شاهد من حديث أبي بكرة (نفيع بن الحارث) عن أبي داود والترمذي والحاكم، الحديث حسن.

(٢) إشارة إلى قِصَر مدة خلافته.

(٣) انتشطت: نزعت وضربت.

(٤) رواه أبو داود والبيهقي، ورواه أحمد.



١ ـ رؤيا الموبذان قاضي وحاكم الفرس

روى هذه الرؤية مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيه ـ وقد عاش مائة وخمسين سنة ـ قال مخزوم عن أبيه:

لمّا كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ، ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرفَة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلًا صِعاباً تقود خيلًا عِراباً وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى فصبر تشجّعاً، ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازبته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالذي بعث إليهم فيه ودعاهم، فبينا هم كذلك إذ وَرَدَ عليه كتاب بخمود النار فازداد غمًّا إلى غمِّهِ.

فقال الموبذان: وأنا أصلح الله الملك، قد رأيت في هذه الليلة ـ وقصّ عليه الرؤيا في الإبل ـ فقال: أيّ شيء يكون هذا يا موبذان؟

ـ وكان أعلَمهم عند نفسه بذلك ـ فقال: حادث يكون من عند العرب، فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أما بعد فوجِّه إليَّ رجلًا عالِماً بما أُريد أن أسأله عنه، فوجّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حبّان بن بقيلة الغساني فلما قَدِمَ عليه قال له: أعندك علم بما أُريد أن أسألك عليه؟

قال: ليخبرني الملك فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمَن يعلمه له. فأخبره بما رأى.

فقال: علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارِف الشام يُقال له سطيح، قال: فأته فاسأله عمّا سألتك عنه وائتني بجوابه، فركب عبد المسيح راحلته حتى قَدِمَ على سطيح وقد أشرف على الموت فسلَّم عليه وحيَّاه فلم يُحِر سطيح جواباً فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن

وذكر سبعة أبيات من الشعر.

فلما سمع سطيح شِعره رفع شَعره وقال: عبد المسيح، على جمل يسيح، إلى سطيح، وقد أوفىٰ على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلًا صِعاباً، تقود خيلًا عِراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وبُعِث صاحب الهراوة (يقصد به الرسول ﷺ)، وقاضي وادي السماوة، وغاصت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليست الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشّرفات[1]، وكل

---

(١) أربع عشرة شرفة سقطت من قصر كسرى حين وُلِدَ النبي ﷺ بأربع عشرة ملكاً من=

ما هو آت، ثم قضى سطيح مكانه، فقام عبد المسيح إلى رَحْلِه (ناقته) وهو يقول ـ وذكر له سبعة أبيات من الشعر.

قلما قَدِمَ عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح، فقال: إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً كانت أُمور وأُمور فمَلَكَ منهم عشرة في أربع سنين، والباقون في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه[١].

وفي حديث سطيح «وخرج صاحب الهراوة» أراد به النبي ﷺ، لأنه كان يمسك القضيب بيده كثيراً، وكان يمشي بالعصا بين يديه وتُغرَز له فيصلي إليها.

وقد وقع تأويل رؤيا الموبذان في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ حين غزا المسلمون بلاد فارس وقطعوا دجلة إليهم وانتشروا في بلادهم يقتلون مقاتليهم ويسبون نساءهم وأطفالهم حتى أثخنوهم وانتزعوا الملك والمماليك منهم ومزّقوهم كلّ ممزّق، وكان معظم ذلك في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد دعا عليهم رسول الله ﷺ، أن يُمَزَّقوا كلَّ ممزّق، وذلك حين بلغه أن كسرى مزّق كتابه الذي بعثه إليه يدعوه فيه إلى الإسلام[٢]. وروى ابن سعد في الطبقات عن عبد الله بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ لمّا بلغه أن كسرى مزّق كتابه قال: «**اللّهمّ مزِّق مُلكَه**»، وقد استجاب الله دعاء رسوله.

= الفرس يقضى عليهم.

(١) رواه ابن جرير في تاريخه وأبو نعيم في الدلائل، والبيهقي في الدلائل.

(٢) روى ذلك الإمام أحمد والبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٢ ـ رؤيا آمنة أُمّ النبي ﷺ

قال ابن هشام عن آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ واصفاً لها: «وكانت يومئذ أفضل فتاة في قريش وموضعاً»[١].

وفي حديث للنبي ﷺ قال فيه: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[٢].

إذا تحدّثنا عن آمنة فإننا نعود قليلًا إلى عمق التاريخ وشِعابه لنرى مكة كيف حملت الآباء والأجداد قصيّ بن كلاب وزهرة.

فقد بقي أمر البيت العتيق بعد إسماعيل في يد جُرْهم أخوال بنيه أجيالًا متعاقبة أقاموها حوله، وظلّ أمر مكة لجُرهم بعد أن غلبوا العماليق عليها إلى عهد مضاض بن عمرو بن الحارث، وقد راجت تجارة مكة خلال هذه الأجيال رواجاً أمَّر مُترَفيها وجعلوا ينسون أنهم بوادٍ غير ذي زرع وأنهم في حاجة لذلك الدائب المتصل واليقظة الدائمة، وبلغ من نِسيانهم أن نضب ماء زمزم وأن فكّر عرب خُزاعة في الوثوب إلى مناصب الأمر في البلد الحرام.

ولم يُجْدِ تحذير مضاض بن عمرو بن الحارث قومه عاقِبة ما انغمسوا فيه من ترف، وأيقن أن الأمر زائل عنه وعنهم؛ فعمد إلى زمزم فأعمق حفرها، وإلى غزالتين من ذهب كانتا بالكعبة مع طائفة من الأموال التي كانت تُهدَى إلى البيت الحرام فدفعها بِقاع البئر وأهالَ

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٥٦).

(٢) حديث شريف رواه مسلم.

الرِّمال عليها، آملًا أن يعود له الأمر يوماً فيفيد من الكشف عنها، وخرج ومعه بنو إسماعيل من مكة، ووَلِيَت خزاعة أمرها وظلّت تتوارثه حتى آلَ إلى قُصَيّ بن كلاب الجدّ الخامس للنبي ﷺ. وكانت أُمّ قُصَيّ فاطمة بنت سعد بن سهل قد تزوجت من كلاب فولدت له زهرة جدّ آمنة أم النبي ﷺ وقُصَيًا جدّ عبد الله أبو النبي ﷺ. ثم هَلَكَ كِلاب وقُصَيّ طفل في المَهد، وتزوّجت فاطمة من ربيعة بن حرام، فرحل بها إلى الشام وهناك ولدت له درّاجاً، وكَبُر قُصَيّ وهو لا يعرف لنفسه أباً غير ربيعة، ووقع بينه وبين آل ربيعة شرٌّ فعيّروه أنّه في جِوارهم وليس منهم، وشَكَا قُصَيّ إلى أُمّه ما عُيِّرَ إياه، فقالت: يا بني إنّك والله لأكرم منهم أباً، أنت ابن كِلاب بن مُرّة، وقومك بمكة عند البيت الحرام.

وقَدِمَ قُصَيّ مكة وأقام بها، وعُرِفَ عنه فيها من الجِدّ وحُسْن الرأي ما جعله موضع احترام أهلها وأهله فيها، وكانت سِدانَة البيت في خزاعة لحُليل بن حُبْشِيَّة، وكان رجلًا ثاقِب النظر حَسَن التقدير، فما لبث حين خطب قُصَيّ إليه ابنته حُبَّى أن رحَّبَ به وزوَّجها منه. واستمر دأب قُصَيّ في السّعي والتجارة، فكَثُرَت أمواله كما كَثُرَ أولاده، كما عَظُمَ بين قومه شرفه، ومات حُلَيل بعد أن أوصى بمفتاح البيت الحرام لابنته حُبَّي زوج قُصَيّ. واعتذرت حُبَيّ عن ذلك وجعلت المفتاح لأبي غبشان الخزاعي، وكان أبو غبشان سِكِّيراً، فأعوزه الشّرب يوماً فباع مفتاح البيت قُصَيًّا بزِقِّ خمر، وقدّرت قبيلة خزاعة ما يُصيب مكانتها بمكة إذا بقيت سِدانة الكعبة لقُصَيّ بعد أن كَثُرَ ماله وبعد أن بدأت قريش تجتمع حوله، فأنكروا أن يكون لغيرهم منصب من المناصب المتّصلة بالبيت الحرام، واستنصر قُصَيّ قريشاً، ورأت بعض القبائل أنه أحكم المُقيمين بمكة

وأعظمهم قدراً فانضمّوا له وأجلوْا خزاعة عن مكة، واجتمعت مناصب البيت كلها لقُصَيّ، وأمّر القوم له بالمُلْك عليهم.

وذهب البعض، كما قدّمنا، إلى أن مكة لم يكن بها بناء غير الكعبة إلى أن تولّى قُصَيّ أمرها، ويعلّلون ذلك بأن خزاعة وجُرهماً قبلها لم يريدوا أن يكون إلى جِوار بيت الله غيره، وأنهم لم يكونوا يُقيموا ليلهم بالحرم بل يذهبون إلى الحِلّ. ويُضيف البعض أن قُصَيًّا لمّا تمّ له أمر مكة جمع قريشاً وأمرهم أن يبنوا بها. وابتدأ هو فبنى دار الندوة يجتمع فيها كُبَراء أهل مكة تحت إمرته ليتشاوروا في أمور بلدهم، فقد كان من عادتهم ألّا يتمّ أمر إلا باتفاقهم، فلم تكن تُنكَح امرأة ولا يتزوّج رجل إلا في هذه الدار، وبنت قريش بأمر قُصَيّ حول الكعبة دُورها، وتركوا مكاناً كافياً للطّواف بالبيت، وتركوا بين كل بيتين طريقاً ينفذ منه إلى المطاف.

وكان عبد الدار أكبر أبناء قُصَيّ، ولكن أخاه عبد مناف كان قد تقدّم عليه أمام الناس وقد شرُف فيهم، فلما كبر قُصَيٌّ وضَعُفَ بدنه ولم يبقَ قادراً على تولّي أُمور مكة جعل الحجابة لعبد الدار وسلّم إليه مفتاح البيت، كما أعطاه السقاية واللواء والرّفادة، وكانت الرّفادة قسطاً تُخرجه قريش كل عام من أموالها فتدفعه إلى قُصَيّ يصنع منه في موسم الحج طعاماً ينال منه الحاجّ مَن لم يكن ذا سعة ولا زاد، وكان قُصَيّ أول مَن فرض الرّفادة على قريش حين جمعهم واعتزّ بهم وأخرج وإيّاهم خزاعة من مكة، فرضها عليهم وقال لهم:

يا معشر قريش! إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل حَرَمه، وإن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الأضياف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم.

وتولّى عبد الدار مناصب الكعبة كأمر أبيه وتولّاها أبناؤه من بعده، لكن ابنا عبد مناف كانوا أشرف في قومهم وأعظم مكانة، لذلك أجمع هاشم وعبد شمس والمطّلب ونوفل وبنو عبد مناف على أن يأخذوا ما بأيدي أبناء عمومتهم، وتفرّق رأي قريش، تنصّر طائفة لهؤلاء وأخرى لأولئك، وعقد بنو عبد مناف حِلف المطيبين، لأنهم غمَّسوا أيديهم في طِيب جاؤوا به إلى الكعبة وأقسموا لا ينقضون حِلْفهم، وعقد بنو عبد الدار حِلْف الأحلاف.

وكان هؤلاء وأولئك يوشكون أن يقتتلوا في حرب تُذيب قريشاً لولا أن تداعى الناس إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرِّفادة، وأن تبقى الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار ورضي الفريقان بذلك، وظلّ الأمر عليه إلى أن جاء الإسلام.

وكان هاشم كبير قومه، وكان ذا يسار، فوَلِيَ السقاية والرِّفادة، ودَعا قومه إلى مثل ما دعاهم إليه قُصَيّ جدّه، دعاهم إلى أن يُخرِج كلٌّ منهم من ماله ما يُنفقه هو في إطعام الحاجّ أثناء الموسم، فزاروا بيت الله وحُجّاجه هم ضيف الله وأحقّ الضيف بالكرامة ضيف الله، وكذلك كان يطعم الحاج جميعاً حتى يصدُروا عن مكة.

لم يقف أمر هاشم عند هذا، بل اتصل بِرّه وكرمه بأهل مكة أنفسهم. أصابهم جَدْب، فجاء لهم من الطعام وثَرَدَ لهم الثَّريد بما جعلهم ينظرون من جديد إلى الحياة بوجه باسِم، وهاشم هو كذلك الذي سَنَّ رِحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. وبهذه المظاهر كلها ازدهرت مكة وسَمَت مكانتها في أنحاء شبه الجزيرة جميعاً وتزوّج هاشم سلمى بنت عمرو الخزرجية من

المدينة وعاشت في مكة زمناً وأنجَبَت ولداً سمّته شيبة، ثم عادت به إلى المدينة وظلّ في حضانتها.

ومات هاشم بعد سنين بمدينة غزّة أثناء إحدى رحلات الصيف، فخلفه أخوه المطّلب في مناصبه، وكان المطّلب أصغر من أخيه عبد شمس ولكنه كان ذا شرف في القوم وفضل، وكانت قريش تسمّيه الفيض لسماحته وفضله. وطبيعيٌّ، وذلك مكان المطّلب في قومه، أن تبقى الأمور تسير سِيرتها مطمئنة هانئة.

وفكّر المطّلب يوماً في ابن أخيه هاشم، فذهب إلى يثرب وطلب إلى سلمى أن تدفع إليه الفتى وقد بلغ أشُدّه، وأردف المطّلب الفتى على بعيره ودخل به مكة، فظنّته قريش عبداً له جاء به، فتصايحت: عبد المطّلب... عبد المطّلب...

قال المطّلب: ويحكم، إنما هو ابن أخي هاشم قَدِمتُ به من يثرب واسمه «شيبة» على أن هذا اللقب «عبد المطّلب» غلب على الفتى فدُعِيَ به ونسي الناس اسم شيبة الذي دُعِيَ به منذ وُلِدَ.

وأراد المطّلب أن يردّ على ابن أخيه «شيبه» أموال هاشم، لكن نوفل أبى ووضع يده عليها، فلما اشتدّ ساعِد عبد المطّلب استعدى أخواله بيثرب على عمّه كي يردّوا عليه حقّه، وأقبل ثمانون فارساً من خزرج يثرب لنصرته، فاضطر نوفل إلى ردّ ماله إليه، وقام عبد المطّلب في مناصب هاشم، له السقاية والرِّفادة من بعد عمّه المطلب، وقد لَقِيَ في القيام بهذين المنصبين نَصَباً، وشيئاً غير قليل من المشقَّة. فقد كان يومئذ وليس له من الأبناء إلا ولده الحارث، وكانت سقاية الحاج يُؤتى بها، منذ نضبت زمزم، من آبار عدّة مُبَعثرة حول مكة، فتُوضَع في

أحواض إلى جِوار الكعبة، وكانت كثرة الولد عَوناً على تيسير هذا العمل والإشراف عليه، أما وقد وَلِيَ عبد المطّلب السّقاية والرِّفادة وليس له ولد إلا الحارث فقد عناه الأمر وطال فيه تفكيره.

وجاء أمر حفر زمزم الذي تحدّثنا عنه في صفحات من هذا الكتاب وأحسّ عبد المطّلب قلّة حَوْله في قومه لقلّة أولاده، فنَذَرَ إن وُلِدَ له عشرة بنين ثم بلغوا معه أن يمنعوه من مثل ما لَقِيَ حين حفر زمزم لينحرنّ أحدهم لله عند الكعبة. وتوالى بنوه عشرة آنس فيهم المقدرة على أن يمنعوه، فدعاهم إلى الوفاء بنَذره فأطاعوا[(١)].

وفي سبيل هذا الوفاء كتب كل واحدٍ من الأبناء اسمه على قِدْح، وأخذها عبد المطّلب وذهب بها إلى صاحب القِداح عند هُبَل في جوف الكعبة. فلما ضرب صاحب القِداحِ القِداحَ التي عليها أسماء هؤلاء الأبناء ليختار هُبَل من بينها مَن ينحره. خرج القدح على عبد الله، فأخذ عبد المطّلب الفتى بيده وذهب به لينحره حيث كانت تنحر العرب عند زمزم بين إساف ونائلة، إذ ذاك قامت قريش كلها من أنديتها تَهيب به ألّا يفعل، وأن يلتمس عن عدم ذبحه عند هُبَل عذراً، وتردَّدَ عبد المطّلب لدى إلحاحهم، وسألهم ما عسا يفعل لترضى الآلهة؟ قال المغيرة بن عبد الله المخزومي: إن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وتشاور القوم واستقرّ رأيهم على الذهاب إلى عرّافة بيثرب لها في هذه الأمور رأي، وجاؤوا العَرَّافة، فاستمهلتهم إلى الغد ثم قالت لهم: كم الدّية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل. قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم تقرَّبوا وقرِّبوا عشراً من

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، السيرة للذهبي في تاريخ الإسلام، حياة محمد للدكتور هيكل.

الإبل ثم اضربوا عليه وعليها بالقِداح، فإن خرجت على صاحبكم: فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربّكم، وقبلوا، وجعلت القِداح تخرج على عبد الله فيزيدون في الإبل حتى بلغت مائة، عند ذلك خرجت القِداح على الإبل. فقالت قريش لعبد المطّلب، وكان أثناء ذلك كله واقفاً يدعو ربّه: قد رضي ربّك يا عبد المطّلب. قال عبد المطّلب: لا والله، حتى أضرب عليها ثلاث مرّات، وفي المرّات الثلاث خرجت القِداح على الإبل. فاطمأن عبد المطّلب إلى رِضا ربّه ونُحِرَت الإبل، ثم تُرِكَت لا يُمنَع عنها إنسان ولا سَبُع.

وكان عبد الله بن عبد المطّلب فتًى وسيماً جميل الطّلعة، وكانت أوانس مكة ونساؤها مُعجَبات لذلك به، وزادهنّ إعجاباً حديث الفِداء والمائة من الإبل التي لم يرضى هُبَل بما دونها فِداءً له، ولكن القَدَر كان قد أعدَّ عبد الله لأكرم أُبوّة عرفها التاريخ، وأعدَّ آمنة بنت وهب لتكون أُمًّا لابنه عبد الله؛ لذلك تزوّجها ولم تكُ إلا أشهر بعد زواجه منها حيث مات، لم يُنْجِه من الموت فداءٌ أيًّا كان نوعه، وبقيت آمنة من بعد لتَلِد محمّداً ولتموت وما يزال طفلًا ـ لكنّا سنتوقف قليلًا عند الزواج والحَمْل والرؤيا وميلاد النبي ﷺ بعد هذا القدر على حديث الرؤيا التي قصدناها من سَرْدِ أُصول عبد الله الزوج والأب وآمنة الأُم صاحبة الرؤيا العظيمة وهي تحمل بين أحشائها أشرف الخلق أجمعين فإلى صورة سريعة نقف بعدها عند رؤيا آمنة بنت وهب.

زواج عبد الله وآمنة العروسان

العروسان عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم والد النبي ﷺ وأُمّه فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية، من صميم البيت القرشي، وقد

أنجبت لعبد المطّلب: أبا طالب، والزبير، وعبد الله، وأم حكيم البيضاء توأمة عبد الله، وعاتكة، وبَرَّة، وأُميمة، وأروى[١].

وجَدّة عبد الله لأبيه هي: «سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية «التي كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها، حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها إذا كرهتْ رجلًا فارقته»[٢].

وجدّته لأُمه: تَخْمرُ بنت عبد بن قُصَيّ القرشية «وأُمها سلمى بنت عامرة بن وديعة الفهرية»[٣].

وكان لبني هاشم آل النبي ﷺ وبني زهرة وتميم بن مُرَّة في دار عبد الله بن جدعان أحد بني تميم بن مرّة بن كعب بن لؤي - أهل أبي بكر الصديق، وعبد الله بن جدعان هو ابن عمّ السيدة عائشة رضي الله عنها. في بيت هذا الرجل صُنِعَ للقوم طعاماً، وتعاقدوا على «ألّا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلا أقاموا معه، وكانوا على ظلمه حتى تُرَدّ له مَظلمته».

وقد أثنى رسول الله على هذا الحلف حين قال: «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أُحبّ أن لي به حُمر النّعم، ولو أُدعى إليه في الإسلام لأحببتُ**».

هكذا كانت علاقة بنو زهرة ببني هاشم، بنو زهرة هم قوم آمنة بنت وهب الفتاة الزهرية الطاهرة.

---

(١) جمهرة الأنساب: ١٢، نسب قريش: ١٧.
(٢) انظر السيرة ١/١٤٥.
(٣) وفي قومها أخوال النبي ﷺ.

ومن هذه الأُسرة القرشية الكريمة التي عُرِفَت بقديم الصّلة والودّ لبني عبد مناف بن قُصَيّ، والتي ذكر لها التاريخ مُشاركتها في الأمجاد الكبرى لقريش، واتصالها الوثيق بالأحداث الجليلة التي شَهِدتها «مكة» قبيل الإسلام، وتحالفها مع هاشم وبنيه في الحلفين العظيمين: حلف المطيبين وحلف الفضول... من هذه الأُسرة الكريمة كانت: «آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة».

جدّها لأبيها: عبد مناف بن زهرة الذي يُقرَن اسمه بابن عمّه عبد مناف بن قُصَيّ، فيُقال المنافان تعظيماً وتكريماً[1].

وأبوها وهب بن عبد مناف «سيد بني زهرة شرفاً وحسباً».

ولم يكن نسب «آمنة» من جهة أُمّها، دون ذلك عَراقَة وأصالة، فهي ابنة: بَرّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ بن كلاب، وجدّتها لأُمّها أُم حبيب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ.

إنها سُلالة عريقة أصيلة، أنبتَت آمنة لتضطلع بعبئها الجليل في أُمومتها التاريخية لمحمد ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يعتزّ بنَسَبه فيقول بعد حديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «... **لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفًى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما**».

---

(١) جمهرة الأنساب: ١٢.

عودة إلى الزواج المُبارَك

قال ابن إسحٰق في السِّيرة: «ثم انصرف عبد المطّلب آخذاً بيد عبد الله - إثْرَ افتدائه من الذبح - فخرج حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوَّجه ابنته آمنة».

فلما بلغ عبد المطّلب دار بني زهرة واستقبله شيخها الهمام وهب بن عبد مناف والذي دخل على ابنته يقول: «إن شيخ بني هاشم قد جاء يطلبك زوجة لفتاه عبد الله»[١].

وعاد من فوره إلى ضيفه الكريم، وترك آمنة في شبه ذُهول، ما لبث أن أفاقت منه على صوت قلبها يخفق عالياً حتى ليكاد يبلغ مسمع أُمّها الجالسة إلى جِوارها: أحقًّا آثرتها السماء بفتى هاشم زوجاً؟!

ووضعت «آمنة» يدها على هذا القلب وقد خشيت أن يتمّ خفقاته عن انفعالها بالذي سمعت، ولم تَفُت هذه الحركة أُمّها، فاحتضنتها في حُنُوٍّ غامر، فأسلمت نفسها إلى صدر الأُم.

وجاءت سيدات بني زهرة وقد توافدت واحدة في إثْر أُخرى، مُهَنِّئات مُبارِكات.

وأحَطْنَ بالعروس يتحدّثن فيما ترامى إليهنّ من تعرّض نساء من قريش لعبد الله، ووقوفهنّ في طريقه بين الحرم ودار وهب، يعرضن أنفسهنّ عليه عرضاً صريحاً بادي اللهفة...

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٤، وعيون الأثر لابن سيّد الناس، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٥٨.

وسمعت آمنة من حديثهنّ ذاك عجباً!

سمعت أن بنت نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ القرشية، استوقفت «عبد الله» قريباً من الكعبة فقالت له:

ـ أين تذهب يا عبد الله؟!

ـ فأجاب في إيجاز: مع أبي...

قالت لك مثل الإبل التي نُحِرَتْ عنك اليوم، إن قبلت أن أهِبَ لك نفسي الساعة.

فردّ عليها معتذراً في تلطّف: ـ أنا مع أبي... ولا أستطيع خلافه ولا فراقه[١].

وقيل إن «فاطمة بنت مرّ» ـ وكانت من أجمل النساء وأعفهنّ، أو كانت كما ذكر الطبري وابن الأثير، كاهنة من خثعم[٢] دعته إلى نكاحها فقال:

أما الحرام فالممات دونه.

والحِلّ، لا حِلّ فأستبينه.

فكيف بالأمر الذي تبغينه.

وقيل كذلك إن ليلى العدوية، عرضت نفسها عليه يومئذ، فلم يستجِب لها.

بهذا ومثله كانت النساء يتحدّثن إلى «آمنة» زهرة قريش حين توافدن عليها للتهنئة.

---

(١) السيرة لابن هشام ج ١ ص ١٦٥، طبقات ابن سعد ١/ ٨٥، وعيون الأثر ١/ ٢٣.
(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٧٤، والكامل لابن الأثير ٢/ ٤.

ولعلهنَّ التمسن لهؤلاء النّسوة عذراً؛ أن كان عبد الله الذّبيح المُفتدىٰ، وإن لم يُفدَ أحد قبله بمائة من الإبل: «وما رُئِيَ في قريش قطّ ـ أحسن منه»[١].

كلّ هذا يدلّ على أن: «عبد الله كان شاباً وسيماً قويًّا، فلم يكن عجباً أن تطمع غير آمنة في الزواج منه، فلما بنى بها تقطعت بغيرها أسباب الأمل ولو إلى حين».

ولربما كان لزفافها على عبد الله دهشة وعجباً، إنه هو الفتى الذي ملأ الأسماع بقصة فِدائه، كما ملأ الأعين بسحر فُتُوّته ونضارة حيويته.

وكان عبد الله عند المكيّين عزيزاً لأن قصته مع الفِداء هزّت قلوبهم وجعلتهم يتعلقون به أكثر، وخاصّة عندما وجدوه صابراً مستسلماً لأمر الله، وقد أوشك عبد المطّلب على ذبحه شأنه شأن جدّه إسماعيل عليه السلام في الطاعة والتسليم.

والمُفتَدى هذه المرة ـ هو حفيد أصيل من ذريّة إسماعيل، التي انتشرت في الأرض، وتوارثت مجد الجدود ـ ولذلك فقد أُطلق على عبد الله وإسماعيل «الذبيحين»، وعلى محمد ﷺ «ابن الذبيحين».

وزُفَّ عبد الله إلى آمنة، بل زُفَّت آمنة إلى عبد الله ولقد قلنا زُفَّ عبد الله لأن الأفراح استغرقت ثلاثة أيام بلياليها كان عبد الله أثناءها يقيم مع عروسه في دار أبيها على عادة القوم[٢]، حتى إذا أشرق اليوم الرابع، سبقها إلى داره كي يهيِّئها لاستقبال الوافدة العزيزة، على حين مضت هي

---

(١) عيون الأثر ١/ ٢٣ عن الزبير بن بكّار.
(٢) السيرة لابن هشام ج ١، وعيون الأثر ١/ ٢٥.

في ذاك اليوم تملأ عينيها من دار أبيها التي استقبلتها وليدة ورَعَتها صبيّة، وزفّتها عروساً...

ثم راحت آمنة تودّع أهلها وأترابَها وصواحب صِباها، وشغلها ذلك كله ساعات النهار وقطعة من المساء، ثم جمعت نفسها وسارت في آلِها متّجهة إلى دُنياها الجديدة، وبيتها الجديد وهي تتلفّت بين خطوة وأُخرى إلى الربوع التي خلّفتها من ورائها.

وأمسكت آمنة عن الكلام في طريقها، وسارت خاشعة مخدّرة، هادئة حالِمة، حتى تلقّاها عبد الله على باب داره متلهّفاً مَشُوقاً فرفعت إليه وجهها، وأدركَ عبد الله ما بآمنة من مشاعر فِراق دار أهلها وصِباها.

فلم يشأ أن ينقلها بغتة من ذكريات ماضيها الذي فارقته وشيكاً بل قادها في رِفق وصَحِبها في هدوء إلى رَحبة الدار الواسعة، حيث أُعِدَّت هنالك مجالس للضيوف الكِرام الذين صَحِبوا العروس إلى بيتها.

وراح يُريها بيتها الجديد، وداره الأثيرة إلى نفسه، ولم يكن البيت كبيراً ضخم البناء، لكنه إذا قِيسَ ببيوت مكة يومئذ، عُدَّ رَحِباً مُريحاً لعريسين يبدآن حياتهما المشتركة.

كان كما وصفوه[١]: ذا درج حجري يُوصِل إلى باب يفتح من الشمال، ويُدخَل منه إلى فناء يبلغ طوله نحو اثني عشر متراً في عرض ستة أمتار، وفي جِداره الأيمن باب يُدخَل منه إلى قبّة، في وسطها ـ يميل إلى الحائط الغربي، مقصورة من الخشب، أُعِدَّت لتكون مخدع العروس.

---

(١) الرحلة الحجازية: محمد لبيت البتانوني.

وترك عبد الله، عروسه في مخدعها مع رفيقاتها من سيدات آل زهرة، ثم خرج إلى رحبة الدار الواسعة، حيث الضيوف الكِرام الذي صَحِبوا العروس إلى بيتها...

ومضى وهَنٌ من الليل والقوم ساهرون، يُباركون العتبة الجديدة التي انتقلت إليها زهرة قريش، ويدعون للزْوجين الكريمين، أعزّ ما عرفت الحجاز حسباً وأعرقهم نسباً.

الرؤيا البشارة

آبَ الضيوف إلى منازلهم وبدأت حياة عبد الله وآمنة سعيدة هانئة، ولربما كان ما يشغل آمنة هو النِّسوة اللواتي شغلنه في أيامه قبل الزّفاف.

قال عبد الله لآمنة: ليس هناك جديد سوى أن لقصتهنّ بقية، لقد حدث ذلك في يومنا هذا، ولو تعرفين يا آمنة أن خاطِبات الأمس اللّائي عرضن أنفسهنّ عليّ أصبحن اليوم زاهِدات في ذلك!!.

استغربت آمنة من حديث عبد الله، فكيف تحوّلن هؤلاء النسوة في فترة وجيزة إلى زاهدات وغير راغبات في الزواج بعبد الله لو عرض عليهنّ ذلك الأمر!!.

وجعلت آمنة ترنو إلى صاحبها عبد الله، وتنظر إليه كي تسمع تفسيراً مُقنِعاً لما يقول.

أحسّ عبد الله بما تريد واستطرد يقول:

أجل يا ابنة وهب! زاهدات في فتاكِ كأنه أُبدِلَ خلقاً جديداً، مررت بهنّ اليوم في طريقي بين دار أبيك ودارنا هذه، فأشَحْنَ عني

بوجوههنَّ مُعرِضات، إلى حدٍّ أثار عجبي وفضولي إلى معرفة سرّ هذا الانقلاب، فسألت إحداهنّ، بنت نوفل:

ـ «ما لكِ لا تعرضين عليّ اليوم، ما كنتِ عرضتِ عليَّ بالأمس»؟

فكان جوابها مدهشاً عندما قالت:

ـ «فارقَكَ النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك حاجة اليوم»[(١)].

وكذلك أعرضت عني فاطمة بنت مرّ قائلة: «قد كان ذلك مرة، فاليوم لا»[(٢)].

ثم أضافت: «إني والله ما أنا بصاحبة رِيبة[(٣)]، ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون لي، فأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد، فما صنعت بصري»!

قال: «زوّجني أبي آمنة بنت وهب» فأنشدت[(٤)]:

لله ما زُهريةٌ سلبت منك الذي استلبت وما تدري! ثم قالت في تحسّر:

ولمّا قضت منه «أمينةُ» ما قضت نبا بصري عنه وكلَّ لساني.

وسألته الثالثة: «ليلى العدوية» ماذا صدّها عني؟ فأجابت:

---

(١) انظر هذا الحوار في سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٥.

(٢) انظر الطبري ٢/ ١٧٤، وابن الأثير ٢/ ٤.

(٣) المصادر السابقة وفي نهاية الأرب: إني والله لست بصاحبة زينة ١٦/ ٦١.

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ١٧٤، والروض الأنُف ١/ ١٨٠، ونهاية الأرب ١٦/ ٧٧.

«مررت بي وبين عينيك غُرَّة بيضاء، فدعوتكَ فأبيتَ عليَّ، ودخلت على آمنة فذهبت بها».

وصمت «عبد الله» وسكتت العروس، وقد راحا يفكّران في ذلك الموقف الغريب الذي وقفته نسوة قريش من «عبد الله».

ثم كانت آمنة هي التي قطعت الصمت فجأة، بأن طلبت من زوجها أن يُعيد عليها ما كان بينه وبين بنت نوفل.

فتساءل عبد الله وقد رابَه ما يبدو على آمنة من اهتمام: ولماذا تسألين عن بنت نوفل دون سواها؟

أجابت «آمنة» في جِدٍّ: ستعرف بعدُ، فهلّا أعَدْتَ لي ما قالت؟ فلم يَسَع عبد الله إلا أن يقول:

سألتها: ما لكِ لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضتِ عليَّ بالأمس؟

فأجابت: فارقك النور الذي كان معك، فليس لي بك اليوم حاجة.

تأمّلت آمنة في كلمات بنت نوفل وتذكّرت أنها أُخت ورقة بن نوفل الذي تنصّر واتّبع الكتب، وبشَّر بأن سيكون في هذه الأُمة نبي!

وتذكّرت أيضاً أن فاطمة بنت مرّ، قرأت الكتب كذلك وهي بعدُ كاهنة خثعم[١].

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٧٤، والنهاية لابن الأثير ٢/ ٤.

ونامت آمنة ليلتها، وما تكفّ هذه الرؤيا عن الإلمام بها، وعبد الله إلى جانبها ساهر يقظان، يرقب في نور الفجر الوليد تلك الابتسامة الرقيقة التي يتألّق بها وجهها الحلو، وهي نائمة تحلم.

حتى إذا دَنَا الصبح، استيقظت العروس آمنة من نومها الهنيء، وأقبلت على زوجها تحدّثه عن رؤياها:

«رأت كأن شُعاعاً من النور ينبثق من كيانها اللطيف فيُضيء الدنيا من حولها حتى لكأنها ترى به قصور بصرى من أرض الشام، وسمعت هاتفاً يهتف بها، إنكِ قد حملت بسيّد هذه الأمة»[(١)].

وبقي عبد الله مع عروسه أياماً لم يحدّد لنا التاريخ عددها، ولكنها عند جمهرة المؤرِّخين لم تتجاوز عشرة أيام، إذ كان عليه أن يلحق بالقافلة التجارية المسافرة إلى غزة والشام في عِير قريش.

وأغلب الظن أنّ كلام «بنت نوفل» عن النور الذي فارق عبد الله إلى آمنة قد شغل أوقات السَّمَر في تلك الأُمسيات المعدودات التي قضاها العروسان معاً قبل أن يفترقا، وأن الأحلام قد حلّقت بهما في آفاق عُليا، خايلتها فيها أمينة عزيزة غالية قلَّ مَن شارفها أو طمع إليها[(٢)].

وحانت ساعة الفراق، فودّع عبد الله زوجه الحبيبة آمنة حين أذّن المؤذِّن برحيل القافلة، فتشبثت به «آمنة» وقد ساورها هاجس من قلق وتوجّس، ارتعدت منه، فربّت «عبد الله» على يدها اللطيفة في

---

(١) السيرة لابن هشام ج ١ ص ١٦٦.

(٢) الدكتور عائشة عبد الرحمٰن/ تراجم سيدات بيت النبوّة.

حُنوٌ، وهو يظن أن الذي بها لا يعدو أن يكون وحشة الفراق الوشيك.

وبعد مرور شهر من سفر عبد الله شعرت آمنة ببادِرَة الحَمْل الأولى، وكان شعورها به رقيقاً لطيفاً. وقد ذكر المؤرِّخون أن آمنة لمّا حملت برسول الله ﷺ كانت تقول: وما شعرت بأني حامل به ولا وجدت له ثقلةً كما تجد النساء، إلا أني أنكرت رفع حَيضتي، على أنها كانت ربما ترفعني وتعود، فأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال: هل شعرتِ أنك حَمَلْت؟ فكأني أقول: ما أدري؟ فقال: إنك حَمَلتِ بسيد هذه الأُمة ونبيِّها، وذلِك يوم الاثنين. فكان دليل مما يقّن عندي الحَمْل[1].

ومكث عبد الله في رحلته هذه الأشهر التي يقتضيها الذهاب إلى غزّة والعَوْد منها، ثم عرج على أخواله بالمدينة يستريح عندهم من وَعْثاء السفر ليقوم بعد ذلك في قافلة إلى مكة، لكنه مرض عند أخواله فتركه رفاقه، حتى إذا بلغوا مكة أخبروا أباه عبد المطّلب بمرضه، ولم يلبث عبد المطّلب حين سمع منهم أن أوفَدَ الحارث أكبر بَنيه إلى المدينة ليعود بأخيه بعد إبلَال له، وعَلِمَ الحارث حين بلغ المدينة أن عبد الله مات ودفن بها بعد شهر من مسير القافلة إلى مكة، فرجع أدراجه ينعي أخاه إلى أهله ويُثير من قلب عبد المطّلب ومن قلب آمنة همًّا وشجناً، لفَقْد زوج كانت ترجو في حياته هناءة وسعادة. وكان عبد المطّلب عليه حريصاً حتى افتداه من آلهته فداءً لم تسمع العرب من قبلُ بمثله.

---

(١) رواه الحافظ ابن سيد الناس من طريق الواقدي نسبه إلى وهب بن زمعة عن عمته - عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ٢٥، وانظر معه شرح المواهب للزرقاني ١/ ١٠٦.

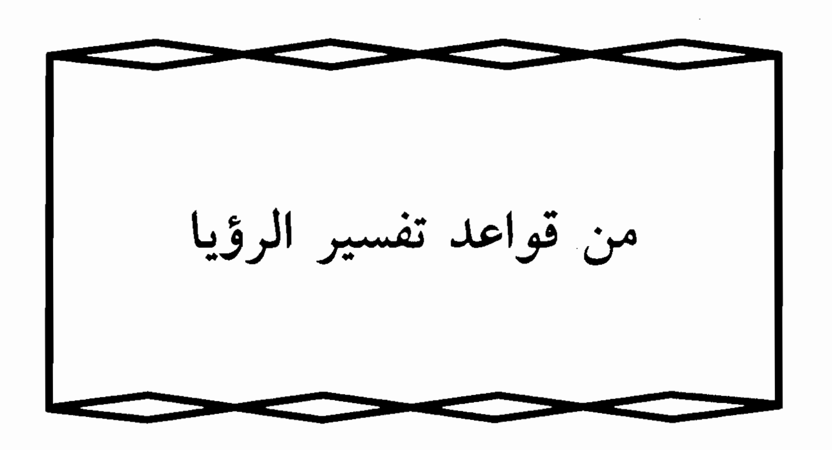
وترك عبد الله من بعده خمسة من الإبل وقطيعاً من الغنم وجارية هي أُمّ أيمن حاضنة النبي ﷺ من بعد، ربما لا تكون هذه الثروة مظهرَ ثَراء وسَعَة لكنها كذلك لم تكن تدلّ على فقر ومَتربة، ثم إن عبد الله كان في مُقتبل عمره، فكان قديراً على الكسب والعمل والبلوغ إلى السّعة في المال، وكان أبوه ما يزال حيًّا فلم يؤل إليه شيء من ميراثه.

رؤيا النبي ﷺ

وتقدّمت بآمنة أشهر الحَمْل حتى وضعت كما تضع كل أُنثى، فلما تمَّ لها الوضع بعثت إلى عبد المطّلب عند الكعبة تُخبره أنه وُلِدَ له غلام.

وتحقّقت رؤيا آمنة في مولد النبي ﷺ، ففاض بعبد المطّلب السرور حين بلغه الخبر، وذكر ابنه عبد الله وقلبه مُفعَم بالغبطة لِخَلِفه، وأسرع إلى زوج ابنه وأخذ طفلها بين يديه، وسار حتى دخل الكعبة وسمّاه محمداً، وكان هذا الاسم غير مُتداوَل بين العرب، لكنه كان معروفاً، وردّ الجَدُّ الصبيَّ إلى أُمه وجعل وإيّاها ينتظر المراضع من بني سعد لتدفع الأُم بوليدها إلى إحداهنّ، على عادة أشراف العرب من أهل مكة.

لقد صدقت رؤيا آمنة وجاء محمد ﷺ فأنارت رسالته قصور الشام ودخل رجاله قصور كسرى وبلاد الروم، وملأ الإسلام الدُّنيا، ملأها عدلًا، فكانت رؤيا آمنة الصادقة بشارة لها، ولقريش ولعبد المطّلب ولِمَن آمَنَ بدعوة محمد ﷺ.



من قواعد تفسير الرؤيا

وضع المُعبِّرون والمُفسِّرون للرؤىٰ والأحلام قواعد عامّة للتأويل والتعبير بحسب ما يرى الرائي، نَسُوق منها البعض لتكون عَوناً لمَن أراد أن يجتهد في هذا العلم الواسع.

في رؤيا الله عزّ وجلّ، والملائكة، والأنبياء عليهم السلام والصدِّيقين والتابعين رضي الله عنهم أجمعين

تكون رؤيتهم في الصفات الحسنة، أو إقبالهم على الرائي: دليل على البشارة والخير والرحمة، ورؤيتهم في الصفات الناقصة: دالٌّ على النقص في الرائي. فإذا رأى أحد ربّ العزّة عزّ وجلّ أو الملائكة والأنبياء والصدِّيق والصحابة قد قرّبه أو أجلسه في موضعه، أو كلّمه أو وعده، فبشارة له برفع المنزلة، فإن كان يليق به المُلْك أو الولاية، مَلَكَ وتولّى، أو القضاء أو التدريس حصل له ذلك أو حكم على أرباب صنعته، أو تقرّب من الملوك أو الوُلاة، أو القضاة، أو العلماء والزهّاد

وأرباب المناصب، وربما نال خيراً من الحاكم عليه كأحد أبويه، أو سيده أو أستاذه.

وإن كان كافراً: أسلم، أو مذنباً: تاب، وإن كان مريضاً: مات أو يقصد أكبر مواضع عباداته.

وأما مَن رآهم في صفة ناقصة، أو تهدّدوه، أو أعرَضوا عنه: تغيَّر عليه كبيره كالسلطان، والحاكم، والعالِم، والسيد والوالد، والعريف ونحوهم، وربما تغيَّر دينه[١].

وقد نبّه البغوي على أن رؤيا الله عزّ وجلّ في المنام جائزة[٢]، ويفسّر ذلك بظهور العدل والفرج والخصب والخير، ورؤيا النبي ﷺ حق، وكذا جميع الأنبياء، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم المضيئة، والسحاب الذي فيه الغيث، لا يتمثّل الشيطان بشيءٍ منها، ومَن رأى الملائكة تنزل في مكان فهو نُصرَة لأهل ذلك المكان، وفرج من كرب، وخصب من ضيق وقحط، وكذلك الأنبياء. ورؤية الأنبياء مثل رؤيا الملائكة إلا في الشهادة لأن الملائكة لا يراهم الناس، ورؤية النبي ﷺ في مكان سعة من ضيق، وفرج من كرب، ونُصرة من ظُلم، وكذلك رؤية الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ورؤية أهل الدين خير وبركة على قدر منازلهم في الدين.

وتعتبر الملائكة والأنبياء عليهم السلام، وتؤوَّل بما يليق بهم، فما صار جبريل أو جاء إليه، أو صار في صفته؛ دلَّ على مجيء رسول من

(١) قواعد تفسير الأحلام للمقدسي الحلبي.
(٢) انظر شرح السنا للبغوي ١٢/ ٢٢٧، ٢٢٨.

عند مَن دلّ الباري عزّ وجلّ عليه، كرسول من سلطان، أو حاكم، أو عالِم، أو ولد، ونحو ذلك. فإن كان في صفة حسنة: فرسول بخير، وإلا فلا، وإن صاحبه: صاحب إنساناً كذلك. وإن صار في صفته: ربما ترسّل لمَن دلّ الباري عليه[١].

وفي صحيح البخاري[٢] ومسلم واللفظ للبخاري:

«أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رِجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: مَن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه. . .» الحديث.

ـ وجبريل «جبر»: عبد، «وإيل»: هو الله تعالى بلسان الهندي الأول، وقيل: بلسان آدم عليه السلام[٣]. ولمّا كان متولّي الوحي من الله تعالى ورسوله إلى الأنبياء عليهم السلام دلَّ على ما ذكرنا من أحكامه. فقِس على ذلك.

ـ ميكائيل عليه السلام: دالٌّ على خازِن، أو منفق، أو متصرّف، في بيت مال مَن دلّ الباري عليه، فمَن أتاه في حالة جيدة؛ نالَ خيراً ممّن ذكرنا، وإلا فلا، ومَن صار في صفته، أو صاحَبه، تولى منصباً يليق به وذلك لأن ميكائيل يعدّ متولّي المياه ومراعاة النبات الذي هو

---

(١) تعطير الأنام للنابلسي ص ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٦٣ ومسلم برقم ٢١٨٩ . سحر النبي ﷺ.

(٣) القاموس المحيط للفيروزابادي ص ٤٦٠.

حياة الحيوان ويصرف لكل أرض بما يصلح لها أشبه الخازن والمنفق والمتصرّف فاعطِ لكل إنسان ما يليق به، كما قال لي إنسان[١]: رأيت كأنني ميكائيل، قلت له: أنت رجل مغربل، قال: نعم، لأن المطر ينزل من السُّحُب كما ينزل من الغربال. ومثله قال آخر، قلت: أنت قطّان تندف القطن، قال: نعم، وذلك لأنه يجهّز السُّحُب تجري كالقطن المتطاير من النّدف، وصوت قوس النّدف كالرعد. ومثله قال آخر، قلت: عزمت على أنك تجهّز الجِمال، قال: صحيح، قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: الآية **٣٣**] يعني عن السُّحُب. ومثله قال آخر، قلت: أنت سقّاء، ومن تحت يدك سقّاؤون، قال: نعم. ومثله قال آخر، قلت: أنت تزرع وتغرس وتسقي ذلك، قال: نعم. ومثله قال آخر، قلت: عزمت على عمل ساقية، قال: نعم. ومثله قال لي ملك مصر، قلت: عزمت على أنك تمنع أن يمشيَ أحد في الطرقات، قال: صحيح، لأن المطر الذي من تحت يد ميكائيل يمنع الطرقات، وعلى هذا يُقاس الأمر.

ـ عزرائيل عليه السلام: تدلّ رؤيته على اجتماع الهموم، وتفريق الجماعات، وموت المرضى، وخراب العامِر، وعلى الخوف[٢].

ـ وإسرافيل عليه السلام: بعكس عزرائيل، يدلّ على عمارة الخراب، واجتماع المتفرّق، وعافية المريض، وإسرافيل يُحيي الموتى، ويجمع المفرّق، ويُصلِح الأجساد.

---

(١) قواعد تفسير الرؤيا ص ١٨٦.

(٢) تعطير الأنام للنابلسي ص ٤٤٤، ٤٤٥.

رؤيا الأنبياء

وإذا كنا قد صدّرنا عنوان كتابنا هذا بعنوان رؤيا الأنبياء فقد أصبح لزاماً أن نتحدّث عن تأويل رؤيا الأنبياء وقد تحدَّث النابلسي عن تعبير الرؤيا إذا جاء فيها الأنبياء، من ذلك[١]:

١ ـ **يحيىٰ، عليه السلام**: مَن رآه في المنام، فإنه يُؤتَى وَرَعاً وتُقَى من الآفات، ولا يكون له نظير لقوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٩]. «ومَن رأى يحيىٰ عليه السلام، فإن ذلك حياة ودولة وبشارة ثابتة»[٢].

٢ ـ **يعقوب، عليه السلام**: مَن رآه في المنام رُزِق قوة ونعمة ظاهرة وأزواجاً وأولاداً أقوياء متظاهرين، ونال من قِبَل أحدهم حُزناً ثم يُفرِّج عنه ويُسَرّ وتقرّ عينه بما أحب، ومَن رأى يعقوب عليه السلام، فإنه ينال قُرباً إلى الله تعالى بطاعته وعبادته، ويتصدّق على المساكين، ويناله شدّة في نفسه، وهَمٌّ بحزن إخوة له، وربما ذهب بصره ثم يردّه الله تعالى عليه، وتدلّ رؤيته على ضعف البصر والشّفاء منه، والاجتماع بالأحبّة، والخَلاص من الشدائد ثم يؤول أمره إلى سلامه، وربما دلّت على عابِر الرؤيا، وعلى المال الجزيل، والأسفار، وعلوّ الأسعار، ووجود الضائع، وضياع الموجود، وحبس العاقبة في الأهل والمال والولد، وإن رأت المرأة يعقوب عليه السلام خِيفَ على ولدها من سجن أو تُهمة ويكون بريئاً مما يُتَّهَم به.

---

(١) تعطير الأنام للنابلسي.

(٢) المصدر السابق.

٣ ـ **يوسف، عليه السلام**: رؤيته في المنام دالّة على المُلْك والخلافة، وربما كان في زمن الغلاء والقحط، وفُقدان الأهل والأقارب والولد، وعلى أن الرائي يُمكَر به، وتدلّ رؤيته على السجن والخلاص منه، وعلى القحط وعلى الحظّ من النساء بسبب مَلاحته وحُسْنه، وربما دلَّت على علم الرؤيا وتفسير الأحلام. ومَن رأى يوسف عليه السلام، فإنه يُكَذَّب عليه ويُظلَم ويُحبَس وتناله شدّة، ثم يملك بعد ذلك مُلكاً وينال ظفراً أو عزًّا أو أولاداً، وتخضع له الأولياء والأقارب، لأن إخوته خضعوا له، ويكون كثير الصَّدَقة والإحسان. وقيل: مَن رأى يوسف عليه السلام، فإنه يصيبه بلاء وفتنة من قبل إخوته من مَكرٍ يمكرون به حتى يُسجَن ثم ينجو من ذلك السجن، ويُعطيه الله العبادة ويُكرمه الله بالذِّكر والثَّناء، ويُعينه ويقوِّيه بعد ضعفه بجميع أعدائه، ويعطيهم العطايا ويعفو عنهم. ومَن رأى يوسف عليه السلام نال خيراً في غُربته، وإن كان مسجوناً خُلِّصَ من سجنه وخضع له أعداؤه وظفر بهم، وإن كان غائباً رجع إلى وطنه سالماً، وإن كان طالباً للرياسة نالها، وإن رآه مَن يطلب نكاح امرأة وشراء جارية جميلة يملكها وينال مراده منها.

٤ ـ **يونس، عليه السلام**: مَن رآه في المنام، فإنه يتعجّل في أمر يناله منه حبس وضِيق وهَمّ ثم ينجو بعد ذلك ويتمتع إلى حين، وتكون معاملته مع قوم خائفين، ويكون سريع الغضب سريع الرِّضا[١].

٥ ـ **إبراهيم، عليه السلام**: رؤيته في المنام تدلّ على الخير والبركة، والعبادة، والشيخوخة، والرزق، والإيثار، والاهتمام بالأبنية الشريفة، والذرّيّة الصالحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام للنابلسي ص ٤٦٠.

والعلم، والهدى. وإن كان الرائي عالِماً بالنجوم، أو علم الرؤيا داخَله في ذلك غلط أو خلل، وربما دلّت رؤيته على التشريع والمحافظة على الخير، وهجران إخوان السوء، وربما دلّت رؤيته لمَن لمسه على المحبة لله تعالى وإن لمس عضواً من أعضاء الرائي وكان الرائي يشكو من ذلك العضو عافاه الله تعالى وأزال شكواه، وتدلّ رؤيته أيضاً على الحج. وإن رأت المرأة إبراهيم عليه السلام في منامها تكدّرت من زوجها بسبب ولد من أولاده، ويجري على بعض أولادها شدّة ويَسلَم منها. وربما دلّت إن كان للرائي أولاد أن يطلّق أحدهم زوجته بسببه. وإن رآه كافر أسلَمَ، أو مُذنِب تاب، أو تارِك للصلاة عاد إليها، ومَن تحوّل إلى صورة إبراهيم عليه السلام أو لبس ثوبه أصابته بلوى.

٦ ـ **إسحٰق، عليه السلام**: دالّة على الهمّ والنكَد إلّا أن يكون له ولد عقّه، فإنه يرجع إلى طاعته، وربما دلّت رؤيته على البشارة والأمْن من الخوف. وقيل: مَن رأى إسحٰق عليه السلام أصابته شدّة من بعض الكبراء والأقرباء ثم يُفرِج الله عنه ويرزقه عِزًّا وشرفاً وبشارة، وتكثر الملوك والرؤساء والصالحون من نسله، هذا إذا رآه على جماله وكمال حاله، فإن رآه متغيّر الحال ذهب بصره، وربما دلّت رؤيته على الخروج من همٍّ إلى فرج، ومن ضيقٍ إلى سعة، ومن معصية إلى طاعة، ومن عقوق إلى صلة. ومَن رأى أنه تحوّل في صورة إسحٰق عليه السلام استغفر الله تعالى ووجهه إلى القِبلة فإنه يُستَجاب دعاؤه، وإن كان إلى غير القِبلَة يُذنِب ذنباً ويتوب عنه.

٧ ـ **إسماعيل، عليه السلام**: مَن رآه في المنام فإنه ينال فصاحة ورياسة ويبني مسجداً، وربما دلّت رؤيته على أن إنساناً يوعده وعداً، وهو في قوله صادق. وقيل: إن مَن رآه رُزِقَ السياسة أو يُعين على

اتخاذ مسجد. وقيل: إنَّ مَن رأى إسماعيل عليه السلام أصابه هَمٌّ من جهة أبيه يسهِّل الله تعالى ذلك عليه(١).

٨ ـ **إدريس، عليه السلام**: مَن رآه في المنام أُكرِمَ بالورع، وخُتِمَ له بخير، وصار مجتهداً في العبادة بصيراً حليماً عالِماً، ومَن صار إدريس في المنام، أو على صفته كَثُرَ علمه، أو تقرّب من الأكابر ونال المنازل العالية، ومَن صاحَبَه صاحبَ إنسانًا كذلك، وإن رآه ناقص الحال عاد نقصه على الرائي.

٩ ـ **آدم، عليه السلام**: مَن رآه في المنام فإنه أذنَبَ ذنباً فليتُب منه، وربما دلّت رؤيته على الولد أو السلطان، أو على العلم، ومَن رأى أنه يذبح آدم عليه السلام، فإنه يغدر بالسلطان، أو يعقّ والدَيه أو معلِّمه، ومَن صار آدم عليه السلام أو صاحبه، أو انتقل إلى صفته، فإنه كان للخلافة أهلًا نالها، وإن كان عالماً انتفع الناس بعلمه أو نال علماً لا يُجاريه فيه أحد من الناس، وربما دلّت رؤيا آدم عليه السلام على عابر الرؤيا، لأنه أول مَن رأى المنام في الدنيا وعَلِمَ عباراتها، وتدلّ رؤيته على الحج والاجتماع بالأحباب، وربما دلّت رؤيته على كثرة النّسل، وتدلّ أيضاً على السهو والنسيان، وربما دلّت على المَكيدة والحِيلة، وعلى مُعاشرة مَن يعالج الحيّات، أو يصنع السُّموم، أو يرتزق من استحضار الشياطين ويتكلم على ألسنتهم، وربما دلّت رؤيته على اللّباس الخشن والبكاء، وربما دلّت على تنكيد الرائي من سبب مأكول، وربما دلّت رؤيته على السفر البعيد، وربما كان إلى الجهة التي نزل بها آدم عليه السلام، وربما رُزِقَ الرائي الذُّكور أكثر من الإناث، وإن كان الرائي

(١) تعطير الأنام للنابلسي.

مريضاً بعينه أفاق من شكواه، ومَن رآه في حال حَسَن عاد خير كبير عليه.

١٠ ـ **أيوب، عليه السلام**: تدلّ رؤيته على البلوَى وفقدان الأهل والمال والأزواج، ويُلهَم الصبر في ذلك كله، وربما دلّت رؤيته على ما خرج من يده من مال أو ولد، وربما وقع الرائي في يمين احتاج فيها إلى فقيه، وإن كان الرائي مريضاً شُفِيَ من مرضه وزال عنه سقمه، وربما بلغ ما يرجوه من إجابة دعاء أو سؤال حاجة، ومَن لبس ثوبه في المنام أصابه البلاء والنَكَد وفراق الأحبّة وكثرة المرض، ثم يزول ذلك جميعه، ويكون ممدوحاً عند الأكابر. وقيل: رؤياه تدلّ على البلاء والوحدة والبشارة بالعزّ والثّواب والمرأة إذا رأت في منامها امرأة أيوب عليها السلام دلّ ذلك على سَلْب أموالها وكشف حالها، وعلى أن عاقِبتها تكون إلى خير وسلامة، وإن رآها مريض مات وكان عند الله مرحوماً أو رحمه الله وكشف ضُرّه؛ لأن اسمها رحمة.

١١ ـ **صالح، عليه السلام**: مَن رآه في المنام فإنه ينال من قوم أردياء سفهاء همًّا وغمًّا، ثم يظفر بهم آخر الأمر، ويُفارقهم بعد المخالفة معهم، ومَن رأى صالحاً عليه السلام، فإنه في أمرِهِ صالح، وفي قولِهِ صادق. وقيل: تتسفّه عليه أعداؤه، ويتسلّطون عليه وعلى ظلمِهِ، ثم يُرزَق الظَّفر بهم.

١٢ ـ **شُعَيب، عليه السلام**: مَن رآه في المنام فإنه يكون بينه وبين قوم يبخسون المِكيال والميزان معاملة، ويبخسونه فيها ويؤذونه ثم يظفر بهم، ويُرزَق بنات، ويُصيب منهم سروراً، فإن رآه مقشعرًّا فإنّه يذهب بصره.

١٣ ـ ذو الكفل، عليه السلام: رؤيته في المنام على كفالة وأمانة يتقلّدها.

١٤ ـ زكريا، عليه السلام: مَن رآه في المنام على الكِبَر ولداً تقيًّا سيّداً وصالحاً، ويُصلِح الله تعالى لصاحِب الرؤيا زوجته.

١٥ ـ زيارة النبي ﷺ في المنام: فزيارته دالّة على التحبّب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، وتدلّ على الأمن من الخوف، والقُرْب من الأكابر وعلوّ الشأن، والتردّد إلى العلماء والسّادات، ومُوالاة أهل البيت، وحبّ مَن يحبّهم، وربما دلّت على الهوى والعلم والرشد.

وزيارة بيت المقدس في المنام تَدُلُّ على البركة والاطّلاع على العلوم والأسرار الخارقة. وزيارة الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام دالّة على طاعة الوالدين، والبِرّ لهما، والتحبّب إليهما بالقول والعمل، وربما دلّ على السّعي في طلب العلم، وربما دلّ على الحب لأهل الخير والطاعة، وبلوغ ما يؤمّله منهم من خير الدنيا والآخرة.

١٦ ـ سليمان، عليه السلام: تدلّ رؤيته في المنام على المُلْك لمَن يليق به، أو القضاء والحكم، أو الفقه والفتوى لمَن هو من أهل ذلك خصوصاً إن توجّه بتاجه، أو لبّسه خاتمه، أو أجلسه على سريرِهِ. وربما ذُلَّت له الصِّعاب، ونال من الله تعالى المنزلة العظيمة الرفيعة في الدنيا مع حُسْنِ عاقِبته في الآخرة، وربَّما دلّت رؤيته على المِحنَة من جهة النساء، وتنكّد من جهتهنّ. وإن كان الرائي والياً عُزِلَ عن منصبه، وعاد إليه.

وربّما تزوّج بالاحتيال امرأة ذات مال وشرف. وإن كان الرائي يُرزَق من جهة الطيور، وإحضار الجانّ، أو عمل القوارير، أفادَ من ذلك

رزقاً طويلًا، وربما يعدم له مال نفيس، ويجده بعد قطع يأسه منه، وربما انتصر على عدوّ بعد ظفره به والانتصار عليه.

وإن كان الرائي ممّن وقف عليه الريح، وهو مسافر في البحر أو مَن يحتاج إليه من غير سفر كأهل الدراية وشبههم أتاه ما يطلب.

ومَن رأى سليمان عليه السلام تظهر نِعَم الله عليه، وربما رزقه دراية طائلة وربما دلّت رؤيته على العلم باللغات كالترجمان، أو اللغة العربية.

وربما دلّت رؤيته على سلامة المريض، لأن مَن اسمه سليم كما أن مَن اسمه أمان. وكما أن إبراهيم إبراء خلافاً لرؤية نوح عليه السلام فإن رؤيته في المنام دالّة على موت المريض، لأن منه ناح ينوح، فمن ذلك منسأته أي: عصاه عليه السلام في المنام كان نمّاماً، وإن كان مريضاً مات، ومَن رآه عليه السلام تكثر أسفاره، وينال ولاية يطيعهُ العدوّ والصديق فيها إن كان أهلًا لذلك، ومَن رآه عليه السلام يكسب مالًا وينال مُلكاً عظيماً، ويكون له سفر بعيد سريع الرّجعة، وينال خيراً وسلامة.

١٧ ـ **شُعَيب، عليه السلام**: مَن رآه في المنام، فإنه يكون بينه وبين قوم يبخسون المِكيال والميزان معاملة، ويبخسونه فيها ويؤذونه ثم يظفر بهم، ويُرزَق بنات، ويصيب مِنهُنَّ سروراً، فإن رآه مقشعرًّا فإنه يُذْهب بصرَهُ.

١٨ ـ **عُزَير، عليه السلام**: مَن رآه في المنام أصاب رياسة بعلمه وكتابته وحكمه.

١٩ ـ **لوط، عليه السلام**: رؤيته في المنام تدلّ على الأنكاد والهموم من قومه وزوجته، وربما انتصر الرائي على أعدائِهِ ورأى فيهم

المَقْت من الله تعالى، وتدلّ رؤيته على القهر والخسف والهلاك إن كان الناس على ما كان عليه قومه في زمانه. وإن رأت امرأة لوط في المنام خرجت عن طاعة زوجها، وسَعَت في فساد حاله، وربما تهلك، وإن رآها الناس كافّة ظهر الفساد في النساء في ذلك الإقليم.

٢٠ ـ محمد ﷺ، نبيّنا الكريم الرؤوف الرحيم: ورد عنه في الحديث الصحيح أنه قال: «**مَن رآني في المنام، فسيراني في اليقظة، فإن الشيطان لا يتمثّل بي**».

وفي رواية: «**مَن رآني فقد رأى الحق**».

وفي رواية أنس رضي الله عنه: «**مَن رآني في المنام فلن يدخل النار**».

وفي رواية: «**مَن رآني في منامه فقد رآني حقًّا ولا ينبغي للشيطان أن يتصوّر بصورتي**».

وهناك روايات أخرى غير هذا، وقد اختلف العلماء في معنى الحديث، فقال جماعة: محل هذا إذا رآه ﷺ في صورته التي كان عليها، وبالغ بعضهم فقال: في صورته التي قُبِض عليها. ومن هؤلاء ابن سيرين رحمه الله تعالى، فإنّه صحّ عنه أنّه كان إذا قُصَّت عليه رؤياه قال للرائي: صِف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لم يعرفها قال: لم تره. ويؤيّده حديث عاصم بن كليب ولفظه عند الحاكم بسند جيد. قلت لابن عباس رضي الله عنهما: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: صِفْه لي. فذكرت الحسن بن علي فشبّهته، فقال رأيته. ولا يعارضه خبر مَن رآني في المنام فقد رآني، فإنني أُرَى في كل صورة؛ لأنه ضعيف. فالصحيح أن رؤيته في كل حال ليست باطلة ولا أضغاثاً بل هي حقٌّ في

نفسها. وإن رُئِيَ بغير صفته إذ تصوّر تلك الصورة من قبل الله تعالى، فعلم أن الصحيح بل الصواب كما قال بعضهم: إن رؤياه حق على أيّ حالة فرضت، ثم إن كانت بصورته الحقيقية في وقت سواء كان في شبابه أو رجولته أو كهولته أو آخر عمره لم تحتج إلى تأويل، وإلا احتاجت لتعبير يتعلّق بالرائي. ومن ثَمَّ قال بعض علماء التعبير: مَن رآه شيخاً فهو غاية سلم، ومَن رآه شابًّا فهو في غاية حرب، ومَن رآه متبسّماً فهو متمسّك بسُنَّته.

وقال بعضهم: مَن رآه على هيئته كان دليلًا على صلاح الرائي، وكمال جاهه وظفره بما عاداه، ومَن رآه متغيِّر الحال عابساً كان دليلًا على سوء حال الرائي. وقال ابن أبي جمرَةَ: رؤياه في صورة حسنة حُسْن في دين الرائي، ومع شَيْن أو نقص في بعض بدنه خلَل في دين الرائي، لأنه ﷺ كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها ما يقابلها، وإن كانت ذات المرآة على أحسن حال وأكمله، وهذه الفائدة الكبرى في رؤيته عليه السلام إذ بها يُعرَف حال الرائي، ذكر هذا كله ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى في شرح شمائل الترمذي، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام، فإن الشيطان لا يتمثّل بالله، ولا بآياته، ولا بالأنبياء، ولا بالملائكة عليهم السلام. فمَن رأى نبيّنا محمداً ﷺ لم يزل خفيف الحال، وإن كان مهموماً فُرِّج عنه أو مسجوناً خرج من سجنه. وإذا رُئِيَ في مكان حصار أو غلاء فُرِّجَ عنه، ورخصت أسعارهم، وإن كانوا مظلومين نُصِروا، أو خائفين أمِنوا. ورؤيته ﷺ على ما وردت السُّنَّة من صفاته التي لا يُحسِن واصِف أن يُعبِّر عنها، فبشارة للرائي بحُسْن العاقبة في دينه ودُنياه، وعلى قدر ذاتك وصفاء مرآتك تتنزّل لك رؤيته عليه السلام في المنام فإن رآه مُقبِلًا عليه أو معلّماً له أو مؤتَمًّا به في صلاة أو طريق

أو أنّه أطعمه شيئاً حَسناً، أو كساه ملبوساً لائقاً، أو وعده أو دعا له بخير، فإن كان الرائي أهلًا للمُلْك، وكان في زمنه عادلًا حاكماً بالحق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإن كان عالِماً عَمِل بما عَلِم، وإن كان عابداً بلغ إلى منازل أهل الكرامات، وإن كان عاصياً تابَ وأناب إلى الله تعالى، وإن كان كافراً اهتدى، وربما بلغ قصده من علم أو قراءة أو عمارة باطن مع أُمِّيَّته لقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨].

وإن كان الرائي خائفاً أمِنَ من ذِي سلطان ورُزِق شفيعاً مقبولًا، لأنه صاحب الشفاعة، ورؤيته ﷺ تدلّ على الصبر على الأذى. وإن رآه يتيم بلغ مبلغاً عظيماً، وكذلك إن كان غريباً. وإن كان الرائي ممّن يعالج الأبدان انتفع الناس بطبِّه، وربّما دلّت رؤيته على نصر المؤمنين ودمار الكافرين خصوصاً إن كان معه أصحابه. وإن رآه مديون قضى الله دَينه. وإن رآه مريض شَفاه الله تعالى. وإن رآه مَن لم يحجّ حجّ البيت الحرام. وإن رآه يحارب نصره الله تعالى. وإن رآه ممتحي كفاه الله تعالى. وإن رُئِيَ في أرض أخصَبَت إذا كان علي هيئته. وإن رآه شاحب اللون مهزولًا أو ناقصاً بعض الجوارح، فذلك يدلّ على وَهَن الدين في ذلك المكان وظهور البِدعَة. وكذلك إن رأى عليه كسوة رثّة. وإن رأى أنه شرب دمه عليه السلام، خُبًّا فيه خُفية، فإنه يستشهد في الجهاد. وإن رأى أنه شرب علانية دلّ ذلك على نِفاقِه، ودخل في ذمّ أهل بيته وأعان على قتلهم. وإن رآه راكب فإنه يزور قبره راكباً، وإن رآه راجِلا توجّه إلى زيارته راجِلًا، وإن رآه قائماً استقام أمره وأمر إمام زمانه. وإن رآه قد مات يموت من نسله رجل شريف. وإن رأى جنازته فإنه تَحْدُث في تلك البقعة مصيبة فظيعة، وإن رأى أنه شيَّع جنازته حتى

قبره، فإنه يميل إلى البِدعة. وإن رأى أنّه قد زار قبره أصاب مالًا عظيماً. وإن رأى أنه ابن النبي ﷺ وليس هو من نَسْله دلّت رُؤياه على خُلوص إيمانه ويقينه.

ورؤيا الرجل الواحد رسول الله ﷺ في منامه لا يختص ببركته بل يعمّ جماعة المسلمين.

وإن رأى النبي ﷺ وقد أعطاه شيئاً من متاع الدنيا أو من طعام أو شراب، فهو خير يناله بقدر ما أعطاه، وإن كان ما أعطاه رديء الجوهر مثل البطيخ ونحوه، فإنه ينجو من أمرٍ عظيم إلا أنه يقع به أذى وتعب. وإن رأى عضوًا من أعضائه عليه السلام عند صاحب الرؤيا قد أحرزه، فإنه على بِدعة من شرائعه، ومَن رأى أنه تحوّل في صورته عليه السلام أو لبس ثوباً من ثيابه، أو دفع له خاتمه أو سيفه، فإن كان طالباً للمُلْك ناله ودانَت الأرض له. وإن كان في ذُلٍّ وهَوَان أعزّه الله، وإن كان طالب علم نال من ذلك مُراده. وإن كان فقيراً استغنى، أو عَزباً تزوّج. ومَن رأى لحيته الكريمة سوداء ليس فيها بياض، فإنه ينال سروراً وخصباً عظيماً. ومَن رآه في صورة كهل فإنه يدلّ على قوّة حاله ونصره على أعدائه. وإن رآه عليه السلام أعظم ما يكون فإن الإمام تعظُم رياسته وسلطانه. وإن رأى عُنُقه غليظاً فإن الإمام حافظ الأمانة للمسلمين. وإن رأى أنّ صدره أوسع ما يكون وأحسن، فإن الإمام يكون سخيًّا في عطاء الجند. وإن رأى بطنه خالياً فإن الخزانة خالية لا مال فيها. وإن رأى أصابعه اليُمنى مضمومة فإن الإمام لا يعطي الأرزاق، وصاحب الرؤيا لا يحجّ ولا يجاهد ولا ينفق على عِياله. وإن رأى يده اليسرى مضمومة فإن الإمام يحبس رزق أجناده، وأموال الجهاد، والصدقات، وصاحب الرؤيا يؤدّي الزكاة ويمنع السائل. وإن رآه في مسجد عليه السلام أو

حرمه أو مكانه المعروف، فإنه ينال قوّة وعِزًّا. ومَن رآه يؤاخي بين الصحابة، فإنه ينال علماً وفقهاً. ومَن رأى قبره عليه السلام فإنه يستغني وينال مالًا، وإن كان تاجراً ربح في تجارته، وإن كان مسجوناً خَلُصَ. ومَن رأى أنه أبو النبي ﷺ فإنه يقلّ دينه ويضعف يقينه. ومَن رأى أن واحدة من أزواج النبي ﷺ أُمّه زاد إيمانه. فإن رأى أنه يمشي وراء النبي ﷺ فإنه مُتَّبع السُّنَّة. ومَن رأى أن النبي ﷺ ينظر في أمره فإنه يأمره بأداء حقوق امرأته. ومَن رأى أنه يأكل مع النبي ﷺ يأمره بأداء زكاة ماله. ومَن رآه عليه الصلاة والسلام يأكل وحده فإن صاحب الرؤيا يمنع السائل، ولا يتصدّق فأمره بالصدقة. وإن رأى النبي ﷺ بلا نَعْل فإنه تارِك الصلاة مع الجماعة، فأمره بالصلاة مع الجماعة. ومَن رآه لابساً خُفَّيه فإنه يأمره بالجهاد في سبيل الله تعالى. ومَن رآه صافحه فإنه مُتَّبع سُنَّته. ومَن رأى النبي ﷺ في صورة شاب طويل، فإنه يكون في الناس فتنة وقَتْل. وإن رآه وهو شيخ كبير فإن الناس في عافية. وإن رآه وهو أدم اللون فإنه يترك غيّ الصِّبا، ويحدِّث نفسه بالتوبة. وإن رآه أبيض اللون فإنه يتوب إلى الله تعالى، ويَحسُن علمه، وتستقيم طريقه. ومَن رآه يعاتبه أو يجادله أو يرفع عليه صوته، فإن ذلك بِدع قد أحدَثها في الدين. ومَن رأى أنه يقبِّله فلينظر ماذا يروي عنه فليتثبت في ذلك. ومَن رأى أنه مات في موضع من المواضع فإنه تموت السُّنَّة في ذلك الموضع.

٢١ ـ داود، عليه السلام: مَن رآه في المنام يصيبُ قوَّة وسلطاناً، ويقع في أمر خطأ، ثم يندم ويتزهّد، ويُبتَلى بسلطان ظالم، ثم يُنجيه الله تعالى منه، ويظفر به وينصره عليه، ويرزقه المُلْك والشَّرَف. وقيل: مَن رأى داود عليه السلام، فإنه يكون في تلك البلدة ملك عادل، أو رئيس

فاضل، أو قاضٍ حكيم، وإن كان رئيس تلك البلدة ظالماً بَدَّله الله تعالى رئيساً عادلًا، وإن كان قاضياً جائِراً بدَّله الله تعالى مكانه قاضياً عادلًا في حُكمه، وإن محتملًا للقضاء ناله. ورؤية داود عليه السلام تدلّ على الخلافة، وربما دلّت رؤيته على الامتحان بالنساء، والإنكار من جهتهنّ. ومَن رأى أنه تحوّل في صورة داود عليه السلام، أو لبس ثوباً من ثيابه، فإن كان ممّن يليق به القضاء والحكومة نال ذلك، وإن لم يكن يليق به ذلك، فإن كانت معشيته وصناعته من الحديد أو به أفادَ مالًا، وإن لم يكن له شيء من ذلك، فإن كان رجلًا صالحاً بُشِّرَ بازدياد الخير، وكثرة البكاء، والخشوع، والحُزن. وإن كان عالِماً جائراً ورآه يُحزنه أو يتوعّده، أو رآه عبوساً في وجهه فليتَّقِ الله تعالى، وليُصلح شأنه.

٢٢ ـ عيسى، عليه السلام: مَن رآه في المنام، فإنه يكون رجلًا مُبارَكاً كثير الخير كثير السفر في رِضاء الله تعالى، صاحب نُسك ويرضى بالقليل ويُرزَق معرفة الطب، وإن رآه وكان خائفاً أو مَن تدلّ رؤياه على العزّ والبركة أينما حلّ. وإذا رآه المريض نَجا وشفيَ. وإذا رأيته وهو مريض دلَّ ذلك على الموت، ورؤياه تدلّ على ظهور شيء يتعجّب الناس منه، وعلى حصول العدل والرِّضاء. والمرأة الحامل إذا رأت عيسى عليه السلام ولدت غلاماً طبيباً. ورؤيا عيسى عليه السلام تدلُّ على الشَّك في الدين واختلاف الكلمة فإن اليهود قالوا قتلناه وصلبناه، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: الآية ١٥٧]. وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٩١].

وربما دلّت رؤيته على ظهور ناس من أُمّته، وإن كان الرائي صانعاً أو متطبِّباً استفاد من ذلك وسهلت أُموره، وربح في صنعته. وربما اتُّهِمَ

الرائي تُهمة وهو منها بريء، وربما كُذِّبَ عليه أو على أُمّه. ورؤيته مع أُمّه دليل على ظهور آية في المِصْر أو البلد الذي يراهما الرائي فيه. وربما دلَّت رؤيتهما على الهموم والأنكاد، والقذف، والنقلة من مكان إلى مكان. وربما دلّت رؤيتهما على ظهور العجائب. وربما دلّت رؤيته على الغضب والسّخط على الأكابر، لأن الذين سألوا المائدة ولم يؤمنوا بها ولا بعيسى مُسِخوا خنازير، كما مُسِخَ الذين اعتدوا في السبت من قوم موسى عليه السلام قِرَدة. وربما دلّت على الحظّ الوافر من الأصحاب أو التلامذة. ومَن رأى من الأولاد الصِّغار عيسى عليه السلام عاش يتيماً وتربّى في حجر أُمّه، وعاش صالحاً عالماً. فنزوله عليه السلام في المنام في مكان يدل على ظهور العدل في ذلك المكان وحُلول البركات، وهلاك الكافرين، ونصر المؤمنين.

٢٣ ـ موسى، عليه السلام: مَن رآه في المنام فإن الله تعالى يُهلِك عليه جبّاراً، وينال من بعده عزًّا ونصراً، ويكون فيه حدّه ولا يُذلّ ولا يُخذَل.

ورؤية موسى عليه السلام تدلّ على قرّة أصحاب الحق، وقهر أصحاب الباطل وإن كان هناك ملك جبار أو رئيس زنديق أهلكه الله وينجو من شرّه، وربما تنكّد من قومه أو من أحد من أهله بسبب وصية أو أمر بالمعروف. وربما دلَّت رؤيته على حُسْن السّفارة والوساطة الحَسَنة.

وتدلّ رؤيته عليه السلام على السفر في البحر، وتكون عاقبته إلى سلامة وربح، وربما قيل في عرضه ما ليس فيه، وربما كان في كلامه نقص أو عيب في رأسه.

ومَن رأى موسى عليه السلام من أرباب التجرّد دلّ ذلك على زيادة باطنه في النور والترقيات، ورفع الدرجات.

وإن رأت المرأة موسى عليه السلام خُشِيَ على ولدها من ضياع أو مِحنة، وتكون عاقبتها فيه إلى خير، وكذلك الحاكم فيمن رأى موسى عليه السلام من الصبيان.

ومَن رأى عصا موسى بيده، فإنه ينال منزِلَة عظيمة، ونُصرة على أعدائه، وإن كان مسحوراً أو معقوداً بطل ذلك عنه. وربّما دلَّ ظهور عصا موسى على نصر المؤمنين، ودمار الكافرين.

٢٤ ـ نوح، عليه السلام: مَن رآه في المنام، فإنه يعيش طويلًا، وتُصيبه شدّة عظيمة وأذى من الناس، ثم يظفر بهم ويُرزَق أولادًا من زوجة رديئة، ويكون شكوراً.

وقيل: مَن رأى نوحاً عليه السلام، فإنه يكون رَجُلًا عالِماً مجتهداً في طاعة الله حليماً ذا أعداء كُثُر وينتصر عليهم، وينال ولاية عظيمة ولا يُطيعه فيها أصحابه، أو يظفر بهم بإذن الله تعالى.

وقيل: رؤيا نوح عليه السلام تدُلُّ على كثرة المطر في ذلك العام لِما كان في زمانه من كثرة المياه. وتدلّ رؤيته على النّوح من اسمه. وتدلّ رؤيته على مُعاداة الأهل والانتصار عليهم. وتدلّ رؤيته على القحط وغلوّ الأسعار، وربما دلّت رؤيته على صنعة التجارة والزّرع وتسوية السّفن، والأسفار في البحر، وحمل المتاع المختلف الطعم والجنس.

وتدلّ رؤيته على كل مَن له علم بأنساب الآدميين والحيوان والطير لحمله ذلك في السفينة بإذن الله تعالى. وربما دلّت رؤيته على ردّ المسألة، أو النّدم على ما فرّط منه في حق أهله. وربما ارتدّ أحد من

أولاده عن دينه أو مذهبه أو سُنَّته، وامتُحِنَ لأجل ذلك بمِحنَة ومات عليها عاصياً، وربما مُنِعَت شفاعته.

والمرأة إذا رأت نوحاً دلَّ على عصيانها لزوجها، وطاعتها لذَوي الأرحام من الأهل والعشيرة.

٢٥ ـ **هارون، عليه السلام**: مَن رآه في المنام عليه السلام، فإنه خليفة الرجل يصيبه بسببه خصومة، ويكون له عاقبة الأمر.

وقيل: مَن رأى هارون عليه السلام صار إماماً وإن كانت له حاجة قُضِيَت.

ومَن رأى هارون وموسى عليهما السلام، فإنه يهلك على يديه جبّارٌ ظالم، ومَن رأى أحدهما أو رآهما وهو قاصداً حرباً رُزِقَ الظَّفر[١].

٢٦ ـ **هود، عليه السلام**: مَن رآه في المنام فإنه يُسَلَّط عليه قوم سُفَهاء جُهَّال، ثم يظفر بهم وينجو من شِدَّةٍ عظيمة لقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هُود: الآية ٥٨].

ومَن رأى هوداً عليه السلام يرى رُشداً وخيراً، أو ينجو من قوم[٢].

٢٧ ـ **يونس، عليه السلام**: مَن رآه في المنام، فإنّه يتعجّل في أمرٍ يناله منه حبس وضيق وهَمّ ثم ينجو بعد ذلك ويتمتع إلى حين، وتكون معاملته مع قوم خائفين، ويكون سريع الغضب سريع الرّضا.

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام، للإمام عبد الغني النابلسي ص ٤٤٢.
(٢) تعطير الأنام ص ٤٤٦.



رؤيا الصحابة

وصية شهيد

يوم اليمامة يومٌ عظيم[1]، فقد حدث في سنة إحدى عشر من هجرة رسول الله ﷺ بعد وفاته، والحق يقال أنّه بدأ في سنة عشر للهجرة حين قَدِمَ وفد بني حنيفة من أهل اليمامة على رسول الله ﷺ راغبين في الإسلام، وتركوا مُسَيلمة بن حبيب في رِحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه.

فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد خلفنا صاحباً لنا في رِحالنا ورِكابنا، يحفظها لنا.

فأمر رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «**إما أنه ليس بشرِّكم مكاناً**». ثم انصرفوا، وجاؤوا مُسيلمة بما أعطاه رسول الله ﷺ،

---

(١) رجعنا لمادة اليمامة إلى الطبري ٣/ ١٦٢، وابن الأثير ٢/ ١٧٤، وابن كثير ٦/ ٣٢٣، وسيرة ابن هشام.

فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ وتنبّأ لهم، وقال: إني قد أُشرِكتُ في الأمر معه، وقال لـمَن كان معه في وفد بني حنيفة: ألـم يقل لكـم حين ذكرتموني له! «**أما إنه ليس بشرّكم مكاناً**»! وما ذاك إلا لأنه كان يعلم أني قد أُشرِكتُ في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع. وكتب إلى رسول الله ﷺ: من مُسيلمة رسول الله!! إلى محمد رسول الله، سلامٌ عليك؛ أمّا بعدُ فإني قد أُشرِكتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوماً يعتدون.

وقَدِمَ على النبي ﷺ رسولان بهذا الكتاب، فقال لهما النبي ﷺ حين قرأ كتاب مُسَيلمة: «**فما تقولان أنتما**»؟ قالا: نقول مثل ما قال، فقال: «**أما والله لولا أن الرُسُل لا تُقتَل لضربت أعناقكما**». ثم كتب إلى مُسيلمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

«**من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذّاب، سلامٌ على مَن اتّبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يُورِثها مَن يشاء من عبادِه والعاقبة للمتقين**».

فلما مات رسول الله ﷺ، وبعث أبو بكر السّرايا إلى المرتدّين أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مُسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة، وكان مُسيلمة قد اشتدَّ أمره، والتفَّ حوله أربعون ألف مقاتل من بني حنيفة باليمامة.

وسيَّر لهم أبو بكر جيوشاً بقيادة عكرمة بن أبي جهل، والمهاجر بن أُميّة، ثم استقدم خالد بن الوليد وجعله على رأس جيش كبير من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين فجعل خالد قيادة الأنصار لثابت بن قيس الأنصاري وهو بطل حديثنا عن رؤيا الصحابة، وكان

ثابت بحق قائداً شجاعاً وبطلًا مِغواراً دافع عن دينه دفاع القادة والأبطال.
وقبل أن نتحدّث عن الرؤيا التي تخصّ ثابت بن قيس، نطلّ قليلًا على مشهد بطولته الذي لَقِيَ فيه ربّه شهيداً وأخذ منزلة عظيمة بين الصدِّيقين والشهداء.

فبينما كانت جيوش خالد تتلاحق إلى أرض اليمن، وتبلغ أنباء مُسيلمة خرج مجّاعةُ بن مرارة في جماعة من بني حنيفة، يطلبون ثأراً لهم في بني عامر وبني تميم[1]، وقد خاف أن يفوته إذا شُغِلَ بلقاءِ المسلمين وقتالهم، وأدرك مُجّاعة ثأره وعاد في أصحابه، ولمّا بلغوا ثنيَّة اليمامة كان التعب قد أخذ منهم، فناموا.

وأدركهم جنودُ خالد، فوجدوهم نِياماً، وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم، وهم لا يشعرون بقُرب الجيش منهم، فأنبهوهم وقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: هذا مُجّاعة، وهذه حنيفة، قالوا: وأنتم فلا حيّاكم الله! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد فأتوه بهم، فقال لهم: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما شعرنا بك؛ إنما خرجنا لثأرٍ لنا فيمن حولنا من بني عامر وبني تميم، فأمر بهم أن يُقتَلوا بعد أن سألهم ما تقولون؟ فقالوا: منّا نبي ومنكم نبي فعرضهم على السيف، فجادوا كلهم بأنفسهم ما عدا مُجّاعة بن مرارة؛ لأنهم قالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً أو شرًّا في الغد القريب فاسْتَبْقِ هذا ولا تقتله. فقتلهم خالد، وحبس مُجّاعة عنده كالرهينة، وأوثقه في الحديد، ثم دفعه إلى أُم تميم امرأته، وقال: استوصي به خيراً، ثم مضى حتى نزل اليمامة.

---

(١) كان ثأرهم في بني عامر، أن امرأة من بني عامر اسمها خولة بنت جعفر منعه قومها منها، وأما ثأرهم في بني تميم فنعم أخذوها منهم.

وتقدّم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يُشرِف على اليمامة فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس، والعرب على راياتها، ومُجَّاعة بن مرارة مقيّدٌ في الخيمة مع أُمّ تميم.

والتقى الناسُ، واقتتلوا قتالًا شديداً، حتى انهزم المسلمون، وخَلَصَ بنو حنيفة إلى مُجَّاعة وإلى خالد، فزال خالد عن فِسطاطه، ودخل أُناس الفسطاط وفيه مُجَّاعة تحرسه أُم تميم زوج خالد، فحمل عليها رجلٌ بالسيف، فقال مُجَّاعة: مَهْ، أنا لها جَارٍ! فنعمتِ الحرّة! عليكم بالرجال، فمزّقوا الفسطاط بالسيوف.

ولمّا حلّت بالمسلمين الهزيمة عادوا وحضّ بعضهم بعضاً على الجِدّ في القتال والدفاع عن دينهم، وممّن دعا الناس للتجمّع ومواصلة القتال بطلنا ثابت بن قيس بن شماس قائد كتيبة الأنصار رضي الله عنه وهو ما نقصده في رؤيا الصحابة هنا. فقال: بئسما عوَّدتُم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللّهمَّ إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء ـ يعني أهل اليمامة ـ وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ ثم أخذ يُجالِد ويُحارب بسيفه، ويقاتل بعنف شديد، وجعل يتواصى هو وأصحابه الأنصار والمهاجرين ويتواصون فيما بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بَطَل السِّحر اليوم!

وحفر ثابت بن قيس الأنصاري لقَدَميه في الأرض، وهو حامل اللِّواء، بعدما تحنّط وتكفّن، ولم يزل يقاتل ويضرب يميناً ويساراً ويشقّ صفوف العدوّ شقًّا فتتطاير الرؤوس، ويصرخ في وجوههم صرخة المؤمن والحافظ للقرآن ويحضّ إخوانه على القتال ومعه صاحبه أبا

حذيفة الذي كان يقول: «يا أهل القرآن، زيِّنوا القرآن بالفِعال»، وحمل فيهم حتى أبعدهم.

أما ثابت بن قيس فقد روَّع أعداءه وأعداء الدين، وبثّ في قلوبهم الرّعب حتى انتبه فرسانهم إلى خطورته، فتكالبوا عليه فسقط شهيداً بعد أن دافع عن دينه خير مُدافع.

أما رؤياه في المنام فكانت بحق دليل على أن هذا الرجل نالَ رِضَاء الله، وهذا يكفي أيّ إنسان يريد جائزة عظيمة إنها رِضاء الله عزّ وجلّ.

وجاءت الرؤيا عن عطاء الخراساني قال:

قَدِمتُ المدينة فسألتُ عمَّن يحدِّثني بحديث ثابت بن قيس بن شماس فأرشدوني إلى ابنته فسألتها وفيه: لمّا استنفر أبو بكر - رضي الله عنه - المسلمين إلى أهل الرّدّة واليمامة ومُسيلمة الكذّاب سار ثابت بن قيس فيمن سار فلما لقوا مُسيلمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ثلاث مرات، فقال ثابت وسالم مولى ابن حذيفة: ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فجعلا لأنفسهما حُفرة فدخلا فيها فقاتلا حتى قُتِلا. قالت: وأُرِيَ رجلٌ من المسلمين ثابت بن قيس في منامه فقال: إني لمّا قُتلت بالأمس مرَّ بي رجل من المسلمين فانتزع مني درعاً نفيسة ومنزله في أقصى العسكر وعند منزله فرس يستنّ في طوله وقد أكفأ على الدّرع بُرمة وجعل فوق البرمة رَحْلًا، وائتِ خالد بن الوليد فليبعث إلى درعي فليأخذها فإذا قَدِمتَ على خليفة رسول الله ﷺ، فأعلِمه أنَّ عليَّ من الدَّين كذا، ولي من المال كذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول هذا حُلْمٌ فتُضيِّعه. قال: فأتى خالد بن الوليد فوجَّهَ إلى الدّرع فوجدها

كما ذكر، وقَدِمَ على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فأخبره فأنفَذَ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وصيّته بعد موته، فلا نعلم أن أحداً جازَت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس ـ رضي الله عنه[١] ـ.

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه:

أن ثابت بن قيس ـ رضي الله عنه ـ جاء يوم اليمامة وقد تحنّط ونشر أكفانه فقال: اللَّهمَّ إني أبرأ إليكَ مما جاء به هؤلاء وأعتذر مما صنع هؤلاء فقُتِلَ وكانت له درع فسُرِقَت فرآه رجل فيما يرى النائم فقال: إن درعي في قِدْر تحت الكانون في مكان كذا وكذا وأوصاه بوصايا فطلبوا الدّرع فوجدوها وأنفذوا الوصايا[٢].

رضي الله عن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري التّقي الذي جاء للرجل في الرؤيا يحدِّد له فيه مكان درعه ومَن انتزعها منه وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٩] . . . الآية.

رؤيا عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب

يسمع المسلم صوت المؤذّن كل يوم خمس مرات يقول المؤذّن في أذانه:

الله أكـــبـــر الله أكـــبـــر	**الله أكـــبـــر الله أكـــبـــر**
أشــهــد أن لا إلــه إلّا الله	**أشــهــد أن لا إلــه إلّا الله**
أشهد أن محمداً رسول الله	**أشهد أن محمداً رسول الله**

(١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن إن شاء الله ويشهد له الذي بعده.

(٢) رواه الطبراني وإسناده صحيح.

حَـــيَّ عـــلى الـــصـــلاة حـــيَّ عـــلى الـــصـــلاة
حـــيَّ عـــلى الـــفـــلاح حـــيَّ عـــلى الـــفـــلاح
الله أكـــــــــــــبـــــــــــــر الله أكـــــــــــــبـــــــــــــر
لا إلــــــــــــه إلّا الله

كل يوم نسمع هذا الأذان الطاهر، كل يوم يدعونا الدّاعي للصلاة بهذه الكلمات الطيِّبة خمس مرات.

ولهذا الأذان قصة، ولهذا الأذان رؤيا رآها صحابيّان جليلان هما عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، وكان تعبير هذه الرؤيا هو الأذان الذي ما زال يصدح به المؤذِّنون على مدى يزيد على ألف وأربعمائة عام من هجرة رسول الله ﷺ.

ورؤيا الأذان جاءت في الرواية التالية: عن أبي عمير عن عمومة له من الأنصار قال: اهتمّ النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناس لها فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذَنَ بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، وقال: «**هو أمر اليهود**». قال: فذُكِرَ له الناقوس فقال: «**هو من أمر النصارى**». فانصرف عبد الله بن زيد وهو مُهتمٌّ لِهَمِّ رسول الله ﷺ، فأُرِيَ الأذان في منامه قال: فغَدَا على رسول الله ﷺ، فأخبره فقال: يا رسول الله، إني لبين نائم ويقظان، إذ أتاني آتٍ فأراني الأذان. قال: وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً ثم أخبر النبي ﷺ، فقال له: «**ما منعك أن تخبرني؟**». فقال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت. فقال رسول الله ﷺ: «**يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله**»، قال: فأذّن بلال[1].

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي.

وعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: حدّثنا أصحاب رسول الله ﷺ، أن عبد الله بن زيد الأنصاري جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رجلًا قام وعليه بُردان أخضران على جزمة حائط فأذَّن مَثنى وأقام مَثنى وقعد قعدة.

قال: فسمع ذلك بلال فقام فأذّن مَثنى وأقام مَثنى وقعد قعدة[1].

رؤيا أبي سعيد الخدري وسجود الشجر

كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «**اللَّهمَّ اكتب لي بها عندك ذِكراً، واجعل لي بها عندك ذخراً، وأعظِم لي بها عندك أجْراً**».

هذا الدعاء من رؤيا رآها أبو سعيد الخدري، بل وهو تأويل لرؤيا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن سجود الشجرة.

فعن أبي بكر بن عبد الله المزني قال: أخبرني مخبر عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيت البارحة فيما يرى النائم أني أُصلّي خلف شجرة فقرأتُ «صٓ» فلما أتيت على السجدة سجدتُ فسجدت الشجرة، فسمعتها وهي تقول:

اللَّهمَّ اكتب لي بها عندك ذِكراً...

واجعل لي بها عندك ذخراً...

وأعظِم لي بها عندك أجْراً...

قال: فسمعت رسول الله ﷺ قرأ «صٓ» فلما أُتِيَ على السجدة سجد.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح.

قال: فسمعته يقول في سجوده ما أخبره الرجل عن قول الشجرة[١].

والآية الكريمة التي جاءت السجدة عندها في سورة «صٓ» هي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [صٓ: الآية ٢٤].

وفي السُّنَّة المشرِّفة أحاديث كثيرة عن تسبيح الشجر وحنين جذعه إلى ذِكر الله سبحانه عزّ وجلّ. فقد اعتاد رسول الله ﷺ حين يخطب في المسلمين أن يخطب على جذع نخلة، وذات يوم جاءت امرأة من الأنصار لها غلامٌ يعمل نجّاراً، فقالت: يا رسول الله إن لي غلاماً نجّاراً أفآمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟

قال: «**بلى**».

فصنع له الغلام منبراً، فلما كان يوم الجمعة وقف رسول الله ﷺ يخطب على المنبر الجديد المصنوع من الخشب سمع عليه السلام جذع النخلة يئنّ كما يئنّ الصبي، فقال النبي ﷺ: «**إن هذا بكى لمّا فَقَدَ الذِّكر**».

وجاءت رواية أخرى لهذه القصة في صحيح البخاري تقول: فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل ﷺ فضمّه إليه يئنّ أنين الصبي الذي يسكن.

قال ﷺ: «**كانت النخلة تبكي على ما كانت تسمع من الذِّكر عندها**».

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوّة ٧/ ٢٠.

وفي تسبيح النخل والحصى يذكر البيهقي ـ عن سويد بن يزيد السُّلمي قال: سمعت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته، وبيَّن ذلك الخبر الذي رآه فقال:

كنت يوماً أتّبع خلوات رسول الله ﷺ، فرأيته يوماً جالساً وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلَّم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ فجاء عمر ـ فسلّم وجلس على يمين أبي بكر، ثم جاء عثمان فسلّم ثم جلس علي يمين عمر، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات فأخذهنّ في كفِّهِ فسبَّحن حتى سمعت لهنّ حنيناً كحنين جذع النخل، ثم وضعهنّ فخرسن أي سكتن، ثم أخذهنّ فوضعهنّ في كفّ أبي بكر فسبَّحن حتى سمعْتُ لهنّ حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهنّ فخرسن، ثم تناولهنّ فوضعهنّ في يد عمر فسبَّحن حتى سمعت لهُنَّ حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهنّ فخرسن، ثم تناولهنّ فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهنّ حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي ﷺ: «**هذه خلافة النبوّة**»[١].

أبو بكر يعبِّر رؤيا صحابي
الظلّة والسمن والعسل

عبَّر أبو بكر هذه الرؤيا التي جاء فيها الظلّة والسمن والعسل، عبَّرها في حضرة رسول الله ﷺ ـ ولمّا انتهى أبو بكر رضي الله عنه من تعبير هذه الرؤيا ـ قال له رسول الله ﷺ: «**أصَبْتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**».

(١) رواه النسائي وأحمد بسندهما.

تُرى ما هي قصة الرؤيا؟ وما هو تعبير أبي بكر للرؤيا؟ وما الذي أصاب وأخطأ فيه أبي بكر رضي الله عنه؟ـ ذلك ما سنراه.

الـــرؤيا

عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ أنّه كان يحدِّث رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال:

إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّة تنطف(١) السمن والعسل، فأرى النّاس يتكفَّفون منها(٢) فالمُستَكثِر والمستقل، وإذا سبب(٣) واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فَعَلَوتَ، ثم أخذ به رجل من بعدك فَعَلا، ثم أخذ به رجل آخر فَعَلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به ثم وُصِلَ له فَعَلا.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي والله لتدعني فلأُعَبِّرنَّها. فقال ﷺ له: «**أعبرها**»(٤).

تعبير أبي بكر

قال: أما الظلَّة فالإسلام.

وأما الذي ينطف من العسل والسّمن فالقرآن حلاوته تنطِفُ، فالمُستَكثِر من القرآن والمستقل.

وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخُذُ به فيُعليك الله، ثم يأخذ به رجل فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ رجل فينقطع به، ثم يُوصَل له فيعلو به.

---

(١) الظُلَّة: سحابة لها ظل. تنطف: تقطر قليلًا قليلًا.

(٢) يأخذون بأكفّهم.

(٣) السبب: الحبل.

(٤) وفي رواية عبّرها.

فأخبِرني يا رسول الله بأبي أنت، أصبتُ أم أخطأتُ؟

قال النبي ﷺ: «**أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً**».

قال: فوالله يا رسول الله لتُحَدِّثني بالذي أخطأت؟

قال: «**لا تُقْسِم**»[1].

فيمَ أخطأ أبو بكر؟

تحدّث العلماء بأقوال كثيرة في معنى قول رسول الله ﷺ لأبي بكر لمّا عبَّر الرؤيا: «**أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً**».

فالذي أجمع عليه أكثرهم قولهم: أخطأ لكون المذكور في الرؤيا شيئين: السمن والعسل، ففسّرهما بشيء واحد، وكان ينبغي أن يفسّرهما بالقرآن والسُّنَّة.

وذكر ذلك الطحاوي، وحكاه الخطيب عن أهل العلم والتعبير.

وجزم به ابن العربي فقال: قالوا: هٰهنا وهم أبو بكر، فإنه جعل السمن والعسل معنًى واحداً، وهما معنيان القرآن والسُّنَّة، ويحتمل أن يكون السمن والعسل: العلم والعمل، ويحتمل أن يكونا الفهم والحفظ.

وأيّد ابن الجوزي ما نُسِبَ للطحاوي بما أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:

رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى إصبعي سمناً وفي الأُخرى عسلًا فألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان**»، فكان يقرؤهما.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب «التعبير»، باب: «مَن لم يرَ الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب»، ومسلم في كتاب «الرؤيا» حديث رقم ١٧.

ففسّر العسل بشيء، وفسّر السمن بشيء آخر[١].

والبحث عمّا أخطأ فيه أبو بكر ـ لا يُسمِن ولا يُغني من جوع هنا، إذ لو أن ذلك ذا أهمية أو فائدة لبيَّنها رسول الله ﷺ، وقد قال البعض إن خطأ أبي بكر رضي الله عنه أنه تقدّم لتعبير الرؤيا بين يدي الرسول ﷺ، وعليه فإننا نخطىء أيضاً إذا بحثنا عن خطأ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وتساءل البعض لِمَ لَمْ يَبرّ النبي ﷺ قَسَم أبي بكر وقال له: « **لا تقسم**».

وفي ذلك أقوال للعلماء منهم النووي الذي قال:

قيل إنما لم يبرّ النبي ﷺ قَسَم أبي بكر لأن إبرار القَسَم مخصوص بما إذا لم يكن هناك مَفسَدَة ولا مَشقّة ظاهرة، فإن وُجِدَ ذلك فلا إبرار. ولعلّ المَفسَدَة في ذلك ما علمه من سبب انقطاع السبب بعثمان، وهو قتله، وتلك الحروب والفِتَن المترتبة عليه، فكره ذِكرها خوف شيوعها.

ويحتمل أن يكون خطأ أبي بكر رضي الله عنه في ترك تعيين الرِّجال المذكورين، فلو أبرَّ النبي ﷺ قَسَم أبو بكر لَلَزِمَ أن يُعيِّنهم، ولم يُؤمَر بذلك، إذ لو عيَّنهم لكان نصًّا على خلافتهم، وقد سبقت مشيئة الله أن الخلافة تكون على هذا الوجه، فترك تعيينهم خشية أن يقع في ذلك مَفسَدة.

---

(١) فتح الباري ١٢/٤٥٦.

وقيل: إن الأمر بإبرار القَسَم خاص بما يجوز الاطّلاع عليه، ومن ثم لم يَبِرّ قَسَم أبي بكر، لكونه سأل ما لا يجوز الاطّلاع عليه لكل أحد.

قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون منعه ذلك لمّا سأله جهاراً وأن يكون أعلمه بذلك سرًّا[١].

(١) المصدر السابق ص ٤٥٧.



تعبير النبي ﷺ لرؤيا أصحابه

١ ـ فضل عثمان بن مظعون

عندما رتّب المؤرِّخون أصحاب رسول الله ﷺ وَفْقَ سَبْقهم الزمني إلى الإسلام جاء عثمان بن مظعون في الرقم الرابع عشر.

وكان عثمان بن مظعون أول المهاجرين وفاةً بالمدينة، كما كان أوّل المسلمين دَفْناً بالبقيع.

كان عثمان بن مظعون راهباً عظيماً من رُهبان الحياة لا من رُهبان الصّوامع. وقد كان ابن مظعون من القلّة المؤمنة المضطهدة، التي أمرها النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ولذلك فقد كان ابن مظعون أمير الفوج الأول من المهاجرين، مصطحباً معه ابنه السائب، وقد خرج مولياً وجهه شطر بلاد بعيدة عن مكايد عدوّ الله «أبي جهل» وضراوة قريش وهو عذابها.

ومثله كمثل المهاجرين الأوّلين إلى الحبشة في كِلتا الهجرتين. . . الأولى والثانية لم يَزدَدْ «عثمان بن مظعون» رضي الله عنه إلا استمساكاً بالإسلام، واعتصاماً به.

والحقّ أن هجرتي الحبشة تمثّلان ظاهرة فريدة، ومَجيدة، في قضية الإسلام. . .

فالذين آمنوا بالرسول ﷺ وصدّقوه، كانوا قد سئموا الوثنية، ولما وصلتهم أخبار في الحبشة بأن الإسلام ملأ ديار مكة ولم يعد كافراً بعد اليوم عاد مع أصحابه من الحبشة.

بيدَ أنهم ما كادوا يقتربون من مشارِف مكة حتى تبيّنوا كذب الخبر الذي بلغهم عن إسلام قريش.

وساعتئذ سقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد عَجلوا. . . ولكن أنّى يذهبون وهذه مكة على مَرمَى البصر.

وقد سمع مُشرِكوا مكة بمَقدَم الصّيد الثمين الذي طالما أرادوه ونصبوا شِباكهم لاقتناصه. . . ثم ها هو ذا الآن، تحين فرصته، وتأتي به مقاديره. . !!

وكان «الجِوار» ـ يومئذٍ ـ تقليداً من تقاليد العرب ذات القداسة والإجلال، فإذا دخل رجل مُستَضعَف في جِوار سيّد قريش، أصبح في حِمًى منيع لا يُهْدَرُ له دم، ولا يضطرب منه مأمن.

ولم يكن العائدون سواء في القدرة على الظَّفر بالجِوار، لذلك فقد ظفر منهم بالجِوار قِلّة، كان من بين أفرادها «عثمان بن مظعون» الذي دخل في جِوار «الوليد بن المغيرة».

وهكذا دَخَلَ مكة آمناً مطمئناً، ومضى يعبُر دروبها ويشهد ندواتها ومجالسها.

ولكن ابن مظعون رجل القرآن، ينظر إلى إخوانه من الفقراء والمستضعفين، الذين لم يجدوا لهم جِواراً ولا مُجيراً، يراهم والأذى ينوشهم من كل جانب... والبغي يطاردهم في كل سبيل، بينما هو آمن في سِرْبه، بعيد من أذى قومه، فتثور روحه الحرّة، ويجيش وجدانه النبيل فيخرج من داره قاصداً دار الوليد بن المغيرة، وقد تحدّثت المصادر عن هذا اللقاء بينه وبين الوليد بن المغيرة فقالت:

ـ لمّا رأى «عثمان بن مظعون» ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غُدُوّي ورَواحي آمناً بجِوار رجل من أهل الشِّرك، وأصحابي وأهل ديني يَلقون من البلاء والأذى ما لا يُصيبني لَنَقصٌ كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له:

ـ يا أبا عبد شمس وَفَتْ ذمّتك، وقد رددتُ إليك جِوارك.

ـ فقال له: لِمَ لا يا ابن أخي... لعلّه آذاك أحدٌ من قومي...؟

ـ قال ابن مظعون: لا، ولكن أرضى بجِوار ربّي، ولا أُريد أن أستجير بغيره. فانطلق إلى المسجد فارْدُدْ عليَّ جِواري علانية، كما آجرتني علانية.

فانطلقا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يَرُدُّ عليَّ جِواري.

قال عثمان بن مظعون: صَدَق، ولقد وجدته وفيًّا كريم الجِوار، ولكنني أحببتُ ألّا أستجير بغير الله.

ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة في مجلس من مجالس قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: أَلَا كل شيء ما خلا الله باطل.

فقال عثمان: صدقت.

قال لبيد: وكلّ نعيم لا محالة زائل.

قال عثمان: كذبت... نعيم الجنة لا يزول.

فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذَى جليسُكُم، فمتى حدث هذا فيكم...؟؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فارق ديننا، فلا تجدنّ في نفسك من قوله.

فردّ عليه عثمان بن مظعون حتى شاعَ أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطَمَ عينه فأصابها، والوليد بن المغيرة قريب، يرى ما يحدث لعثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي إن عينُك كانت عمّا أصابها لَغَنيَّة، لقد كانت في ذِمَّة منيعة.

فقال عثمان: بل والله إن عيني الصّحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أُختها في الله... وإني لفي جِوار مَن هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هَلُمّ يا ابن أخي، إن شئت فعُد إلى جِواري...

قال عثمان بن مظعون: لا....

وغادر «ابن مظعون» هذا المشهد وعينه تضِجُّ بالألم، ولكن روحه تتفجّر عافية، وصلابة وبشراً. . .

فراح ينشد شعراً في هذا ويقول:

فإن تكُ عيني في رِضا الله نالها　　　يدا مُلْحِدٍ في الدين ليس بمُهتَدي
فقد عَوَّض الرحمٰن منها ثوابه　　　ومَن يُرضِهِ الرحمٰن يا قوم يَسْعدِ
فإني وإن قُلْتُم غَوِيٌّ مُضَلَّلٌ　　　لأحيا على دينِ الرسول محمدِ
أُرِيدُ بذاك الله، والحق ديننا　　　على رَغْمِ مَن يبغي علينا وَيَعْتَدِي

ولقد ذهب «عثمان» بعد رَدِّ جِوار الوليد يتلقّى من قريش أذاها، وكان بهذا سعيداً جدُّ سعيد، فقد كان ذلك الأذى بمثابة النار التي تُنضِج الإيمان وتُطهِّره وتُزكِّيه، ثم هاجر عثمان إلى المدينة، حيث الأمان والطمأنينة بعيداً عن أبي جهل، وغيره ممّن أساء للمسلمين في مكة. وفي المدينة عاش عثمان بن مظعون في نعمة الإيمان والزّهد حتى أنه مضى لا يلبس إلا الملبس الخَشِن، ولا يأكل إلا الطعام الجشِب.

فقد دخل يوماً مسجد رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ وأصحابه جلوس، وكان يرتدي لباساً تمزَّق، فرفعه بقطعة من فروة، فرَقَّ له قلب الرسول ﷺ، ودَمَعَت عيون أصحابه، فقال لهم النبي ﷺ: **«كيف أنتم يوم يَغْدُو أحدكم في حُلَّة، ويروح في أُخرى. . . وتُوضَع بين يديه قَصْعة. . . وتُرفَع أُخرى. . . وسترتم بيوتكم كما تُستَر الكعبة. . ؟!»**.

قال الأصحاب: وَدِدْنا أن ذلك يكون يا رسول الله، فنُصيب الرّخاء والعيش.

فأجابهم الرسول ﷺ قائلًا: «**إن ذلك لكائن... وأنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ**».

وما إن سمع ابن مظعون هذا الكلام، حتى ازداد إقبالًا على الزهد والشّظف وهرباً من النعيم، حتى الرّفث إلى زوجته نأى عنه وانتهى، لولا أن عَلِمَ رسول الله ﷺ بذلك فناداه وقال له: «**إن لأهلك عليك حقًّا**».

وأحبّه رسول الله ﷺ، حُبًّا عظيماً، وعند وفاته كان رسول الله ﷺ، هناك إلى جِواره، فقبّله عليه السلام وقال في وداعه: «**رحمك الله أبا السائب... خرجت من الدنيا، وما أصبتَ منها ولا أصابت منك**».

ولم ينساه عليه السلام بعد مماته، بل كان دائم الذِّكر له، والثَّناء عليه حتى قال في وداع ابنته رُقَيَّة، حين فاضت روحها: «**الحقي بِسَلَفِنا الخيِّر، عثمان بن مظعون**»...!!

هذا الرجل العظيم أوّل له رسول الله ﷺ رؤيا لأُم العلاء الأنصارية فقد رأت عيناً تجري لعثمان بن مظعون، فعن خارجة بن زيد بن ثابت عن أُمّ العلاء ـ وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله ﷺ ـ قالت:

طار لنا عثمان بن مظعون في السّكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين فاشتكى فمرّضناه حتى توفي، ثم جعلناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليه أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله.

قال: «**وما يُدريكِ**»؟

قلت: لا أدري والله.

قال: **«أما هو فقد جاءه باليقين، إني لأرجو له الخير من الله والله ما أدري ـ وأنا رسول الله ما يُفعَلُ بي وبكم فوالله لا أُذكِّي أحداً بعده»**.

قالت: ورأيت لعثمان في النوم عيناً تجري فجئت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له.

فقال: **«ذاك عمله يجري له»**[1].

٢ ـ في فضل عبد الله بن سلام

كان صحابيًّا مشهود له بالتقوى، وفيما كان الناس بمسجد الرسول ﷺ يؤدّون الموقوتة ويتدارسون كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، وأصواتهم بالتلاوة كطنين النحل، دخل الصحابي الكريم، وعلى وجهه أثر السجود ومعالِم الخشوع، نظر الناس له نظرة احترام وغبطة، وقال بعضهم من شدّة تأثّرهم به: هذا رجل من أهل الجنة، هذا رجل من أهل الجنة.

كان الصحابي الكريم طاهراً متوضئاً كعادته، فقصد ركناً من أركان المسجد ثم نوى الصلاة، ظنَّ أهل المسجد ممّن يجلسون بالقرب منه أن الصحابي الجليل سيُطيل في صلاته ويُطيل، وانتظروا سجوداً طويلًا يفوق قدرتهم، ولكن الصحابي الجليل تجوَّز في الصلاة، ولم يُطِل فيها، وما إن انتهى من الركعتين الخفيفتين حتى خرج من المسجد قاصداً بيته، فاتّبعه رجل يُقال له قيس بن عُبّاد. تُرَى ما الذي حدث بعد ذلك؟!

---

(١) رواه البخاري.

يقول قيس بن عُبّاد: كنت بالمدينة في ناس فيهم أصحاب النبي ﷺ، فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة، هذا رجل من أهل الجنة، فصلّى ركعتين تجوَّز فيهما ثم خرج، فاتّبعته فدخل منزله ودخلت فتحدّثنا، فلما استأنس قلت له: إنك لما دخلت قَبْلُ قال رجل كذا وكذا.

قال: سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم وسأُحدِّثك لِمَ ذاك. رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فقصصتها عليه، «رأيتني في روضة ـ ذكر سعتها وعشبها وخُضرتها ـ ووسط الروضة عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: أرقه، فقلت له: لا أستطيع، فجاء في منصف ـ قال ابن عون: والمنصف الخادم ـ فقال بثيابي من خَلْفي ـ وَصَفَ أنّه رفعه من خلفه بيده ـ فرَقيت حتى كنت في أعلى العمود فأخذت بالعُروة، فقيل لي: استمسك فلقد استيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ، فقال: «**تلك الروضة في الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العُروة عُروة الوثقى وأنت على الإسلام حتى تموت**». قال: «**والرجل عبد الله بن سلام**»[(١)] رضي الله عنه.

وفي رواية: كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمرَّ عبد الله بن سلّام، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فقمت فقلت له: إنهم قالوا كذا وكذا، قال: سبحان الله ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم، إنما رأيت كأن عموداً وُضِعَ في روضة خضراء فنصب فيها وفي رأسها عروة وفي أسفلها منصف ـ والمنصف الوصيف ـ

(١) رواه البخاري ومسلم.

فقيل لي: أرقه، فرقيت حتى أخذت بالعروة فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يموت عبد الله وهو آخذ بالعُروة الوُثقى**».

وعن خَرَشَة بن الحرِّ قال: كنت جالساً في حلقة في مسجد المدينة، قال: وفيها شيخ حَسَن الهيئة وهو عبد الله بن سلام، قال: فجعل يحدّثهم حديثاً حسناً، قال: فلما قام قال القوم: مَن سرَّهُ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا. قال: فقلت: والله لأتبعنّه فلأعلمنَّ مكان بيته، قال: فتبعته فانطلق حتى كاد يخرج من المدينة ثم دخل منزله، قال: فاستأذنت عليه فأذِنَ لي فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟ قال: فقلت له: سمعت القوم يقولون لك لمّا قمت: مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فأعجبني أن أكون معك.

قال: الله أعلم بأهل الجنة وسأُحدِّثك ممَّ قالوا، ذاك إني بينما أنا نائم إذا أتاني رجل فقال لي: قم فأخذ بيدي فانطلقت معه، قال: فإذا أنا بجواد عن شمالي، قال: فأخذت لآخذ فيها فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال، قال: فإذا جواد على يميني فقال لي: خذ هٰهنا فأُتِيَ بي جبلًا فقال لي: اصعد، قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد فررت على إستي، قال: حتى فعلت ذلك مراراً، قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عموداً رأسه في السماء وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة، فقال لي: اصعد فوق هذا، قال: قلت كيف أصعد هذا ورأسه في السماء؟ قال: فأخذ بيدي فترجّل بي. قال: فإذا أنا متعلّق بالحلقة. قال: ثم ضرب العمود فخرَّ. قال: وبقيت معلقاً بالحلقة حتى أصبحت. قال: فأتيت النبي ﷺ، فقصصتها عليه فقال:

«أمّا الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال. وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين. وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله. وأما العمود فهو عمود الإسلام. وأما العروة الوثقى فهي عروة الإسلام ولن تزال متمسكاً بها حتى تموت»[1].

رَحِمَ الله عبد الله بن سلام وألحقنا به في زُمرة الصالحين.

٣ ـ تأويل رؤيا أُم الفضل

في هذا الحديث مع الرسول ﷺ صحابي وصحابية وابنة رسول الله ﷺ، فالصحابية هيَ أُم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس الحرّة الجليلة، وأُم أولاده الستة منهم عبد الله بن عباس حَبْر الأُمّة. كانت أول امرأة آمنت برسول الله ﷺ بعد السيدة خديجة رضي الله عنها.

وأُمّ الفضل لها أخوات منهنّ ميمونة بنت الحارث أُم المؤمنين وزوج النبي ﷺ.

وأُختها من أُمها أسماء بنت عميس كانت زوج الشهيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد تزوّجت من بعده بصاحب رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تزوّجت من بعد أبي بكر رضي الله عنه من عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه.

وأُختها أيضاً هي سلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطّلب سيّد الشهداء وعمّ النبي ﷺ، ومن اللّاتي شَهِدْنَ الإسلامِ بكراً يبزغ في الأُفق فيهزم الظلام أمانه.

---

(١) رواه مسلم.

كل هؤلاء الأخوات من أُم عريقة النسب، هي هند بنت عوف بن زهير، أكرم عجوز في مكة، أو كما قيل أكرم عجوز في الأرض أصهاراً.

أما الابنة فهي فاطمة بنت رسول الله ﷺ والتي اخترنا لها وصف الإمام الذهبي في مصنّفه العظيم سِيَر أعلام النبلاء[١] حيث استهلّ سِيرتها بقوله:

«سيّدة نساء العالمين في زمانها البَضْعَةُ النبويّة، والجهة المصطفوية، أُمّ أبيها[٢] بنت سيّد الخلق رسول الله ﷺ، تزوّجها عليّ فولدت له الحسن والحسين ومحسناً وزينب وأُم كلثوم.

وقد كان النبي ﷺ يحبّها ويُكرمها ويسير إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة ديِّنة خَيِّرة صيِّنةً قانعةً شاكرة الله، وقد غضب لها النبي ﷺ لمّا بلغه أن أبا الحسن (عليّ) همَّ بما رآه سائغاً من خطبة بنت أبي جهل»[٣]، فقال: «**والله لا تجتمع بنت نبيّ الله وبنتُ عدوّ الله، وإنما فاطمة بَضْعَة مني، يُريبني ما رابَها، ويؤذيني ما آذاها**»[٤]. فترك عليّ الخطبة رعاية لها، فما تزوّج عليها ولا تَسَرَّى، فلما توفيت تزوّج وتسرّى - رضي الله عنهما.

ولمّا توفي النبي ﷺ حزنت عليه وبَكَته، وقالت: يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه! أجاب ربًّا دعاه، جنة الفردوس مأواه!.

---

(١) ترجمة ١٨ ص ١١٨ سِيَر أعلام النبلاء ج ٢.
(٢) وفي الإصابة أيضاً ١٣/ ٢٧١ وفي أُسد الغابة ٧/ ٢٥ وكانت تكنى أُمَ أبيها.
(٣) سِيَر أعلام النبلاء ج ٢ ترجمة ١٨ ص ١١٩.
(٤) أخرج البخاري ٧/ ٦٧، ٦٨ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب أصهار النبي ﷺ، وباب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٢٤٤٩ فضائل الصحابة.

وقالت بعد دفنه: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ[١].

وقد قال لها ﷺ في مرضه: إني مَقبوضٌ في مرضي هذا، فبكت. وأخبرها أنها أول أهله لحوقاً به، وأنها سيدة نساء هذه الأُمة، فضحكت وكتمت ذلك، فلما توفي سألتها عائشة، فحدَّثتها بما أَسَرَّ إليها[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءت فاطمة تمشي ما تخطي مِشيتُها مِشية رسول الله ﷺ، فقام إليها وقال: **«مرحباً يا ابنتي»**.

وصحَّ أن النبي ﷺ جلَّل فاطمة وزوجها وابنيهما بكِساء، وقال: **«اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي، اللَّهمَّ فأذهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهم تطهيراً»**[٣].

وقد قال رسول الله ﷺ: **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم، وآسية»**[٤].

أما الصحابي فهو ابنها الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فقد كان وأخيه الحسين قُرَّة عين جدّه رسول الله ﷺ، كان رضوان الله عليه أكثر الأحفاد شبهاً بجدّه رسول الله ﷺ، وقد سمّاه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١١٣ في آخر المغازي، باب آخر مَن تكلّم به النبي ﷺ، من طريق حمّاد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: لمّا ثقل النبي ﷺ، جعل يتغشاه... إلخ.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٤٦٢ في الأنبياء، باب علامات النبوّة في الإسلام، وأخرجه مسلم ٢٤٥٠ في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ وأبو داود ٥٢١٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٢٤ في فضائل الصحابة.

(٤) إسناده صحيح أخرجه الترمذي ٣٨٧٨ والحاكم ٣/ ١٥٧، وأحمد ٣/ ١٣٥.

النبي ﷺ الحسن، وعَقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يُتَصَدَّق بزِنَة شعره فضة.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي»[١].

وأخرج الشيخان عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول: **«اللَّهمَّ إني أُحبّه فأحِبّه»**.

وأخرج البخاري عن أبي بكر قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول: **«إن هذا سيّد، ولعلَّ الله أن يُصلِح به بين فئتين من المسلمين»**.

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: **«هما ريحانتايَ من الدنيا»**، يعني الحسن والحسين.

أما الرؤيا التي تتصل بالحسن فقد رَوَتها أُم الفضل وعبّرها رسول الله ﷺ. فعن عبد الله بن الحارث عن أُم الفضل ـ رضي الله عنهما ـ قالت: أتيت النبي ﷺ، فقلت: إني رأيت في منامي في بيتي أو حجرتي عضواً من أعضائك، قال: **«تَلِد فاطمة إن شاء الله غلاماً فتكفلينه»**، فولدت فاطمة حسناً فدفعته إليها فأرضعته بلبن قثم[٢].

وفي رواية[٣]: رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول ﷺ، قالت: فجزعت من ذلك فأتيت رسول الله ﷺ، فقال: **«خيراً تَلِد فاطمة»**.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٦ ط. المعرفة.

(٢) رواه أحمد وإسناده على شرط الشيخين.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير.

الرؤيا التعبير الأول

دعا رسول الله ﷺ إلى التفاؤل في تعبير الرؤيا، فقال: «**إذا عبّرتم الرؤيا فأعبروها على خير فإن الرؤيا تكون على ما يعبِّرها صاحبها**»(١).

ومن الرؤيا التي أوَّلها رسول الله ﷺ، مرتين أو ثلاثاً فوقعت على وفق تأويله، ثم أوّلتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ بخلاف ما كان رسول الله ﷺ يؤوِّلها عليه، فوقعت على وفق تأويل عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها وقلّما يغيب إلّا تركها حاملًا فتأتي رسول الله ﷺ فتقول: إن زوجي خرج تاجراً فتركني حاملًا فرأيت فيما يرى النائم أن سارية بيتي انكسرت وإني ولدت غلاماً أعور، فقال رسول الله ﷺ: «**خير يرجع زوجك عليك إن شاء الله تعالى صالحاً، وتَلِدين غُلاماً بَرًّا**».

فكانت تراها مرتين أو ثلاثاً. كلّ ذلك تأتي رسول الله ﷺ، فيقول لها ذلك فيرجع زوجها وتلِد غلاماً، فجاءت يوماً كما كانت تأتيه ورسول الله ﷺ غائب وقد رأت تلك الرؤيا فقلت لها: عمَّ تسألين رسول الله ﷺ يا أمَةَ الله؟ فقالت: رؤيا كنت أراها فآتي رسول الله ﷺ، فأسأله عنها فيقول خيراً فيكون كما قال. فقلت: أخبريني ما هي؟ قالت: حتى يأتي رسول الله ﷺ، فأعرضها عليه كما كنت أعرض، فوالله ما تركتها حتى أخبرتني. فقلت: والله لئن صدقت رؤياك ليموتنّ زوجك ولتلدنّ غُلاماً

---

(١) رواه الدارمي، وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح، وله شاهد مُرسَل من حديث عطاء بن أبي رباح عن سعيد بن منصور في سننه.

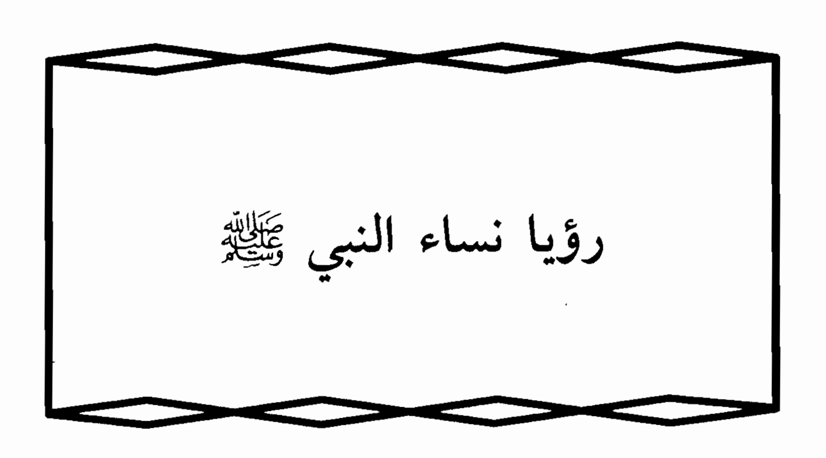
فاجراً، فقعدت تبكي وقالت: ما لي حين عرضت عليك رؤيايَ! فدخل رسول الله ﷺ، وهي تبكي، فقال لها: **«ما لها يا عائشة»**؟ فأخبرته الخبر وما تأوّلت لها، فقال رسول الله ﷺ: **«مَهْ يا عائشة إذا عبَّرتم للمسلم الرؤيا فأعبروها على خير فإن الرؤيا تكون على ما يعبِّرها صاحبها»**. فمات والله زوجها ولا أراها إلا وَلَدَت ولداً فاجراً[(١)].

ومن ذلك نرى أن الإسلام كان يدعو دائماً إلى التفاؤل والخير ويرى أن التشاؤم أمر يجب أن يُترَك ويُستَبعَد لأن الله بيده كل شيء بل هو عزّ وجلّ لا يُحمَد على مكروه سواه.

ونعرف من رؤيا هذه السيدة وتأويله لها أن تعيين الخير ضروري «عيِّنوا الخير تجدوه» فما أوّله الرسول ﷺ من الخير صَدَق وما عيَّنته أُمّ المؤمنين عائشة لنفس الرؤيا شرًّا صَدَق أيضاً، فلنا أن نختار الخير.

---

(١) التخريج السابق.



رؤيا نساء النبي ﷺ

١ ـ رؤيا سَودة بنت زمعة

وُصِفَتْ السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها «بالسيدة الجليلة النبيلة الضخمة»[1].

ومن هذا القول الرقيق والوصف الدقيق لأُمٍّ من أُمّهات المؤمنين، نعرف أنها رضوان الله عليها كانت طاهرةً نقيّة تقيّة فيها من الصّفاء والتّسامح ما يجعلها تنال شرف الانضمام إلى نساء النبي ﷺ.

دخلت السيدة سودة في دين الله مبكرةً، مما أطلق الحكمة وأجراها على لسانها، ومما جعل أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي الصغيرة السّنّ تمّنت أن تكون في مثل هَدْيها وطريقتها، وصفاء نفسها، ولذلك فقد اختصّها الله عزّ وجلّ وهي في هذا السّنّ أن تنال هذا الشرف العظيم وتصبح أُمًّا للمؤمنين، وزوجاً لرسوله ﷺ.

---

(١) انظر سِيَر أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٦٥.

أما رؤياها فقد اختصّت بارتباطها برسول الله ﷺ وتزوّجها منه، وقد رأت سودة في رؤياها هذه ما حقّقته لها العناية الإلـٰهية فعُبِّرَت الرؤيا وصدقت رؤياها.

وقد جاء في طبقات ابن سعد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

ـ كانت سودة بنت زمعة زوجة للسكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو، فرأت في المنام كأن النبي ﷺ، أقبل يمشي حتى وطىء عنقها، فأخبرت زوجها بذلك فقال: لئن صدقت رؤياك لأموتنّ، وليتزوجك رسول الله ﷺ.

فقالت: حجراً وستراً ـ أي إنها تنفي عن نفسها ذاك.

ثم رأت في المنام ليلة أُخرى أنّ قمراً انقضّ عليها وهي مضطجعةٌ، فأخبرت زوجها، فقال: وأبيك لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلّا يسيراً حتى أموت، وتتزوّجين من بعدي[(١)].

فاشتكى زوجها السكران بن عمرو بدءاً من يومه ذلك، فلم يلبث إلا قليلًا حتى مات، وتزوّجها رسول الله ﷺ.

ولكن لنرى كيف تزوّجها رسول الله ﷺ؟

لقد قامت بهذه المهمة الجليلة كوسيطة السيدة الجليلة خولة بنت حكيم السلمية زوج عثمان بن مظعون رضي الله عنها وعنه.

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٦، ٥٧، والمحبر ص ٧٩، ٨٠، والسيرة الحلبية ٢/ ٤٢.

فلما ماتت خديجة رضي الله عنها تمكّن الحزن من رسول الله ﷺ فحزن حزناً شديداً، وانشغل أصحابه بالتفكير في حلٍّ يخفِّف عن رسول الله ﷺ وطء الوحدة، ويؤتيه بعض الأنس والسّلوى. . . وكان أمر مُفاتَحَة الرسول ﷺ في أمر كهذا يُعَدُّ مهمة صعبة على النفس، لمكانة خديجة في نفسه، وحبّه ﷺ لبناته، وكان التفكير في السيدة خولة بنت حكيم. وكانت خولة ممّن كُنَّ يدخلن بيت النبي ﷺ، ويعرفن بعض شؤونه، فكانت تراه حزيناً لفراق زوجه الطاهرة خديجة رضي الله عنها.

وذات يوم، وبينما كان رسول الله ﷺ في داره، إذا بخولة بنت حكيم تستأذن الدخول عليه، ولما رآها رحَّبَ بها وأكرم مَثواها، فهي من المؤمنات الصادقات الصابرات، قد هاجرت الهجرة الأولى إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن مظعون رضي الله عنه، ثم ما لبثت أن عادت معه إلى مكة، ليكونا إلى جِوار النبي ﷺ، وإلى جِوار المسلمين، يتحمّلان معهم الصَّبر فيما ينزل بهم من أذى قريش حتى يجعل الله من ذلك مخرجاً.

ورأت خولة بنت حكيم أن تُدْخِلَ السُّرور إلى قلبه الشريف، وأن تقترح عليه أن يتخذ زوجة له لتملأ بعض الفراغ الذي تركته خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها.

واستجمعت خولة بنت حكيم أطراف شجاعتها، ثم تحدّثت إلى رسول الله ﷺ في رقّة وهدوء وسَكينة ما جاءت من أجله إليه ﷺ فقالت:

ـ يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلّة ـ حزن ـ لفَقْد خديجة؟

فأجابها رسول الله بصوت حزين: «**أجل كانت أُمّ العِيال وربّة البيت**».

فقالت خولة: يا رسول الله، ألا أخطب عليك؟

فقال عليه السلام: «**بلى، فإنكنّ معشر النساء أرفق بذلك**»[1].

وقيل أيضاً إنها قالت: يا رسول الله، ألا تتزوج، فإني قد وجدت لك ما يُدخِل على قلبك السرور، وإن شئت بكراً، وإن شئت ثيّباً؟

كانت خولة تفكِّر في عائشَة الصغيرة بنت أبي بكر رضي الله عنه وهي البِكر، وسودة بنتِ زمعة وهي الثيِّب.

فقال لها عليه السلام: «**فمَن البكر ومَن الثيّب**».

قالت خولة: أما البكر، فعائشة بنت أحبّ خلق الله أبي بكر، وأما الثيِّب، فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك، واتّبعتك على ما تقول.

ثم إن خولة أشارت على النبي ﷺ بالزواج من السيدة سودة رضي الله عنها وحدّثته عليه السلام عن حال سودة بعد زوجها السَّكران بن عمرو، فقال رسول الله ﷺ: «**فاذكريها عليّ**»، وكذلك ذكر عائشة وقال لخولة: «**اذكريها عليّ**».

فلما خرجت خولة بنت حكيم من عند رسول الله ﷺ بشَّرت سودة بنت زمعة بهذا النبأ السعيد، فغمرها سرور عميق، واستشعرت دموع الفرح وقد ندت رقراقة على وجهها الكريم، وتذكّرت رؤياها الصادقة التي انصرفت مشيئة الله أن تكون رؤيا صادقة، وما كانت سودة تفكِّر أو

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٣٠، طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٧.

تطمع في أن تكون زوجاً لرسول الله ﷺ بعد أن أخذت منها السُّنون ما أخذت، وها هي رحمة الله بها تحيط بها من كل جانب فتكرّم إسلامها بالدخول في أُسرة النبي ﷺ...

توجّهت خولة إليها، وتحدّثت خولة عن اللقاء والبشرى فتقول: إنه بعد أن ملأ البِشْر وجهها، قالت سودة: وددت ذلك، ولكن ادخلي على أبي فاذكري له ذلك.

قالت خولة: فدخلت على أبي سودة، وحيَّيتُه بتحية أهل الجاهلية وقلت: أنعِم صباحاً. فقال: مَن أنت يا هذه؟ فقلت: خولة بن حكيم زوج عثمان بن مظعون، قالت خولة: فرحّب بي والد سودة، وقال ما شاء الله أن يقول وسألني عن حاجتي وقال: ما شأنك؟! فقلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر ابنتك سودة. قال: إن محمداً كفءٌ كريم، ولكن ما تقول صاحبتك سودة؟ قلت: هي تحبّ ذلك. قال: إذن ادعِها إليَّ. فذهبت ودعوتها، فقال لسودة: أي بُنَيَّة، إن خولة بنت حكيم تزعم أن محمد بن عبد الله قد أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم، أتحبّين أن أُزوِّجك منه؟ فقالت سودة في صوت يُفصِح عن رغبتها: نعم أحببت.

قالت خولة: فجاء رسول الله ﷺ وعَقَدَ عليها وملكها فزوّجه إياها بعد أن أصدقها أربعمائة درهم، ودخلت سودة البيت النبوي الكريم لتغدو من أُمّهات المؤمنين وصدقت رؤياها التي عبّرها زوجها السكران بن عمرو[١].

---

(١) انظر سيرة سودة في الإصابة ٤/٣٤٩، وعيون الأثر ٢/٣٧٧، والسيرة النبوية لابن هشام.

٢ ـ رؤيا صفية

رأى رسول الله ﷺ بأعلى عين صفية خضرة من أثر ضربة فسألها:
«ما هذه الخضرة»؟

فقالت: قلت لزوجي: «إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع في حِجري، فلطمني وقال: أتريدين ملك يثرب؟ أو قال: والله ما تتمنين إلا ملك العرب»[1].

كانت صفية بنت حُيـي بن أخطب في السابعة عشر من عمرها على أصحّ الأقوال عندما دخلت البيت النبوي، وكان دخولها البيت النبوي تأويل وتعبير لرؤياها الصادقة، وتبدأ قصة تفسير وتعبير رؤيا صفية التي لُطِمَت من أجلها من زوجها اليهودي الفاسق وهو كنانة بن أبي الحقيق.

ولنسمع من السيدة صفية بنت حُيَـي بن أخطب، والتي ينتهي نسبها إلى هارون أخي موسى عليه السلام تتحدّث عن بعض ذكرياتها، لكي نعرف مسافة الرؤيا التي رأتها عن الواقع الذي كانت تعيش فيه ـ تقول صفيّة: كنت أحبّ ولد أبي إلَيْهِ، وإلى عَمِّي أبي ياسر، لم ألقهما قَطّ مع وَلَدٍ لهما إلّا أخذاني دونه. . . فلما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة، ونَزَلَ قباءَ، في بني عمرو بن عوف غَدَا عليه أبي حُيَـي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب قبل شروق الشمس، فلم يرجعا حتى كانا مع غروبها، فأتيا كالّين، كسلانين، ساقطين، يمشيان الهُوَينى، فهششتُ إليهما كما كنتُ أصْنعُ، فوالله ما التفتَ إليَّ واحِدٌ منهما، لِما بهما من

---

(١) أزواج النبي، للصالحي، ص ٢٢٠ ط. دار ابن كثير.

الغمّ..! وسمعت عمّي أبي ياسر وهو يقولُ لأبي، حُيَيٍّ بن أخطب: أهو هو؟

فيُجيب أبي: نعم والله!

فيسأل عمّي: أتعرفه وتثبتُهُ؟!

فيقول أبي: نعم!

فيقول عمّي: فما في نفسك منه؟

فيُجيب أبي: عداوته والله ما بقيتُ.

هذا حديث قصّته السيدة صفية بنت حُيَيٍّ من ذكرياتها عن بعض ما سمعته من حديث دار بين أبيها سيّد يهود بني النضير، وَعَمّها، عن رسول الله ﷺ حينما قَدِمَ إلى المدينة مهاجراً إليها من مَكَّةَ، وذهب أبوها وعمّها لِيَرَيا هذا القادِم الذي كانت التوراة تُعلِمهم عن صِفَتِهِ، ويترقّب أخبارهم مَبْعَثهُ، ومع أن أباها رأى في محمد ﷺ ما عَرَفَ به من أنّه هو النبيّ ﷺ الذي حدَّثتهُمْ عنه كُتُبُهُم، وثَبَتَ عنده أنّه هو الرسول ﷺ الذي كان يترقّب مَبعَثه أخْبارهم ـ فقد أعلن لأخيه عداوته لمحمد ﷺ ما بقي حيًّا.

وكان حُيَي بن أخطب من بعد ذلك العدوّ الأول لمحمدٍ، فلا يكتفي بعدم طاعته، والخروج عليه، والنفور منه، بل يزيد على ذلك أنه يُعانده، ويدبِّر له المَكايد، ويؤلِّب الناس عليه.

كان حُيَي بن أخطب يفعل ذلك كله برغم العهود التي عقدها محمد مع يهود المدينة، من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وبرغم المُوادعات التي وادَعَهم فيها النبي ﷺ على دينهم وأموالهم، وبرغم تقرّب الرسول ﷺ من اليهود، ومُجاملته لرؤسائهم، رغم كل هذا كره

يهود المدينة محمداً ﷺ بعد حُسْن استقبالهم له، وفرحهم بقدومه، فقد كانوا يطمعون في ضمّه إلى دينهم، ومتابعته لدعوتهم، ليشتدّوا به على الأوس والخزرج الذين يُساكِنونهم في المدينة، ولينتصروا به على أعدائهم في الدين من أهل النصرانية.

ونقض اليهود ـ يهود بنو قينقاع ـ عهودهم لمحمَّدٍ ﷺ، فحقّ له أن يقاتلهم وأن يحاصرهم.

وتآمر يهود بني النضير، وبني قريظة، وحاول بنو النضير قتل الرسول ﷺ فأرسل إليهم يقول: «**اخرجوا من بلادي؛ فإنكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر، وقد أجّلتكم عشراً، فمَن رُئِيَ بعد ذلك ضربت عنقه**»[1].

وجاء حُيَي بن أخطب إلى بني قريظة ليتآمر معهم، ويَعِدُهم الوقوف معهم ضدّ محمد ﷺ، والموت إلى جانبهم، إذا ما هزم المسلمون الكفّار في غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق... وظلّ بهم حتى مالَ بنو قريظة إلى نَقْض عهدهم للمسلمين، وبيّنوا الغدر بمُحَمَّدٍ ﷺ.

وأحسّ محمد ﷺ بما أضمَرَ بنو قريظة للمسلمين، فأرسل إليهم بسيّد الخزرج سعد بن عُبادة، وبسيّد الأوس سعد بن معاذ ـ وكان حليف قريظة ـ ليستوثقا مما جاء إلى محمد ﷺ عن غدرهم ونَكْث عهدهم للمسلمين.

ووجد رسولا محمد ﷺ من بني قريظة شرّ حال، وعرفا فيهم الغدر والخيانة، فعادا إلى محمد ﷺ يُعَرِّفانه بما كان.

---

(١) المغازي للواقدي، وسيرة ابن هشام غزوة بني النضير.

وبغدر بني قريظة بالمسلمين، حقّ للمسلمين محاربتهم وقتالهم، وانتهت غزوة الأحزاب بهزيمة الأحزاب، وبنصر الله للمسلمين، ثم سار المسلمون لمحاربة بني قريظة، وانتهى الأمر بينهم وبين الرسول ﷺ بأمر محمد ﷺ لهم أن يتخيّروا من حلفائهم الأوس رجلًا يرتضون حُكمه ليفصل في أمرهم. فتخيَّروا لسوء حظّهم، ونَكَد طالِعهم ـ سعد بن معاذ، وحَكَمَ سعد. . . فكان حُكمه أن قضى بقتل الرجال وسَبي النساء والأطفال.

ونُفِّذَ حُكم سعد. . . فضُربَت أعناق الرجال، وعلى رأسهم حُيَيُّ بن أخطب سيّد يهود بني النضير. ولم يأمَن الرسول ﷺ بعد ذلك جانب اليهود، فإنه وإن كان قد قضى على اليهود بالمدينة، فإن اليهود الذين كانوا يسكنون في غيرها، وهم يهود خيبر، ويهود بني النضير، ويهود بني قينقاع الذين أُخرِجوا من المدينة ـ كانوا لا يزالون مصدراً يُخشَى على المسلمين من غدره وخيانته.

وذاعَ خبر ما أصاب يهود بني قريظة لدى سائر اليهود، وعلم يهود بني النضير بمقتل رئيسهم حُيَي بن أخطب الذي خرج ليجمع الناس لقتال محمد ﷺ وأصحابه.

وأدركت ابنته صفية أن عداوة أبيها لمحمد قد قتلته، وكانت صفية حينذاك قد شبّت فتاة نضرة حلوة، ويزيِّنها عقل راجح ثابت، ويطبعها هدوء مُحَبَّب، ورَزَانةٍ مرغوبة.

وكانت حينذاك زوجة لرجل من كبار اليهود، يهود بني النضير، ومن أوائل أصحاب الرأي والمشورة فيهم، هو سلَّامُ بنُ مشكم، وفارقها سلّام ليتزوّجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهو من كبار رجال بني

النضير أيضاً، وصاحب حصن «القموص» أمنع حصون خَيْبر، وصاحب كنز اليهود المتولّي أمر أموالهم والمُؤتَمَن على حُلِيِّهم.

وفي ذات يوم قامت العروس صفية من نومها تقصّ على زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق رؤياها التي رأتها في المنام، وكانت موضعاً لعجبها ودهشتها، فقالت: رأيت في المنام أن قمراً أقبل من ناحية المدينة حتى وقع في حِجري.

وما أتمّت صفية ذِكْر رؤياها لزوجها، حتى رأته وقد تطاير شَرر الغضب من عينيه ثم ما أَحَسَّت إلا ويده تهوي بقوة وشدّةٍ على وجهها تَلْطُمَها وهو يقول: ما هذا إلَّا أنَّكِ تتمنين ملك الحجاز: مُحَمَّداً ﷺ!

واحتقن ما حول عين صفيَّة من أثر اللطمة، ثم تحوَّل هذا الاحتقان مع مرور الزمن إلى كدمة زرقاء قاتمة.

وبينما المُزارِعون من يهود خيبر يخرجون ذات صباحٍ إلى بساتينهم ومزارعهم، وهم يحملون فؤوسهم وأدوات زراعتهم، إذ بأهليهم وأصحاب حُصُونِهِم، يسمعون صِياحهم ونداءاتهم، وهم مُقبِلون عليهم في هَرْجٍ ومَرْجٍ واضطرابٍ واختلاطٍ، لأنهم قد تَمَلَّكَهُمُ الرُّعْبُ، واستبدّ بهم الفَزَعُ، وكانوا يقولون: هذا مُحَمَّدٌ ﷺ قد جاءَ الجيشُ مَعَهُ...!

وسمع مُحَمَّدٌ ﷺ الذي كان جاء حقًّا بجيشه لقتال اليهود، يهود خيبر، صياح الصائحين ونداءاتهم لإنذار قَوْمِهِم، فهتف قائلًا:

«الله أكبر! خربت خيبر! إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساءَ صباح المُنذرين».

وخربت خيبر كما تنبّأ الرسول ﷺ...!

فقد سقطت حصونها بعد قتالٍ عنيفٍ شديدٍ حصناً بعد حصنٍ في أيدي المسلمين، واستولى المسلمون على ما بالحصونِ من عتادٍ ومؤن وسلاح، ووقع في أيديهم ما كان فيها من نساء وأطفالٍ سبايا لهم وأَسرى. ولم تجد اليهود بُدًّا من أن يَعْرِضوا الصلح على محمدٍ ﷺ، فصالحهم على أن يكون للمسلمين نصف ثمار خيبر، ولليهود النصف الآخَرُ نظير عملهم في الأرض.

وسأل النبي ﷺ كِنانَةَ بن الربيع عن أموال اليهود وذهبهم اللذين حَمَلَهُمَا بني قينقاع وبنو النضير معهم عندما غادروا المدينة، فأنكر كنانَةُ وُجودَهما قائلًا:

يا أبا القاسم، أنفقْنَاهما في حربنا فلم يبقَ منهما شيْءٌ.

فقال النبي لكنانَةَ: «**برئت منكُمْ ذمَّةُ اللهِ، وذِمَّةِ رَسُولِهِ، إن كان عِندَكُمْ شَيْءٌ من أموالِكُمْ وَذَهَبكُمْ**»!

أجاب كنانة: نعم.

وقال النبي ﷺ: «**أرأيتَ إن وَجَدْنَاهُ عِندَكَ، أَأَقتلك**»؟

قال كنانة: نعم.

فأشهد النبي ﷺ طائِفةً من اليهود، وطائِفةً من المسلمين على ذلك، ثم أمر بالبحث عن أموال اليهود وذَهَبِهم اللذين أنكَرَ كنانَةُ وُجُودَهُمَا، وأقسَمَ عليه.

واكتُشِفَ كنز اليهود وقد خَبَّأَهُ كِنانَةُ في خَربَةٍ من خَرِباتِ خَيْبَرَ، وبذلك حَلَّ دم كنانة للمسلمين، فقتلُوهُ.

وترفّق الرسول ﷺ باليهود، وأكرمهم بعد استسلامِهِم، وكان من تَرَفُّقِهِ بهم أن عاملهم بالحُسْنىٰ، وردَّ إلَيْهِمْ صحائِفَ من التَّوراة، كانت

فيها غنم المسلمون، وكان إكرامه لهم أنّه حينما أتاهُ رَجُلٌ من المسلمين يقول له:

يا رسول الله أتعطي دحية ـ صفية سيّدة قريظة والنضير وهي لا تصلح إلّا لك..!

قال عليه السلام: «**ادعوه**» (يعني دِحْيَةَ) «**نُعطِهِ غيرها**».

وأرسل مَن يأتي بصفيَّةَ بنت حُيَيٍّ بن أخطب ليكرمها ويكرم فيها قومها.

كانت صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ حينَ فَتَحَ المسلمونَ حصنَ «القموص» قَدْ أُخرِجَت منه فيمن أُخْرِجَ من الأسرىٰ والسَّبايا، اللذين وقعوا غنيمة في أيدي المسلمين.

وتخيَّر دحية الكلبيُّ سيدَةَ بني النضير لتكون في نصيبه عند تقسيم الأسْرى وتوزيع الغنائم.

وفيما كانت صفية تنتظر مع بعضِ عمومتها ما يُجريه عليهنّ حُكْمُ الأسْرِ، أتاها بلال يدعوها لمصاحبته لتمثُلَ بين يدي رسول الله ﷺ.

وصَحِبَت صَفِيَّة بلالًا إلى الرسول، ومعها إحدى بنات عمّها، وفي الطريق مرَّ بهما بلالٌ على جُثث قتلى قومهم وأشلائِهِمْ، ورأت صفيَّة وابنة عمِّها قتلاهما، ورأَيا شِدَّة ما فعلت قوة الحرب بجثثهم فلم تستطع صفية أن تمسك نفسها عن البكاء فانحدرت دُمُوعُهَا على خدِّها في حين صرخت ابنة عمّها وولوَلَتْ وصاحت صِياحاً شديداً.

ومَثُلَتْ صفيَّة وابنة عَمِّهَا وهُمَا على هذا الحال أمام الرسول ﷺ، ورأى الرسول ﷺ أمامه فتاتين: تكتم إحداهما شُعورَها وتبكي في سُكون

وصمت، وتولول الثانية وتَصُكُّ وجهها وتحثو التراب على رأسها، فأشاح بوجهه عن هذه النَّاحبة النَّادبة وقال: «**أغربوا**» (أي أبْعِدوا) «**عنّي هذه الشيطانة**».

فأبعد المسلمون ابنة عمّ صفيّة من حضرة رسول الله ﷺ، أمّا صَفِيَّة فقد أمر النبي ﷺ فَحِيزَت خَلْفَهُ، وألقى عليها رداءَهُ، فعرف المسلمون أنَّ رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسِهِ.

وعَلِمَ رسول الله ﷺ بما كان من بلال حينَ مرَّ بالفتاتين على قتلى قومِهِمَا، فاستنكر من بِلالٍ هذا الفِعْل، وقال له: «**أنزِعَت منك الرحمة يا بلال... حتى تَمُرَّ بامرأتين على قتلى رِجالهما!؟**».

فقال بلال معتذراً: يا رسول الله، ما ظَنَنْتُ أنَّكَ تكرَهُ ذلك، فأحببتُ أن تَرَيا مَصارعَ قومِهِما.

وأمر النبي ﷺ بعد ذلك بابنة عمّ صفيّة لتكون من نصيب دِحْيَة الكلبي. وحينما هَمَّ الرسول بمغادرةِ خَيْبَرَ، بعد أن انتهى من تدبير أمر اليهود كانت صَفِيَّة قد أسلمت وتخيَّرَتْ رسول الله ﷺ، فحينما خيَّرها الرسول ﷺ بين الإسلام واليهودية، قالت:

يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدَّقت بكَ قبل أن تدعوني إلى ذلك، فأعتقها رسول الله ﷺ، وجعل عِتْقَهَا صداقَ زواجه منها.

ولمّا عزم جيش المسلمين على مغادرة خيبر، تقدّم رسول الله ﷺ إلى صَفِيَّة فقدّم إليها البعير لتركب، وثَنَى لها رِجله لتضع قدمها على فَخِذِه مُساعدة لها على الركوب، فأبَت صَفِيَّة أن تضع قَدَمَها على فخِذِ رسول الله ﷺ، ووضعت ركبتها بدلًا من قدمها.

وعلى بُعدِ ستّةِ أمْيالٍ من خيبر حطَّ النبي ﷺ يبغي الزّفاف بعروسه، فأبَت عليه صَفِيَّة ذلِكَ.

وَوَجِدَ النبي ﷺ في نفسه لِمَا بَدَا من صَفِيَّة، فلما كان «بالصهباء» (وهو موضع على بُعْد مرحلة من خَيْبر) نزل النَّبيُّ ﷺ، وطلب من أم سليم (وهي أُمّ خادِمِهِ أنس بن مالك) أن تُعِدَّ صَفِيَّة لزفافه بها.

وتقدّمت أُمّ سليم وبعض النساء التابعات لجيش المسلمين من صَفِيَّة لِيُزَيِّنَّها ويمشِّطنَها فاتّخذن من عباءَتين أقَمْنَها فوق شجرةٍ سِتاراً، ومن خلف هذا الستار زيَّنت أيدي النِّسوةِ عَرُوسَ رسول الله ﷺ.

فلما فرغن من تزيينها وتمشيطها كانت صَفِيَّة بشهادة ماشِطتها قد أضحت من أجمل النساء وأحسنهنّ.

ودخل النبي ﷺ على عروسه فوجد عندها سروراً به، وبشاشة له، وأحسَّ منها حفاوةً وائتناساً به، فلما سألها: «**ما الذي حَمَلَكِ عَلَيَّ في المنزِلِ الأول**»؟

أجابت: خَشيتُ عَلَيْكَ قُرْبَ يهود.

وبهذا الجواب عَظُمَت صَفِيَّة في عين الرَّسُول ﷺ، وَحَازَتْ رِضَاهُ وإعْجابَهُ، فأقبل عليها يُحَدِّثُها مُسامِراً مُؤنِساً، مُهَوِّناً عليها ما يكونُ بنفسِها من أثَرٍ لِما أصابَ قَوْمَها، فلمّا ذَكَرَتْ له شيئاً عن أبيها قال: «**لم يَزَلْ أبوكِ من أشد يَهُودَ لي عَدَاوةَ حتى قَتَلَهُ الله**».

ولاحَظَ النبي ﷺ ما حول عَيْنِ صفِيَّةَ من زُرْقةٍ نتيجةَ لِلَّطْمَةِ التي لطَمَها إيَّاها زوجها السابِقُ: كنانَةَ بن أبي الحقيقِ، فسألها عنها، فذكرت له ما كان من رؤياها التي رأتها في المنام، وما كان من تفسير كنانة لها، ثم ضَرْبِهِ إيّاها حين قالت له:

«رأيْتُ في المنام أنَّ قَمَراً أقْبَلَ من ناحية المدينة حَتَّى وقع في حجري. فتطاير شَرر الغضب من عينيه ثم ما أحَسَّتْ إلّا ويده تهوي بِقُوَّة وشدّةٍ على وجهها تَلْطمُها وهو يقول:

ما هذا إلا أنَّكِ تتمنينَ مَلِكَ الحجاز... محمد ﷺ».

ومرّت ليلة عُرس الرسول ﷺ كأحسن ما تمرّ الليالي، فلما أصبَحَ عليه السلام وغادر الخيمة التي زُفَّت إليه فيها صَفِيَّةُ، وجد أبا أيوب خالد بن يزيد الأنصاري، وقد باتَ يطوف بالخيمة متوشّحاً سيفه، فسأله النبي ﷺ: **«ما لكَ يا أبا أيوب»**؟!

أجاب يا رسول الله، خِفْتُ عليك من هذه المرأة، قد قتلتَ أباها، وزوجها، وقومها، وكانت حديثَةَ عَهْدٍ بكُفرٍ، فخِفْتُها عليك. فيقال إن رسول الله ﷺ، دعا لأبي أيوب بقوله: **«اللَّهمَّ احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني»**.

وأَولَمَ الرسول لِلنَّاس على صَفِيَّة بالحيس (وَهُوَ طَعَامٌ من التمر والسَّمن والدقيق) ودَعَاهُمْ فَأكَلُوا فَرِحين بفرحةِ زفافِ الرسول وبفرحة انتصارهم على اليهود.

٣ ـ رؤيا أُم حبيبة أن الرسول ﷺ سيتزوجها

عن أُم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

أرى في النوم كأن آتياً يقول لي: يا أُمّ المؤمنين ففزعت وأوَّلتها أنَّ رسول الله ﷺ يتزوّجني، قالت: فما هو إلّا أن انقضت عدَّتي فما شعرت إلّا برسول النجاشي على بابي يستأذن فإذا جارية له يقال لها أبرهَة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلتِ عليَّ فقالت: إنَّ الملك يقول

لك إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أُزوِّجك، فقلت: بشَّركِ الله بخير، وقالت: يقول لك الملك وَكِّلي مَن يُزوِّجك»[١].

في ذات يومٍ دُقَّ باب أم حبيبة في مهجرها بالحبشة فقامت أُم حبيبة إلى الباب تفتحه لتنظر مَن الطارق، فإذا بالطارق جاريةً من جواري النجاشي، ـ نجاشي الحبشة ـ تُدعى «أبرهة» تقول لها: إن الملك يقول لَكِ، إنَّ محمداً رسول الله ﷺ كتبَ إليهِ أن يزوِّجك منه، فوكِّلي مَنْ يُزَوِّجُكِ.

كان الخبر مفاجأة لأُم حبيبة، فَبُغِتَتْ به، واستولت عليها الدهشة، وتملَّكها العجب! محمد رسول الله ﷺ يُرسِل إلى نجاشي الحبشة ليزوِّجه منها... وتذكّرت أُم حبيبة رؤياها التي رأتها، فقد رأت أن آتياً يقول لها: يا أُمّ المؤمنين، ففزعت من نومها.

ورُوِّعَت أُم حبيبة وقتئذٍ، واستبعدت أن يكون ما رأته في المنام سوف يكون له ظلٌ من الحقيقة... ولكن ها هي تسمع من أبرهة جارية نجاشي الحبشة أن محمداً رسول الله ﷺ قد أرسل إلى النجاشي ليخطبها عليه، وأن النجاشي يطلب منها أن توكِّل عنها مَن يُزَوِّجُها، لتصير زوجةً لرسول الله ﷺ وتصبح أُمًّا للمؤمنين..!

ولكن ما هي القصة من البداية؟ وكيف جاء تعبير الرؤيا بزواجها من رسول الله ﷺ وهي بعيدة عنه وتحت رجل قرشي هو عبيد الله بن جحش؟ لقد تزوج عبيد الله بن جحش رملة بنت أبي سفيان (أُم حبيبة) وهي ابنة زعيم مكة وسيِّد بني أُمية.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وابن سعد في «الطبقات».

ولمّا زُفَّت إلى عبيد الله بن جحش رأت نفسها عروساً لرجل لا يرتضي لنفسه أن يعبد ما يعبد آلُهُ وعشيرته، وأن يُشرِك مع عبادة الله عبادة الأصنام والأوثان.

رأت زوجها يبحث وراء دينٍ حقٍّ يستطيع أن يعبد به الله وحده، ولمست في زوجها ما تعهده في قومها من تكالب على عبادة أصنام لا تسمع ولا تعقل، يصنعونها بأيديهم من حجارة صَمَّاءَ، وأحسَّت بأن هذا الرجل على حق، وأن قومها على باطل.

ولمّا ذاع نبأ الدين الجديد في مكة، وعارضه مَن عارض وحاربه مَن حارب أسرع عبيد الله بن جحش زوج أُم حبيبة بالدخول في هذا الدين الجديد الذي دعا إليه محمد ﷺ.

دعا عبيد الله زوجته إلى اعتناق الإسلام، فأسلمت أُم حبيبة، ونَعِمَت بالخروج من الظلام إلى النور، وسكنت إلى رُكن الحق القويم.

ولم تُبالِ قريش بهؤلاء الذين دخلوا دين محمد ﷺ، وخرجوا على دين أجدادهم في أول الأمر، ولكنها إذ رأت تكاثر عددهم، وثَباتهم على دينهم، وتعلُّقهم به، وتقديم أموالهم وأرواحهم للدفاع عنه ـ لم تستطع أن تَسْكُتَ عليهم أكثر ممّا سكتت، ولا أن تصبر أكثر مما صبرت؛ فشمَّرت عن ساعِد جِدِّها تحاول أن تفتنهم في دينهم الجديد، وتردّهم عنه، فحارب المشركون من أبناء قريش المسلمين، واضطهدوهم، وأصْلوهم شتى أنواع العذاب، وصبر المسلمون على إيذاء المشركين لهم في سبيل دينهم، واحتملوا بصدرٍ رَحْبٍ كلّ ما أصابهم من عذاب واضطهاد.

وإزاء هذا العذاب والاضطهاد والتنكيل الذي كان يلاقيه المسلمون من المشركين، أشار محمدٌ ﷺ على المسلمين بالهجرة، فلما سألوه: إلى أين نذهب يا رسول الله؟ نصح لهم ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة؛ لأن بها مَلِكاً لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرض صِدْقٍ.

عندئذ خَرَجَ فوجٌ من المسلمين مُهاجرين إلى أرض الحبشة، مُستَخفين من أعدائهم المشركين، وكان فيمن خرج من مكة مهاجراً إلى الحبشة عبد الله بن جحش، وأخوه عبيد الله تصحبه زَوْجَتُهُ رملة بنت أبي سفيان.

واستقبلهم النجاشي في بلاده بالحفاوة والترحيب، وأنزلهم بجواره في خير جِوار، وكان من فضله وكرمِهِ أن ردَّ رُسُلَ قريش الذينَ أرسلتهم إليه يطلبون منه أنْ يَرُدَّ عليها المسلمين، اللاجئين إلى جِواره، ووضعت رملة بنت أبي سفيان حملها، ورُزِقَت بابنتها «حبيبة» بنت عبيد الله، ومن ذلك الوقت دُعِيَت رَمْلَةُ باسم «أم حبيبةَ».

ومرّت أيام والمسلمون المُهاجرون إلى الحبشة يعيشون في خير وسلام حتى جاءتهم الأخبار من مكة تُعَرِّفهم أن المسلمين بها قد ازداد عددهم، وبذلك اشتدّ أزْرهم. وعلى هذا غادر بعض المسلمين الحبشة عائدين إلى مكة، كان فيهم عبد الله بن جحش وبقيت أُم حبيبة إلى جِوار زوجها عبيد الله مع مَن بقي في الحبشة من المهاجرين، حتى جاءت أخبار إخوانهم المسلمين العائدين إلى وطنهم تُعَرِّفهم أنّه لم يدخل في الإسلام من قريش إلا نَفَرٌ قليلٌ، وأن قريشاً قد خشيت لذلك من انتشار الإسلام، فضاعفت من إيذائها للمسلمين.

وفي ليلة من ليالي الحبشة، أوَت أُم حبيبة إلى فراشها، وراحت تذكر الله عزّ وجلّ، وتسبِّح بحمده، ثم نامت، وحلمت حُلْماً أثار

مخاوفها، فقامت مذعورة مفزوعة فقد ترك الحلم المُخيف الذي رأته، تركَ في نفسها أثراً عميقاً.

تروي أُمّ حبيبة رؤياها أو حُلمها المُزعج فتقول: رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهها ففزعت وقلت: تغيّرت والله حاله!

وعندما أصبح قال: يا أُم حبيبة، إني نظرت في الدِّين، فلم أرَ ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دِنْتُ بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية. فقلت: والله ما خير ذلك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها له، فلم يَحْفل بها[1].

وهكذا ارتدّ عبيد الله بن جحش عن الإسلام، واعتنق المسيحية.

وقد بُهِتَت أُمّ حبيبة لمّا سمعت من زوجها برغم ما تبيّنته من تغيّر حالِهِ، وحاولت النّصح، ولكن النصيحة لم تُجْدِ مع عبيد الله بعد ذلك، كما لم تُجْدِ نصائحُ زوجته في هدايته، وبقائِهِ على ما كان عليه من دين، ولم يستطع المسلمون المهاجرون إلى الحبشة أن يعودوا به إلى حظيرة الإسلام، بل كان إذا مَرَّ على جماعاتهم يقول: فتحنا وصَأْصَأْتُمْ...! (أي أنّا فتحنا أعيننا فأبصرنا، وأنتم ما زلتم تحاولون فتح عيونكم تلتَمِسون البَصَرَ).

وتمسّكت أُمّ حبيبة بدين محمد ﷺ، ودانَت بالإسلام، ورفضت محاولة زوجها أن يردّها عن دينها، ففارقته وعاشت وحيدة مع ابنتها «حبيبة» ولا عَزاء لها في غُربتها إلا ما يُضيء قلبها من نور الإسلام

(١) انظر الإصابة ٤/٢٩٩، سِيَر أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٤٢، ج ٢ ص ٢٢١.

الذي هَداها الله إليه، حتى مات زوجها على دين النصرانية الذي دانَ به.

وفي قصر النجاشي اجتمع المسلمون المهاجرون إلى الحبشة، وهم يفيضون بِشْراً ويهلّلون فرحاً وسروراً، وكان اجتماعهم وسرورهم لأن النجاشي دعاهم لحضور الحَفْل الذي سيتولى فيه تزويج رسولهم من المهاجرة الكريمة أُم حبيبة بنت أبي سفيان، وكان على مقدمة المهاجرين جعفر بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله، وكان من بين الحاضرين عمرو بن أُمية الضمري الذي أرسله محمد إلى نجاشي الحبشة ليخطب عليه أُمّ حبيبة، ولمّا عادت أُم حبيبة كان رسول الله ﷺ خارج المدينة في خيبر، فتزوّجها عليه السلام بعد عودته، وصدقت رؤياها وأصبحت أُم حبيبة رملة بنت أبي سفيان أُمًّا للمؤمنين كأُمّهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ وصدقت رؤياها.

٤ ـ رؤيا جويرية بنت الحارث

عن حزام بن هشام عن أبيه قال: قالت جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ:

«رأيت قبل قدوم النبي ﷺ، بثلاث ليالٍ كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حِجري فكرهت أن أُخبر بها أحداً من النّاس حتى قَدِمَ رسول الله ﷺ، فلما سُبِينا رَجَوتُ الرؤيا فلما أعتقني وتزوّجني والله ما كلّمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمّي تخبرني الخبر فحمدت الله عزّ وجلّ»(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في «الدلائل».

نستهلّ قصة تعبير هذه الرؤيا بكلمات قالتها جويرية بنت الحارث، قالت:

«يا رسول الله؛ أنا بنت الحارث بن أبي ضرار، سيّد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخْفَ عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على أمري»[١].

هذا ما قالته بَرَّة بنت الحارث (جُوَيرِيَة) لرسول الله ﷺ، فمَن هي بَرَّة؟ ومَن هو أبوها؟ وما الذي أصابها من البلاء حتى وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها، وجاءت تستعين برسولِ اللهِ ﷺ على أمرها؟ وما علاقة كل هذا برؤياها ؟

كانت بَرَّة بنت سيّد بني المصطلق، وهم فَرْعٌ من قبيلة خزَاعَة وتقع منازلهم على مسافة غير بعيدة من المدينة، وكانت بَرَّةُ فتاةً حُلْوةً مُلاحَةً، شديدَة الحلاوةَ، لا يراها أحد إلّا أخذت بنفسه، ونالت إعجابَهُ، وكانت زَوْجاً لابن عمٍّ لها، وهو مسايغُ بن صفوانَ، وكانت بَرَّةُ لِما لها من جمالٍ ومُلَاحةٍ، ولِما لأبيها في قومِهِ من شرفٍ وَعِزَّةٍ وسيادَةٍ ـ تتمتّع بمكانةٍ مرموقَةٍ، وتنالُ من بين أترابها منزلةً من التَّرَف والرَّفاهَةِ تُحْسَدُ من أجلها.

وبلغ بني المصطلق ما كان من أمر رسول الله ﷺ، فمنذ أن هاجر من مكة إلى المدينة، وهو يحقِّق للإسلام نصراً كبيراً، فهو في مدى ستّ سنوات كان نورُهُ يُضيءُ الجزيرة كلها، فدخل في دعوته الكثيرون من العرب، وحالَفَه كثيرٌ من القبائل.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ١١، والسمط الثمين ص ١٣٤، ١٣٥، الإصابة ج ٤ ص ٢٥٧.

وها هو ﷺ ذا قد انتصر على أعدائِهِ من قريش وحُلَفائِهِم في غزوة الأحزاب، فانصرفوا عن المدينة مخذولين مَذْحورين بعد أن حاصروها بجموعهم ما يقرُبُ من الثلاثين يَوْماً. وبعد ذلك استأصَلَ اليهود الذين حالفوه وعاهدوه حين مَقدَمِهِ إلى المدينة.

ولمّا نقضوا حِلفَهم، وخانوا عهدهم، وظهر غدرهم، قضى عليهم ﷺ.

فكّر الحارث بن أبي ضرار - سيِّد بني المصطلق - في أمر محمدٍ، وفي أمر انتشار دعوته، وفي مدى خطر انتشار هذه الدعوة على قبيلته وأمثالها من قبائل المشركين فرأى أن يسعى إلى تحريض قبائل العرب وجمع جموعهم، ليخرج بهم إلى محاربة محمدٍ على غِرَّةٍ عَسَى أن ينال مِنْهُ منالًا.

وبلغ النبي ﷺ ما يُبَيِّت له بنو المصطلق، فقرَّر أن يُسارِعَ هو إلى غزوهم قَبْلَ أن يغزُوهُ.

فأعدَّ جيش المسلمين على عَجَلٍ، وخرج على رأسه يقصد منازل بني المصطلق تصحبه من نسائِهِ زوجته عائشة.

وهاجمت جُمُوع محمد ﷺ جُمُوع بني المصطلق قبل أن تتمّ استعدادها، وتأخذ أُهبَتها، فكان أن تفرّقت جُموع العربِ عن بني المصطلق هارِبَةً، تارِكةً إيّاها هدفاً سهلًا ومَنَالًا هيِّناً لجيش المسلمين.

والتقى الجمعان بالقُرْب من ماءٍ لبني المُصْطَلِقِ، اسمه المُرَيسيع، فلم يَدُم القتال طويلًا، فسُرعان ما هُزِمَت بنو المُصْطَلِقِ، ووقعت إبِلُهُمْ وماشيتهم وأبناؤُهُمْ ونساؤُهُمْ في أيدي المُسْلِمينَ.

وكان من قتلى بني المُصْطَلِقِ مسافع بن صفوان زوج بَرَّة بنت الحارث (جُوَيرية) وكانت من الأسرى الذين أَسَرَهم المسلمون زوجته بَرَّة بنت الحارث بن أبي ضرار، وَسُرَّ المسلمون بانتصارِهِم، وفرحوا بما أنْعَمَ الله به عليهم من الفوز، وَحَطّوا بجوار ماء المريسيع يستقّون ويستريحون، وفي وقت حرٍّ وقَيْظ لم يألَف النَّاس من النبي ﷺ الرَّحيل فيه، ارتحل المسلمون عن منازل بني المُصْطَلِق.

وبين نساء بني المُصْطَلِقِ الأسيرات اللّاتي أخذهنّ جيش المسلمين ورحَّلَهُنَّ معه ـ بَرَّة بنت سيِّد بني المُصْطَلِقِ، وقد استبدّ بها الحُزن والهَمُّ لِما تتوقع من ذُلِّ الأَسْر، وتركِ الأهل، وأخذها التفكير فيما ينتظرها من مصير مجهول.

ولمّا أوشك الرَّكب على دخول المدينة، وقد نالَ من أفرادِهِ التعب، وأحسّوا الإرهاق، أمر النبي ﷺ أن يحطّوا للنوم والراحة؛ ثم واصَلوا مَسيرهم مع مطلع اليوم التالي، حتى وصلوا المدينة، ولمّا اطمأن رسول الله ﷺ أقبل يقسِم ما أفاءَ الله عليه وعلى جيش المسلمين من غزوة بني المُصْطَلِقِ.

وفَرِحَ المسلمون بما قُسِّمَ عليهم، وانصرف كُلٌّ منهم يدبِّر أمر ما أصاب من نِعَم ـ في الوقت الذي كانت فيه بَرَّة تنال ذُلَّ الأسْر.

سارت بَرَّة بنت سيد بني المُصْطَلِقِ إلى بيت النبي ﷺ، وكلّها أمل في أن يُفَرِّجَ كُربَتها، ويُزيلَ غَمَّها، وَيُؤْنِسُ وحشتها هذا الرجل الذي سمعت بكَرَمِهِ، ويُزيل عنها ما تشعر به من مَهانة السَّبي وذُلِّ الأسْرِ. فقد وقعت بَرَّةُ عند تقسيم السَّبايا في نصيب ثابت بن قيس، فأرادت أن تتخلَّصَ من الأَسْرِ وأن تَفْتَدِيَ نفسها من ثابتٍ، ولكن ثابتاً ساوَمَها،

وأغْلَى عَلَيْها الفِدَاءَ، وبالَغَ فيه مبالَغَةً شَديدَةً، فرأتْ أن تَلْجَأَ إلى رسول الله ﷺ تستنجد بِهِ في مِحنَتها، وتستعدِي به على ثابت[1].

واستأذنت بَرَّة في الدخول على الرسول ﷺ. وسُمِحَ لبَرَّة في الدخول على الرسول ﷺ تستنجد به ممّا ألَمَّ بها وتستعينه على أمرها ـ فقالت له عليه السلام:

«يا رسول الله، أنا بنت الحارث بن ضرارٍ، سيِّد قومِهِ، وقد أصابني من البلاء ما لم يُخْفَ عليك، فوقعت في السَّهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينُك على كتابتي»[2].

نظر محمد إلى بَرَّة نظرة عطف وإشفاق ـ وكان رسول الله ﷺ لا ينظر للمرأة عندما يخاطبها إلا إذا كانت أمَةً ـ لأن هذا من أدب النُّبُوَّة وأخلاقه العظيمة، لأنه كما وصفه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤]، وتحرّك في نفس الرسول ﷺ ما عُرِفَ عنه من النّجدة والنخوةِ والكَرَمِ، وقال لها: «**فهل لك في خيرٍ من ذلك**»؟

قالت: وما هو؟

قال: «**أقضي عنك كتابتكِ وأتزوّجُكِ**»[3].

تنهّدت بَرَّة، ودخل على نفسها الراحة والسرور، فهي كما ظنّت به ﷺ، فقد أخرَجها من الذُّلّ والسَّبي إلى الكرامة والعِزَّة. فأجابت بَرَّة النبي ﷺ على الفور قائلة: نعم يا رسول الله.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ج ٨ ترجمة جويرية، والمغازي للواقدي غزوة بني المصطلق.

(٢) الإصابة ٤/٢٥٧، الكامل ٢/١٩٢.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٢٦٣.

قال النبي ﷺ: «**قد فعلت**».

وانصرفت بَرَّة من حضرة النبي ﷺ وقد اطمأن قلبها وهدأت نفسها، حتى يقضي رسول الله ﷺ كتابتها ويؤدّي ثمن خَلاصَها.

أما أبوها الحارث بن أبي ضِرار سيِّد بني المُصْطَلِقِ فلم يهدأ له بال منذ أن أُخِذَتْ ابنته أسيرَةً ضمن الأسْرى الذين وقعوا غنيمة في أيدي المسلمين، فراح يفكِّر ويُدَبِّر ويعمل على فِدائها واستردادها بأسرع ما تمكّنه من ذلك ظروفه ومواردُهُ، وعلى ذلك سار الحارِثُ إلى المدينة، وقد ساقَ معه جَمْعاً من الإبل لِفداءِ ابنته بها من المسلمين.

وبينما هو ينزلُ بمكان اسمُهُ العقيق للراحة قبل دخولِهِ المدينَةَ، وقد سرحت الإبل التي جاء بها لفِداء ابنته أُمامة، أعجَبَهُ منها بعيران، ودَّ لو احتجزهما وأبقاهما لنفسه. ونفَّذَ الحارث بن أبي ضِرار ما تاقت نفسه إليه، فاحتجز البعيرين، وغيَّبهما في شِعبٍ من شِعابِ العقِيقِ، ثم أتى المدينة يَسُوقُ باقي الإبل معه لفِداء ابنته.

وقصد الحارث إلى النبي ﷺ ومعه الإبل يقول: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فِداؤها.

قال الرسول ﷺ: «**فأين البعيران اللذان غيَّبتهما بالعقيق**»؟ فدُهِشَ الحارث أشدَّ الدّهشة لمعرفة الرسول ﷺ بما كان منه، ولم يستطع إلا أن يهتف مسلماً ويقول: أشهد أن لا إلـه إلّا الله، وأنَّك محمدٌ رسول الله، فوالله ما اطّلع على ذلك إلا الله!

هكذا أسلم الحارث بن أبي ضِرار سيِّد بني المُصْطَلِقِ الذي كان يجمع جُموع العرب لمحاربة محمدٍ والقضاء عليه كما أسلم معه ابنان له.

وأرسل الحارث فأتى بالبعيرين ليفدي ابنتَهُ قائلًا للرسول ﷺ: هذا فِداء ابنتي، فإن ابنتي لا يُسْبَى مِثْلُها!

فقال الرسول ﷺ: **«أرأيت إن خيَّرناها؟ أليس قد أحسَنَّا؟»**.

أجاب الحارث: بلى.

وسُئِلَت بَرَّةُ فيما تختار، فقالت: اخترت رسول الله ﷺ.

فأسلمت بَرَّة، وأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها وسمّاها جويرية كراهة أن يُقال: خرج من عنده برَّة[1].

نالت جويرية بهذا الزواج المُبارَك شرفاً عظيماً، لم تكن تظن أنه سيُؤاتيها، وحَظِيَت بنِعمة الدنيا والآخرة.

وعَلِمَ الناس بما كان من الرسول ﷺ لجويرية رضي الله عنها، وبزواجه منها، فقالوا عمّا كان بأيديهم من أسرى: أصهار رسول الله ﷺ يُستَرَقُّونَ...؟! فهم يكرهون أن يكون أصهار رسول الله ﷺ الجُدُد، أهل جويرية ـ أرِقَّاء، ولم يلبثوا جميعاً حتى أعتقوا ما أصابوا من سَبْي بني المُصْطَلِقِ، فبلغ ما أعتقوا مائة أهل بيت منهم، حتى قالت عائشة عن جويرية في ذلك: لا أعلم امْرَأةً أعظم بركةً على قومها منها.

ولربّما تذكّرت جويرية رؤياها وكان كلِ هذا هو تعبير رؤياها التي ذكرتها وقالت:

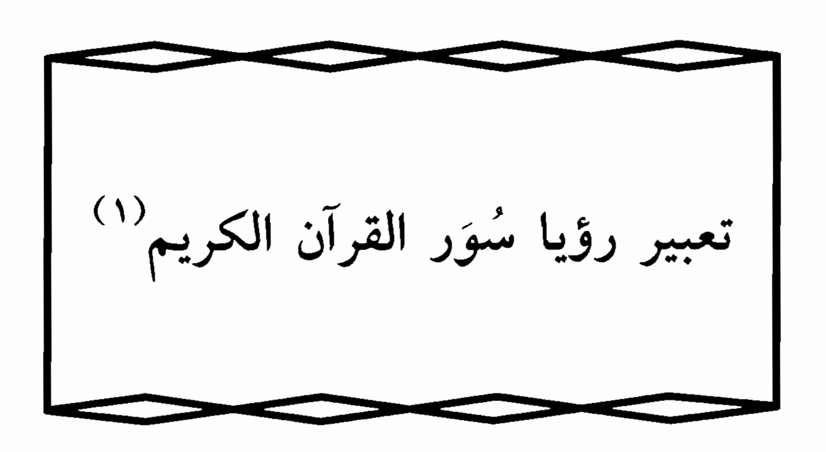
«رأيت قبل قدوم النبي ﷺ ـ بثلاث ليالٍ كأن القمر أقبل يسير من يثرِب حتى وقع في حِجري فكرهت أن أُخبر بها أحداً من الناس حتى

(١) صحيح مسلم في الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن برقم ٢١٤٠.

قَدِمَ رسول الله ﷺ، فلما سُبِينا رَجَوْتُ الرؤيا فلمَّا أعتقني وتزوّجني والله ما كلّمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلّا بجارية من بنات عمّي تخبرني الخبر فحمدتُ الله ـ عزّ وجلّ»[1].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل.



تعبير رؤيا سُوَر القرآن الكريم[1]

١ ـ **سور القرآن التي تُقرَأ على الأموات** غالباً قراءتها في المنام تدلّ على موت المريض، وقراءة سورة تصاريف المريض سرور وأفراح ورزق وتجديد ولد يقرأ القرآن، والسورة زوجه أُم ولد أو دراهم أو دنانير على قَدْر عددها.

وربّما دلّت السورة إذا كانت مكيَّة مدنية كالمائدة والأنعام والنحل والحج ولقمان والسجدة والتغابن على الحج، لأنها من السور المكي المدني.

٢ ـ **سورة الأحزاب**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كان حاسِداً لأهله.

وقيل: كان من أهل التّقى، ينطق بالحق، ويُعرِض عن الباطل، ويحبّ الصالحين، ويُعطى الأمان من العذاب في القبر. وقيل: يكون ظفر وعَوْن من حيث لا يدري.

---

(١) انظر تعطير الأنام ـ قاموس الأحلام ـ للنابلسي ص ٢٢٦ وما بعدها.

٣ ـ **سورة الأحقاف**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يطلب العجائب، ويتفكَّر في عظمة الله تعالى وسلطانه.

وقيل: يكون عاقًا لوالدَيه، ثم يتوب توبة حسنة، ويُحسِن إليهما. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: مَن تلا سورة الأحقاف أتاه مَلَك الموت في أحسن صورة، وكان به رؤوفاً. وقيل: تأتيه شدّة وغمّ من حيث يرجو الخير.

٤ ـ **سورة الإخلاص**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يُوَحِّد الله تعالى، ولا يُرزَق ولداً أبداً، ولا يموت حتى يدفن جميع أهله.

وقيل: إن كان خائفاً أَمِنَ، أو مظلوماً نصره الله تعالى. وربما يكون قد فَنِيَ عمره وانقطع أجَلُه. وقيل: ينال التوبة النَّصوح، والإيمان الصادق.

٥ ـ **سورة الإسراء**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: إنه يجري عليه من قِبَل السلطان أو مثله رِيبة، أو من قوم أدنياء سفال، أو يُخاف عليه من تهمة وهو بريء منها، ويكون مظلوماً. وقال بعضهم: يكون وجيهاً عند الله وعند الناس قريباً تقيًا، ويُنصَر على الأعداء.

وقيل: يكون له ولدٌ عاقٌ، ثم ينصلح حاله إن شاء الله تعالى.

٦ ـ **سورة الأعراف**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يُرزَق من كل علم حفظاً، ويموت غريباً، ويكون مؤمناً مُقِرًا بالدين، وتطأ قدمه طور سيناء.

وقيل: مَن تلاها فإنه يسافر ثم يعود سريعًا، ويكون ممنوعاً من إبليس ومكايده، ويكون آدم عليه السلام شفيعاً له يوم القيامة. وقيل: قراءة سورة الأعراف شماتة بعدوّ، ورؤيته على أسوأ حال.

٧ ـ **سورة الأعلى**: مَن قرأها في المنام جلّ وعلا أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يكون كثير التسبيح.

وقيل: إنه يؤثِر الآخرة على الدنيا. وقيل: يُخاف عليه النسيان، ويُرجَى له الحفظ. وقيل: تتيسّر عليه.

٨ ـ **سورة الأنبياء، عليهم السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق: يرزقه الله تعالى حِفظاً عظيماً.

وقيل: يُرزَق علم الأنبياء وتضرّعهم عليهم السلام. وقيل: ينال الفرج بعد الشدَّة واليُسْر بعد العُسْر، ويُرزَق علماً أو خشوعاً. وقيل: ينال الصلاة والدعاء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويُنصَر على أعدائه. وقيل: يرزقه الله تعالى الأمانة والإقبال على الطاعات.

٩ ـ **سورة الإنسان**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يفرح لآل محمد ﷺ.

وقيل: يُرزَق الشكر والعبادة والوَرَع، ويُؤثِر على نفسه. وقيل: إنه كثير الصدقة وقد سَهَا عن أمر له منفعة كثيرة فليتُب. وقيل: إنّه ذا خُلُق حَسَن، ويُرزَق حظًّا من الناس وتطيب حياته.

١٠ ـ **سورة الانشراح**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يأمَن من الأعراض والأمراض والعِلَل والأسقام.

وقيل: يشرح الله صدره للإسلام. وقيل: امتنان من إنسان عليه بما يصنع له. وقيل: يُيَسِّر الله تعالى عليه أمره وتنكشف همومه.

١١ ـ **سورة الانشقاق**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنه يُدعى له ويُدعى عليه، وإن تَلَتْها امرأة طلّقها زوجها، ويكون كثير الأولاد والنّسْل.

وقيل: يكون مُحاسِباً نفسه، ويُعطيه الله كتابه بيمينه يوم القيامة. وقيل: يدلّ على خصب ذلك العام. وقيل: إنه يُخَصّ بالبنات ثم يَمُتن قبل بلوغهنّ.

١٢ ـ **سورة الأنعام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه، وعائشة رضي الله عنها، والكسائي، وابن فُضالة: بشّرته بسلامة العِيال، وحِفظ البنين، وحُسْن الرزق في الدنيا والآخرة.

وقيل: بل يكون كثير النّعَم والغنم والمواشي والبقر والدّواب، خصيب الجانب، جواد النفس، يجمع الله تعالى له أمر الدّارين ويرحمه، ويرزقه من جميع أنواع الأموال، وصلّى الله عليه وسبعون ألف مَلَك يستغفرون له.

١٣ ـ **سورة الأنفال**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه يكون متوَّجاً بالعزّ مظفَّراً ، وكذلك قال جعفر الصادق رضي الله عنه زاد فيه: ويكون صالحاً في دينه. وقال ابن فُضالة: وإن كان ملكاً كان منصوراً، وإن كان عالماً كان وَرِعاً. وقال بعض العلماء: يُرزَق الظَّفر بأعدائه، وينال منهم الغنيمة.

وقيل: يُرزَق مالًا حلالًا من قِبَل الغنائم. وكان النبي ﷺ شفيعاً له يوم القيامة.

١٤ ـ **سورة الانفطار**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون متوانياً في الصلاة ويؤدِّيها في غير وقتها.

وقيل: يُرزَق صحبة السلطان. وقيل: فليحذر من جيرانه لئلا يؤذونه على قبيح من القبائح.

١٥ ـ **سورة البروج**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال: قال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: يُحبيه الله تعالى في معرفة المسائل والعلم والعمل به، والقوة في الدين.

وقيل: يُرزَق علم النجوم. وقيل: شهادة شَهِدَ بها ولم يَرَها. وقيل: ينجو من الهموم.

١٦ ـ **سورة البقرة**: مَن رأى أنه قرأها في المنام أو شيئاً منها أو تُلِيَت عليه، قال نافع وابن كثير: يُرزَق علماً وعمراً طويلًا وصلاحاً في دينه، ونجاة في ولده، وافقه الكسائي على ذلك.

وقالت عائشة رضي الله عنها: مَن تلاها في منامه أو بعضها، انتقل من موضع إلى موضع، ويكون خطه في الموضع الذي ينتقل فيه. وقال ابن فُضالة رحمه الله تعالى: إن تلاها في النوم إن كان قاضياً قربت مدته، وإن كان عالماً طال عمره وحَسُنَت حالته. وقال بعض العلماء: مَن قرأ سورة البقرة، فإنه يكون جامعاً للدين مُسارِعاً إلى كل ثواب، ويكون طويل العمر قليل الشّرِّ صابِراً على الأذى.

فإن قرأ منها آية الكرسي في المنام دلَّ على حفظه وذكاته، وقراءة سورة البقرة ميراث يقع فيه خِصام يكون من ابن أو عمّ.

١٧ ـ **سورة البلد**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يحلف يميناً ويندم عليه. وربما يكون فيه كاذباً.

وقيل: يرزقه في تربية الأيتام، وإطعام الطعام للمساكين ويكون رحيماً. وقيل: يحصل له أمْنٌ بعد خوف.

١٨ ـ **سورة التحريم**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق وابن فُضالة رضي الله عنهما: إنه يُبتَلَى بامرأة تؤذيه في جسمه أو ماله، ويلحقها بعد ذلك ندامَة، ويُختَم له بخير، ويجتنب المحارم ولا يقربها.

وقيل: إنه يطّلع على كلام قيل فيه. وقيل: يتوب الله تعالى عليه توبة نصوحاً.

١٩ ـ **سورة التغابن**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه يُوقِن بالبعث والنّشور.

وقيل: يُدفَع عنه الموت الفجأة، ويأمَن أهوال يوم القيامة. وقيل: يستقيم على الهدى. وقيل: ذلك تخويف له ووعيد لتركه الفرائض.

٢٠ ـ **سورة التكاثر**: مَن قرأها في المنام، أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يحبُّ جمع الدنيا وينسى الآخرة.

وقيل: إنه يدلّ على عُسْر في الرزق وكثرة الدَّين. وقيل إنه يُصاب بمصيبة في المال ويترك جمعه.

٢١ ـ **سورة التكوير**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: يكون له حظٌّ في السرقة أو في رجل يحصل له منه فائدة.

وقيل: يُرزَق السفر في ناحية المشرق، ويُرزَق فيه. وقيل: ينال الخشوع والتوبة ويُعيذه الله تعالى من الفضيحة.

٢٢ ـ **سورة التوبة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون مُحِبًّا للصالحين. وقال بعضهم: إنه لا يخرج من الدنيا حتى يتوب، ويكون وَدُوداً محبوباً في الناس.

وقيل: إن الله تعالى يُصلِح دينه، ويكون النبي ﷺ شاهداً له يوم القيامة أنه بريءٌ من النفاق، ويُعطَى من الأجْر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا، وتستغفر له الملائكة، ويرزقه الله تعالى الإخلاص.

٢٣ ـ **سورة التين**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه إنذار وحُزن غير أنه يأمَن منه، وعاقبته محمودة رفيعة.

وقيل: يُرزَق عمل الأنبياء والأصفياء. وقيل: يحصل له رزق وبركة وطول عمر، وربما يحلف يميناً. وقيل: يندم ندامة عقباها إلى الخير. وقيل: يعجّل الله تعالى قضاء حوائجه، ويُسَهِّل رزقه. قيل: ويتعلّم علماً نافعاً، ويُعطيه الله تعالى العافية في الدين والدنيا والآخرة.

٢٤ ـ **سورة الجاثية**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قيل: إنه يخاف الله تعالى، وتُرجَى له النجاة من سوء.

وقيل: يستر الله عورته ويؤمِّن رَوعَته، ويحشُره آمناً يوم القيامة.

٢٥ ـ **سورة الجمعة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئت عليه، فإن الله تعالى يجمع حظّه في الدنيا والآخرة، ويُعطَى من الأجْر بعدد مَن أتى الجمعة من المسلمين، ومَن يأتِها.

٢٦ ـ **سورة الجنّ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: يكون في ضِيق في رزقه، ثم يُوسِّع الله عليه، ويخضع له الجنّ.

وقيل: إنه يُقاسي قوماً جُفاة. وقيل: يُعصَم من شرّ الجن. وقيل: يُرزَق إلهاماً وفهماً رقيقاً نافعاً.

٢٧ ـ **سورة الحاقّة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإن كان قائماً على مِنبَر فإنه يُصلَب على بِدعَة في الإسلام. قال ابن المسيب: وإن تلاها جالساً ضُرِبَ بالسِّياط. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: إن تلاها ملك في منامه، زالَ مُلكَه، وإن تلاها شاهد وقف عن شهادته، وإن تلاها عليل مات، وإن تلتها امرأة طلّقها زوجها، وإن تلاها مَن يُنسَب إلى علم ماشياً ضُرِبَ بالسِّياط، وإن كان جالساً حُبِسَ، وإن كان ماشياً بسرعة خِيفَ عليه قَطْع اليدين والرِّجلين. هكذا قال عبد الله بن فُضالة وغيره.

وقيل: يتقرّب كثيراً إلى الله تعالى. وقيل: يقع في مصيبة ويتوب الله عليه. وقيل: كان على حق. وقيل: يقوم حق على يديه وينال خيراً إلى أربعين عاماً.

٢٨ ـ **سورة الحج**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منه، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يُرزَق الحجّ مِراراً. وقال ابن فُضالة: إلا أن يكون عليلًا فإنه يموت. وقيل: يؤدّي فرض الحج ولا يرجع منه.

٢٩ ـ سورة الحِجْر: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: إنه يموت مسكيناً. وقال ابن فضالة: إن كان قاضياً قَرُبَت مَنِيَّته، وإن كان ملكاً حَسُنَت سِيرته، وإن كان تاجراً تفضّل على أهله.

وقيل: يكون عند الله تعالى وعند الناس محموداً. وقيل: يرزقه الله تعالى رزقاً حسناً، ويُعطَى من الأجْر بعدد المهاجرين والأنصار. وقيل: قراءة سورة الحِجْر تحجر عن المعاصي، وإن تلاها عالِم فلا يموت إلا غريباً.

٣٠ ـ سورة الحجرات: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، رُزِقَ اتّباع أمر الله تعالى في القرآن.

وقيل: يَصِل رَحِمَه وإخوانه، ويجمع بين النَّاس في الصّلاح ويُعطَى من الأجْر بعدد مَن أطاع الله تعالى ومَن عصاه.

٣١ ـ سورة الحديد: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجعفر الصادق: فإنه ينال قوة في دين الله تعالى، ويكون حَسَن الخُلُق.

وقيل: يُرزَق البِرّ والمَحمَدة من الناس وصحة البدن. وقيل: ينال مالًا وفيراً ويُفتَح عليه بجميع الخيرات، ويُكتَب من الذين آمنوا بالله ورسوله.

٣٢ ـ سورة الحشر: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يحشره الله تعالى مع الأبرار.

وقيل: ينال صلاحاً بعد فساد دينه، ويخرج من هَمٍّ إلى فَرَج، وإن كان مُسافراً فإنه يرجع من سفره. وقيل: يهلك الله أعداءه. وقيل: يرزقه

الله مالًا، ويُحشَر آمناً يوم القيامة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: إن الله تعالى يحشره يوم القيامة، وهو راضٍ عنه.

٣٣ ـ سورة الدخان: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، فإنه ينجو من عدوّه، وينال رِفعَة.

وقيل: إنه يطلب الجواهر، ويُرزَق الغنى. وقيل: إنه يأمَن من سطوة الجبابرة، ويأمَن عذاب القبر والنار، ويقوى يقينه.

٣٤ ـ سورة الدِّينْ: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، كان ممّن لا يصدّق بيوم الدين، ويمنع المعروف، ولا يُخرِج زكاة ماله.

وقيل: يخالفه نفر ويظفر بهم. وقيل: ينتفع به جيرانه وينتفع به النّاس، ويرضون عنه.

٣٥ ـ سورة الذاريات: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، فإنه ينال رزقاً من نبات الأرض، ويكون موافقاً لمَن عاشره.

وقيل: إنه يتزوّج أو يحلف يميناً.

٣٦ ـ سورة الرحمٰن: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، فإن الله تعالى ينقله إلى أحد الحَرَمَين، أو إلى العدنين، أو إلى الإسكندرية، أو يموت في إحداهنّ.

وقيل: يرحمه الله برحمته. وقيل: يحفظ القرآن وينفقه في الدين، ويكتسب علماً كثيراً، وإن كان له أعداء فإنهم لا يستطيعون له شرًّا ولا سوءاً. وقيل: إنه يسكن بيت المقدس. وقيل: إنه ينال نعمة الدنيا.

٣٧ ـ سورة الرعد: مَن قرأها في منامه أو شيئًا منه، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجعفر الصادق: فإنه قد قَرُبَت مَنِيَّته. وقال بعضهم: يكون حافِظاً للدعوات، ويُسرِع إليه الشَّيب.

وقيل: يأمن من مخافة السلطان. وقيل: يكون كثير التضرّع لله تعالى، ويُعطَى من الأجْر وزن كل سحاب إن شاء الله تعالى في دار الدنيا إلى يوم القيامة، ويكون من المُوَفِّين بعهد الله عزّ وجلّ.

٣٨ ـ سورة الروم: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون النّفاق في قلبه. وقال ابن فُضالة: إن كان عالِماً أو قاضياً كان حافظاً، ويكون ظالماً، وإن كان تاجراً نال فائدة طائلة، وإن كان الرائي ملكاً فتح الله عليه مدينة من مدائن الكُفْر عظيمة، وهدى الله تعالى على يديه قوماً كثيراً.

وقيل: ينال مالاً وغلماناً. وقيل: يتمّ له أمر يرومه، أو يكون بينه وبين أحد خِصام ويكون له الظَّفر. وإن كان المسلمون في حرب فإنهم يُنصَرون.

٣٩ ـ سورة الزخرف: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه كان له إقتار رزق قليل، وضعف عن طلب الدنيا، ويسعد في الآخرة، ويكون ممّن يُقال له في الآخرة: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: الآية ٦٨].

٤٠ ـ سورة الزلزلة: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يفتتن من جهة الشيطان الرجيم في ذلك الموضع.

وقيل: يزلزله الله تعالى به مع أهل الذمّة. وقيل: ينال رزقاً ومالاً مدفوناً. وقيل: إنه يخاف من سلطان.

٤١ ـ سورة الزّمر: مَن قرأها في المنام، أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، كتب كتباً كثيرة، وفَهِمَ ما فيها، وحُصِّن بها.

وقيل: كان يوم القيامة أول الصفوف مع المؤمنين. وقيل: خَلُصَ دينه، وحَسُنَت عاقبته، ويُعطَى ثواب كل مَن خاف الله تعالى. وقيل: يعيش كثيراً حتى يرى ولد ولده.

٤٢ ـ سورة السجدة: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: كان قوي التوحيد، سالم النفس. وقال بعضهم: يموت في سجدته، ويكون عند الله تعالى من الفائزين.

وقيل: يُرزَق الحياة في الدنيا، والزّهد والورع، وكان له من الأجْر كمَن أحيا ليلة القدر، وينال قُرباً من الله تعالى ومنزلة ودرجة. وقيل: إنه يحبّ صلاة الليل.

٤٣ ـ سورة الشعراء: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجعفر الصادق: إنه ينال عُسراً في رزقه، ولا ينال شيئاً إلا بنكد. وقال بعضهم: يَعصمه الله تعالى من الأفك، وقول الزّور والإثم.

وقيل: ينال تنزيهاً عن الكلام القبيح والخفا والكذب.

٤٤ ـ سورة الشمس: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: إنه يحلّ في بلد مع سلطان عادل، أو يُرزَق النصر والظفر في سائر الأشياء.

وقيل: يُرزَق ولداً صالحاً، ويكون آمناً في دُنياه غير خائف في آخرته.

٤٥ ـ **سورة الشورى**: مَن قرأها في المنام أو قُرِئَت عليه، فإنه طويل العمر، وتُصَلّي عليه الملائكة وتستغفر له.

وقيل: ينال زيادة في العلم والعمل. وقيل: يخرج من مرضه إلى صحة وعافية.

٤٦ ـ **سورة الصّافّات**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، رزقه الله تعالى ولداً صاحب يقين، ويكون طائعاً لله تعالى، يتعلّم صنعة يعجب منها.

وقيل: تتباعد عنه مَرَدة الشياطين. وقيل: يُرزَق معيشة حلالًا وولدين ذَكَرين.

وقيل: ينال خيراً ودنيا وطهارة من الدّنس، وخوفاً من الله عزّ وجلّ.

٤٧ ـ **سورة الصّفّ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يحضر مع قوم مبتدعين يقولون في آل محمد ﷺ.

وقيل: يغزو ويموت في سبيل الله شهيداً. وقيل: يُقال تثبيتاً ومراقبة، ووفاء بنَذْر أو قَسَم، وحِفظ لسان.

٤٨ ـ **سورة الضحى**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: إنه ينال خيراً.

وقيل: يكون متعطفاً على الضَّعَفَة رحيماً بالمساكين. وقيل: ينال أمْناً بعد خوف وبُشرى بعد إياس وقنوط، ورجاء بعد قنوط، وإن كان فقيراً استغنى، وربما قَرُبَ أجَلَه.

٤٩ ـ **سورة الطّارق**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يُرزَق البنات والبنين. وقيل: يُلهَم التسبيح والتهليل. وقيل: إنّه يخاف من اللصوص.

٥٠ ـ **سورة الطلاق**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنه يكون ملولًا للصديق، وكذلك قال ابن فُضالة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: ويكون مَلولًا للنساء أيضاً.

وقيل: يطلّق النساء كثيراً. وقيل: إنه يقع بينه وبين امرأته نَكَد، ويموت على حُكْم الكتاب والسُنَّة. وقيل: إنه يُبتَلَى بزوجة مؤذية في ماله وجاهه.

٥١ ـ **سورة الطور**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، فإنه يُرزَق مجاورة بيت الله الحرام سنين وشهوراً.

وقيل: يُرزَق ولداً يموت قبل بلوغه. وقيل: ينال قُرْبَة من الله تعالى بعمل صالح، أو زواجاً مباركاً.

٥٢ ـ **سورة العاديات**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإن كان مُسافراً قُطِعَت عليه الطريق، وإن لم يكن مسافراً فإنه يحبّ متاع الدّنيا.

وقيل: رِباط الخيل والغنم.

٥٣ ـ **سورة العصر**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يُرزَق وَلَداً ذَكَراً، ويكون عبداً صالحاً.

وقيل: الكتابة والخضوع. وقيل: يتعلّم القرآن ويفسّره. وقيل: يناله تهديد من إنسان.

٥٤ ـ سورة العنكبوت: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِّبَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: تكون له بشارة أن الله تعالى يبتليه بوحدة زائدة.

وقيل: يكون في أمان الله تعالى وحِرزه إلى أن يموت. وقيل: يحصل له من ستر الله تعالى، ونجاة من الأعداء، ويُعطَى من الأجْر المؤمنين والمؤمنات.

٥٥ ـ سورة الغاشية: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق والكسائي رضي الله عنهما: إن كان مُضَيَّقاً عليه في معيشته وسَّع الله عليه، وقيل: يُرزَق العلم والزّهد.

وقيل: ينفق على قوم ويعطيهم وهم غير شاكرين. وقيل: يرتفع قدره وينتشر ذِكره وعلمه.

٥٦ ـ سورة الفاتحة: مَن قرأها في منامه، فتح الله عليه أسباب الخير. وقال نافع، وابن كثير، وجعفر الصادق، وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم: مَن رأى أنه يقرأ سورة الفاتحة، أو شيئاً منها، فإنه يدعو بدعاء يُستَجاب له. كذلك قال الكسائي وزاد فيه: وينال فائدة يُسَرّ بها. وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: إن تالِيها في النوم يتزوج سبع نِسوة متفرّقات، ويكون مُستَجاب الدعوة. والدليل على ذلك فِعْل رسول الله ﷺ، فإنه كان يقرؤها قبل الدعاء وبعده. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَن تلاها في نومه كان محفوظاً في دِينه إلا أن يكون عليلًا فقد قَرُبَ أجله.

وقيل: مَن قرأ الفاتحة في مَنامه أو شيئاً منها أو تُلِيَت عليه غلق الله عنه أبواب الشّرّ، وفتح له أبواب الخير. وقيل: قراءة الفاتحة في المنام حجّ.

٥٧ ـ سورة الفتح: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يصل الإخوان والأقرباء.

وقيل: يُرزَق الجهاد في سبيل الله تعالى. وقيل: يُجمَع له بين حظّ الدنيا والآخرة. وقيل: يكون له دعاء مُستَجاب، وخروج من ضيق إلى سعة، وظَفَر مما يطلب. وقيل: تُفتَح له أبواب الخيرات، ويكون كمَن بايع النبي ﷺ.

٥٨ ـ سورة الفجر: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: لم يخرج من السُّنَّة حتى يموت.

وقيل: يُرزَق البهاء والهيبة. وقيل: يكون مُحِبًّا لليتامى والمساكين. وقيل: يدعو بدعاء لنفسه وللمؤمنين ينفعه الله تعالى به.

٥٩ ـ سورة الفرقان: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: كان ممّن يحبّ الحق، ويكره الباطل.

وقيل: كان فارِقاً بين الحق والباطل، ويُدخِله الله تعالى الجنة بلا حساب.

٦٠ ـ سورة الفلق: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يدلّ على حُسْن الحال والظَّفر بأعدائه.

وقيل: يرفع الله ذِكره، ويُرزَق اسم الله الأعظم ويُستَجاب دعاؤه، ولا يمسّه إنس ولا جانّ، ويأمَن شرّ العَوامّ والحُسّاد. وقيل: تكثر الدنيا عليه بحيث يُحسَد عليها.

٦١ ـ سورة الفيل: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يُنصَر على أهله وأعدائه.

وقيل: إن كان ملكاً يهزم الجيوش والعسكر، وينال فتحاً. وقيل: إنه يحجّ. وقيل: تكون فتنة يهلك فيها أعداء الله. وقيل: يُعافيه الله تعالى مدة حياته من القَذف والخوف.

٦٢ ـ **سورة القارعة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يدلّ على البشارة والإنذار.

٦٣ ـ **سورةُ القدرِ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه يكون له أعمال خير وحُسْن حال، ويُرزَق الثّواب الكثير.

وقيل: يحصل له نُصرة، وقبول عمل بأضعاف ما يظن. وقيل: إنه يعيش طويلًا حتى يبلغ أرزل العمر، ويعلو أمره وقدره، وكان له من الأجْر كمَن أحيا ليلة القدر.

٦٤ ـ **سورة القصص**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ابتُلِيَ من الله بشيء من الأرض في البرية. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يكون ذلك في مدينة. وقال بعض العلماء: يُعطيه الله تعالى حُكماً وخيراً من قراءة التوراة والإنجيل، ويُرزَق كنوز قارون حلالًا.

وقيل: يُصيب علماً وفَهماً.

٦٥ ـ **سورة القمر**: مَن قرأها في المنام أو شيئًا منها أو قُرِئَت عليه، فإنه يسجن ويسلم من السجن، ويدفع الله تعالى عنه شرّ أهل الشرّ، ويأتي يوم القيامة ووجهه كالبدر.

وقيل: يرجع عن شك ويصلُح بعد فساد دِينه. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يُخاف عليه من الغرق.

وقال ابن المسيّب: ويخاف عليه من عصيانه. وقال ابن فُضالة: لا يخرج من الدنيا إلا بمنحة.

٦٦ ـ **سورة القيامة**: مَن قرأها في منامه أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون كريم النفس مُحِبًّا لإطعام الطعام.

وقيل: يجتنب الأيمان البارّة والفاجِرة، فلا يحلف صادقاً ولا كاذباً، وكذلك قال الكسائي.

وقيل: إنّه رجل يظلمه الناس، ويجورون عليه، ويُرجَى له الظَّفر.

٦٧ ـ **سورة الكافرين**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإن ذلك دليل على البِدَع.

وقيل: يُعادي الكُفَّار والمنافقين، ويُجاهدهم. وقيل: إنه يحضر مع قوم مبتدعين، وقيل: يحصل له إيمان خالص، ودين صالح.

٦٨ ـ **سورة الكهف**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون طويل العمر حَسَن الحال، ويُرزَق حظًّا عظيماً في حياته. وقال بعضهم: يعيش حتى يسأم الحياة، ويكون حافظاً لخِصال الدين كلها، ويكون كثير المال من جميع الأجناس، وينال الأماني.

وقيل: يدركه خوف من عدوّ مُكابِر، وأمِنَ بعد ذلك، ونجاة من أعداء وشرّ.

٦٩ ـ **سورة الكوثر**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يجلس مجلس الآخرة، ويظفر بالأعداء.

وقيل: يُكثِر الأُضحية. وقيل: يناله أجْر وثواب عند الله بمصيبة. وقيل: يُصيب غِنًى. وقيل: يكثر خبره في الدارين.

٧٠ ـ **سورة اللَّيل**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون قليل الرزق، ويُرزَق الشهادة، وقيام الليل وطاعة الله تعالى. وقيل: إنه يتعسّر رزقه.

٧١ ـ **سورة المائدة**: مَن قرأها في منامه أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون كريم النفس مُحِبًّا لإطعام الطعام.

وقيل: بل يُرزَق اليقين والتعبّد، والخشوع مع سلطان على أهل بلده. وقيل: عَلَا شأنه وقَوِيَ يقينه وحَسُنَ ورعه. وقيل: إن الله يستجيب دعاءه، وينال حظًّا، ويُعطَى من الأجْر بعدد كل يهودي ونصراني، ويبلى بقوم جُفاة. وقيل: ينال بركة ورزقاً.

٧٢ ـ **سورة المجادلة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: فإنه يجري عليه أذِيَّة من قوم أراذل. وقال ابن فُضالة: إلّا أن يكون عالِماً فلا يضرّه شيء.

وقيل: إنه يجادل أهل الأديان الباطلة، ويكون محجاجاً. وقيل: ينجو ممّن يطلبه من دعاء مُستَجاب له.

٧٣ ـ **سورة المؤمنين**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، رأى خلقاً عجيباً يعجب النّاس منه.

وقيل: يُرزَق الحجّ. وقيل: يكون مع المؤمنين في الدرجات العُلا. وقيل: ينال نوراً وفَلاحاً وإيماناً خالصاً صادقاً. وقيل: يقوى إيمانه، ويُختَم له بالإيمان. وقيل: يرزقه عِفَّة وينجو من البلاء. وقيل:

يرزقه الله تعالى البرهان في الدنيا، ويُحْشَر مع المؤمنين، وتبشّره الملائكة بالرَّوْح والرَّيحان وما تقرّ عينه به عند نزول مَلَك الموت.

٧٤ ـ **سورة المدّثّر**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يكون صوَّاماً بالنهار طول الدهر.

وقيل: حَسُنَت سريرته، وكان صبوراً. وقيل: إنه يتكدّر عَيشَه، ويتعسّر رزقه. وقيل: إنه يأمر بالمعروف وينهَى عن المنكر.

٧٥ ـ **سورة المُرسَلات**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: يكون غيوراً على عِياله سخِيًّا.

وقيل: يُرزَق السعة والرحمة. وقيل: إنه يأمَن من خوف.

٧٦ ـ **سورة المزّمّل**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، فإنه يكون ذا صلاح، وقيام بالليل وصلاة فيه.

وقيل: يكون قارىء قرآن، ويدفع الله عنه عُسْر الدنيا والآخرة. وقيل: يصيب ضيقاً وخوفاً، ويزول خوفه، وإن كان مواظباً على صلاة الليل وقد غفل عنها، فليرجع إليها.

٧٧ ـ **سورة المطفِّفين**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يدلّ على الفجور في الإيمان، وأخذ أموال المسلمين بالنجس والباطل.

وقيل: يُرزَق العدل والوَقار، ووفاء الكَيْل والميزان. وقيل: إنه يطفِّف في المِكيال والميزان، فليتُب من ذلك.

٧٨ ـ **سورة المعارج**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يكون أول عمره على خنا، وفي آخره على تقوى.

وقيل: يُقَرِّب إليه البعيد، ويكون كثير الصَّوم. وقيل: إنه يدعو على نفسه بالشرّ، وعلى أهل بيته فليرجع عن ذلك. وقيل: يكون ذلك آمناً منصوراً.

٧٩ ـ **سورة المُلْك**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، فإنه يعيش في خدمة ملك يناله منه فائدة. وقال نافع وابن كثير: يملك منه شيئاً كثيراً.

وقيل: إنه يكون مُوجداً متفكِّراً في خلق الله عزّ وجلّ. وقيل: ينال نجاة من عذاب الله تعالى عند قَبْض روحه، وبُشرى وبركة وخيراً.

٨٠ ـ **سورة الممتحنة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يكون له في آخر عمره توبة حسنة.

وقيل: يُمتَحَن ويُؤجَر. وقيل: ينجو من كل شرّ. وقيل: إنه يخلص ويلزم الطاعة.

٨١ ـ **سورة المنافقين**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: فإن زوجته تُبلَى بالضرائر.

وقيل: يظهر منه النفاق والشك. وقيل: يدركه غادر ومُخادِع. وقيل: يُخالط قوماً وهو بريء من اعتقادهم.

٨٢ ـ **سورة النازعات**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يكون له حظ في التجارة، والفائدة في الصناعة، وينزع الله تعالى من قلبه الشك والخيانة.

وقيل: إنه يؤخِّر الصلاة عن وقتها. وقيل: إن موته قريب.

٨٣ ـ **سورة النّاس**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، فإنه يدلّ على انسجام أمر له، ثم يظفر بأعدائه.

وقيل: يدفع عنه سِحْر السَّحَرَة وكيد الشيطان والوسوسة. وقيل: يُبتَلَى بالوسواس. وقيل: تلاوتها تدلّ على اجتماع الأهل. وقيل: تسلم النَّاس منه وهو مأمون الغائلة (الشرّ). ومَن قصد بسطِ التأويل فليعتبر السورة، وليحكم بما فيها من الآيات المناسبة للأحكام لذوي الأحكام، ويعطي كل إنسان ما يناسبه فما جُرِّبَ من القرآن لجلب نفع أو دفع مكروه، فرؤيته في المنام على شرطه دليل على حادث يحتاج فيه إليه خيراً كان أو شرًّا، أو النظر إلى السورة وما عرفت به كالمائدة بشارة، والتوبة رجوع إلى الله تعالى، ومريم زوجة أو ولد، والطّلاق طلاق أو موت، وكذلك النازعات وعبس نكد فهذا وما أشبهه إذا سُمِّيت السورة للرائي في المنام أو أُهدِيَت إليه.

٨٤ ـ **سورة النبأ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فإنه يثنى عليه بمحاسن، ويحببه الله إلى خلقه.

وقيل: يعظم شأنه وينتشر ذِكره الجميل. وقيل: يهتدي في دينه، ويطول عمره. وقيل: إنه يطلب العلم ويكون رسولًا للعلماء.

٨٥ ـ **سورة النَّجم**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنه يُرزَق ولداً يموت في مرضاة الله تعالى، وإن كان غائباً فإنّه يرجع.

٨٦ ـ **سورة النحل**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها أو قُرِئَت عليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان محفوظاً في الرزق،

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: يكون من شيعة رسول الله ﷺ ومُحِبِّيه. وقال بعضهم: ويصير من العلماء، وإن كان مريضاً شُفِيَ.

وقيل: ينال صحة البدن ورزقاً حلالاً. وقيل: يرزقه الله تعالى مَحَبَّة العلماء والصالحين، ولا يحاسبه الله تعالى بما أنْعَمَ عليه في دار الدنيا.

٨٧ ـ **سورة النساء**: مَن قرأها في منامِهِ أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يُبلَى بامرأة لا تُحسِن عِشرَته، وإن كان طالب علم مَهَرَ في علم الفرائض. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: مَن تَلاها في منامه يكون معه في آخر عمره امرأة لا تُحسِن العِشرَة. وقال ابن فضالة: يكون كثير الاحتياج، قوي اللسان. وكذلك قال الكسائي، وعليّ، وحمزة رضي الله عنهم. وقال غيرهم: يقسم المواريث، ويُصاحب حرائر النساء، ويرثهنّ ويرثنَه بعد عمر طويل.

وقيل: يكون ذا همّة في امرأة صالحة يصيبها ويكون صاحب جِوار.

٨٨ ـ **سورة النصر**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، إن كان سلطاناً فتح مدائن ويُنصَر، وإن لم يكن سلطاناً فإنه يموت.

وقيل: يُنصَر على أعدائه، ويكون مع الشهداء مع النبي ﷺ. وقيل: يموت إنسان يحبّه.

٨٩ ـ **سورة النمل**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون سيّد قومه. وقال ابن فضالة: يكون عنده علم.

وقيل: يُرزَق مُلكاً وجاهاً. وقيل: يكون مُستَجاب الدعوة ويُعطَى من الأجْر بعدد مَن صدّق سليمان والنبيين عليهم السلام، ويخرج من قبره وهو ينادي لا إلـه إلا الله.

٩٠ ـ **سورة النور**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: كان ممّن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحبّ في الله، ويبغض في الله.

وقيل: ينوِّر الله قلبه وقبره. وقيل: يمرض. وقيل: يُرزَق تقوى ويقيناً. فإن قرأ عشر آيات منها طلَّق زوجته أو توفي عنها، ومَن قرأ من أولها فإنه يلتمس السُّنَّة، ويُعطَى من الأجْر بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي.

٩١ ـ **سورة الهمزة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، يدلّ على الإنذار فليَتّق الله عزّ وجلّ.

وقيل: يكون سليم الصدر، ويجمع مالاً، ثم ينفقه في البرّ والصلة والخير. وقيل: إنّه يغتاب قرابته. وقيل: إنّه يمشي بالنَّميمة.

٩٢ ـ **سورة آل عمران**: مَن رأى أنه قرأها أو شيئاً أو تُلِيَت عليه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ونافع، وابن كثير: يكون قليل الحظّ بين أهله، ويُرزَق ولداً في كِبَره، ويكون كثير الأسفار.

وقيل: يكون مُختاراً في الناس مُبَرّأ من كل دنس مُجادلًا غير أهل دينه في أديانهم. وقيل: ينال رزقاً وبركة، ويصفو ذِهنه، وتزكو نفسه.

٩٣ ـ **سورة إبراهيم، عليه السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: حدّثني أبي

رضي الله عنه أنه سأل حاجب بن عبد الله عن تالِيها في النوم، فقال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: إنه من المُسَبِّحين الأوَّابين.

وقيل: إنه يكون سبباً لكشف همومه وغمومه، ويُعطى من الأجْر بعدد كل مَن عَبَدَ الصَّنم إلى يوم القيامة، ويُنجيه الله تعالى من كل ما يَحذَر في الدنيا. وقيل: حَسُنَ دينه وأمره عند الله تعالى.

٩٤ ـ سورة الواقعة: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يفتقر في دُنياه، ولا يضلّ عن آخرته.

وقيل: يكون من السابقين إلى الجنة. وقيل: إنه يأمَن ممَّن يخاف وتتّسع عليه دُنياه.

٩٥ ـ سورة تبّت: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه؛ فإنه يُنفق ماله فيما لا يرضى الله، وإن لم يكن له مال فإنه يمشي بين الناس بالنّميمة.

وقيل: يُعادي منافقاً ويطلب عثرته، ثم يُهلكه الله تعالى، ولا يُدفَن حتى يموت جميع أهله. وقيل: يُرزَق التوحيد، وقلّة العِيال. وقيل: يحوي امرأة لا خير فيها. وقيل: يخسر ماله.

٩٦ ـ سورة سبأ: مَن قرأها في المنام، أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، زَهَدَ في الدنيا، وأوى الجبال والأودية.

وقيل: ربما زالت عنه نعمة وترجع إليه إن شاء الله تعالى. وقيل: يكون شجاعاً يحبّ حمل السلاح.

٩٧ ـ سورة صَ: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، كَثُرَ ماله، وحَذَق في صناعته.

وقيل: يحلف يميناً صادقة وينال توبة من ذنب.

٩٨ ـ سورة طٰه: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: فإنه يُعادي السَّحَرَة، ويُبطِل الله تعالى سِحرهم على يديه.

وقيل: تُدركه غفلة في الدّين وسهو، ثم يرجع بعد ذلك ويتنبّه. وقيل: إن كان مُسافراً أو غائباً عن أهله قَدِمَ عليهم، وهلك على يديه بعض الأشرار، وأُعطِيَ ثواب المهاجرين والأنصار، ورزقه الله تعالى النصر على أعدائه وحاسبه حساباً يسيراً، وصافحته الملائكة وصلّت عليه.

٩٩ ـ سورة عبس: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: فإنه يكون منّاناً بما يُعطي غير محمود السِّيرة، وكذلك قال الكسائي.

وقيل: يُكثِر الصدقة والزّكاة. وقيل: إنه فيه تهاوناً للناس واحتقاراً لهم. وقيل: إنه يسافر إلى ناحية المشرق.

١٠٠ ـ سورة غافر: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه؛ كان مؤمناً حقًّا، ويجري على يديه خيراً كثيراً ويُرزَق رِفعَة في الدنيا والآخرة، ويكون له عفو من الله تعالى وغفران.

١٠١ ـ سورة فاطر: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه؛ استغفر له الملائكة المُقَرَّبون، ويكون عند ربّه مرضيًّا.

وقيل: يكون مُستَجاب الدعوة، وإذا كان يوم القيامة دعته الثمانية أبواب ادخل من أيّ باب شئت. وقيل: يحصل له الظَّفر والنصر على الأعداء.

١٠٢ ـ **سورة فُصِّلت**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه؛ فإنه يدعو الناس إلى الهدى، وإلى طريق مستقيم ويَحظَى من الأجْر بعدد حروفها حسنات.

وقيل: تكون له عمل صالح لوجه الله في السّرّ والعَلانية.

١٠٣ ـ **سورة قٓ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو تُلِيَت عليه، رُزِقَ أعمال الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: إنه ينال علماً، وقيل: إنّه يحلف إيماناً. وقيل: يفتح الله تعالى عليه أبواب الخير، ويهوِّن عليه سَكَرات الموت. وقيل: يوسِّع عليه رزقه.

١٠٤ ـ **سورة قريش**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه؛ فإن ذلك دليل على الحج إن كان من أهل الهدى والأمانة، وإلّا أكل رزق الله تعالى بغير شكر.

وقيل: يؤلِّف بين الناس، ويُطعِم المُحتاجين. وقيل: ينال رزقاً بلا تعب. وقيل: يربح كثيراً في سفر أراده.

١٠٥ ـ **سورة لقمان، عليه السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه؛ علّمه الله تعالى الكتاب والحِكمَة، ورزقه اليقين الخالص.

١٠٦ ـ **سورة محمد ﷺ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يكون تحت لِوائه يوم القيامة، ويكون على سُنَّته في الدنيا.

وقيل: يكون له ظفر بالأعداء، وعلوّ في الناس وشرف، وذِكْر.

١٠٧ ـ **سورة مريم، عليها السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، قالت عائشة وجعفر الصادق رضي الله تعالى عنهما: يفرِّج الله عنه.

وقيل: يكون مع الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى فيها في زُمرة محمد ﷺ. وقيل: إنه يُحيي سُنَن الأنبياء عليهم السلام، ويُكْذَب عليه ثم تظهر براءته. وقيل: يرزقه الله تعالى محبَّة الصالحين، وينال مالًا بقوّة. وقيل: يتيه ثم يهتدي.

١٠٨ ـ **سورة نَ**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، نظر إلى أعاجيب الله تعالى.

وقيل: يُرزَق الكتابة والبلاغة. وقيل: يكون رجلًا عالِماً عاقلًا، وتحسُن أخلاقه. وقيل: يُنصَر على عدوّه، وربما كان يعطي شيئاً إلى المساكين فأمسَك.

١٠٩ ـ **سورة نوح، عليه السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: فإنه يُبتَلَى بقوم سالين له. وقيل: يُبطِل الفحشاء والمنكر، ويُظهِر الإنصاف، ويُنصَر على أعدائه. وقيل: يُبطىء عليه رسول يرسله.

١١٠ ـ **سورة هود، عليه السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئت عليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يكون كثير الأعداء. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: ويُؤثِر الغُربَة، ويكون طويل العمر. وقيل: يُرزَق رزقاً من الحَرْث والزرع مع حُسْن اليقين وحُسْن الظن بالله تعالى، ويُعطَى من الأجْر بعدد مَن صدق بنوح عليه السلام، وكذّب به، وكان عند الله تعالى يوم القيامة من الشّفعاء. وقيل: مَن تلاها فإنه يسافر، وينال هدى ودنيا.

١١١ ـ **سورة يَس**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، حشره الله تعالى في زُمرة محمد ﷺ وآله.

وقيل: ينال نعمة من نِعَم الدنيا يحسن بها عند الخلائق. وقيل: إنه من المتطهِّرين، ودينه بلا رياء. وقيل: يُعطَى من الأجْر بعدد مَن قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، لأن يَس قلب القرآن.

١١٢ ـ **سورة يوسف، عليه السلام**: مَن قرأها في منامه أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال نافع وابن كثير: يكون كثير الأعداء من أهله ويُرزَق في الغربة حظًّا ومالًا.

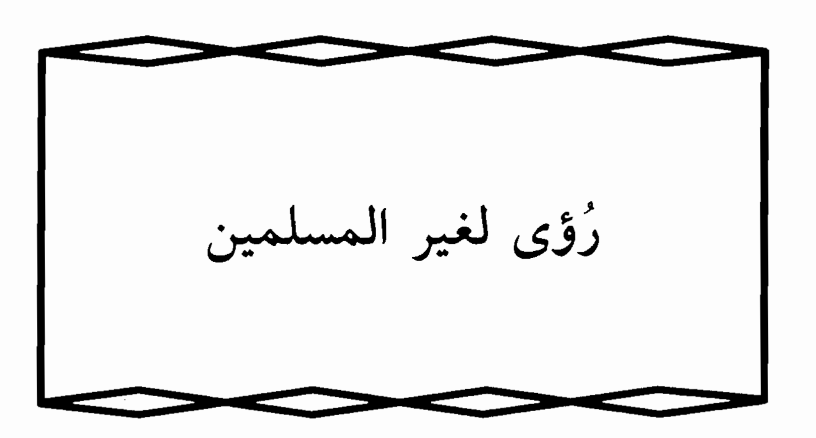
وقيل: يُظلَم كما ظُلِمَ يوسف عليه السلام في خزائنه، ويلقى سفراً، ثم يملك مِصْراً من الأمصار، أو جزءاً من الأرض مع حُسْن اليقين، وظهور الجمال وحُسْن الصورة. وقيل: ينال رِياسة ومالًا، ويهوِّن الله تعالى عليه سَكَرَات الموت. وقيل: ينال بشارة وخيراً وغِنى بعد فقر، وعزًّا بعد ذلّ، وفَرَجاً بعد ضيق.

١١٣ ـ **سورة يونس، عليه السلام**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: فإنه يُصاب بشيء من ماله. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: يكون مُحِبًّا للانفراد، ويكون متعلِّلًا بالنساء. وقال بعضهم: ويُرزَق العلم وحُسْن اليقين، ويردّ الله تعالى عنه كيد الكائدين، وسِحْر السَّحَرَة. وإن تلاها مريض شفاه الله تعالى. وقيل: مَن قرأها يزهد في الدنيا.

١١٤ ـ **سورة البَرِيَّة**: مَن قرأها في المنام أو شيئاً منها، أو قُرِئَت عليه، فإنه يدلّ على الإنذار والبشارة.

وقيل: يُسلِم على يديه نفر كثير من المشركين. وقيل: يحصل له صلاح ضمير بعد فساد، ويتيقّن أمره بعد شك يكون فيه.

وبهذا نكون قد أثبتنا آراء علماء التأويل وتعبير الرؤيا لمَن قرأ سورة أو جزء منها أو قُرِئَت عليه من سُوَر القرآن.



كانت غزوة بدر هي مفتاح النصر والرِّفعَة للإسلام ولرسوله الكريم ﷺ، ولمّا هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة وإلى المدينة مع رسول الله ﷺ استولى المكيُّون على أموالهم، وكان ذلك ظُلماً عظيماً للمسلمين، ووجد الرسول ﷺ أن قوافل قريش التي تحمل المال من الشام إلى مكة هي في الحقيقة تحمل أموال المسلمين التي اغتُصِبَت.

أ ـ رؤيا عاتكة في بدر

وكان أبو سفيان على رأس إحدى هذه القوافل العائدة من الشام، فعَلِمَ بذلك رسول الله ﷺ والمسلمين، فقال عليه السلام: «**هذه عِيرُ قريش تحمل أموالكم، فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنفِلُكُمُوها**». وأرسل رسول الله ﷺ من رجاله مَن ينظر مجيء قافلة المشركين بقيادة أبو سفيان بن حرب، ولكن أبو سفيان عَلِمَ بذلك وتفادى المسير في طريق المسلمين، وأخذ طريقاً آخر وأرسل رجلًا استأجره يُقال له ضمضم بن عمرو الغفاري ليُبَلِّغ قريش لتخرج لحمايته خوفاً من وقوعه وقافلته في

أيدي المسلمين، وفيما كان ضمضم بن عمرو الغفاري في الطريق إلى مكة ليُعلِن لقريش ذلك قبل وصوله كانت رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ التي أشارت إلى وقوع غزوة بدر، وقد جاء في السِّيرة عن محمد بن إسحٰق قال: حدّثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كُلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سُقْتُ من حديث بدر، قالوا:

لمّا سمع رسول الله ﷺ، بأبي سفيان مُقبِلًا من الشام نَدَبَ المسلمين إليهم وقال: «**هذه عِيرُ قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنفِلْكُمُوها**»، فانتدب الناس فخفَّ بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ، يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ويسأل مَن لَقِيَ من الركبان تخوّفاً على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعِيرِكَ، فحذِرَ عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عَرَضَ لها في أصحبه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

قال ابن إسحٰق: فأخبرني مَن لا أتّهم عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قُدوم ضمضم مكة بثلاث ليالٍ رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطّلب فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرًّا ومصيبة فاكتم عنّي ما أُحدِّثك به، فقال لها: وما رأيت؟

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها، ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث ثم مَثَلَ به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة.

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس فلَقِيَ الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إيّاها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدّثت به قريش.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطّلب متى حدّثت فيكم هذه النبيّة؟

قال: قلت: وما ذاك؟

قال أبو جهل: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، قال: فقلت: وما رأت؟

قال أبو جهل: يا بني عبد المطّلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نسائكم وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: «انفروا في

ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث»، فإن يكُ حقًّا ما تقول فسيكون وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلا أني جحدتُ ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرّقنا فلما أمسيت لم تبقَ امرأة من بني عبد المطّلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غِيَرٌ لشيء مما سمعت، قال: قلت: قد والله فعلتُ ما كان مني إليه من كبير وأيم الله لأتعرَّضَنَّ له فإن عاد لأكفيكنَّه.

قال العباس: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغضَب أرى أني قد فاتني منه أمر أُحبّ أن أُدركه منه، قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إني لأمشي نحو أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به وكان رجلًا خفيقاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ، قال: فقلت في نفسي: ما له لعنه الله، أكلّ هذا فَرَقٌ مني أن أُشاتمه؟ قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره وحوّل رَحْله وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَضَ لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر[1].

(١) رواه محمد بن إسحٰق في «السيرة» والحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل والطبراني في الكبير.

وفي رواية: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا فأصاب قريشاً ما أصابها يوم بدر من قتل أشرافهم وأسْر خِيارهم.

فقالت عاتكة بنت عبد المطّلب فيما رأت وما قالت قريش في ذلك:

ألم تكن الرؤيا بحق وجاءكم بتصديقها فلٌّ من القوم هارب
فقلتم ولم أكذب كذبت وأنتما يكذّبنا بالصدق وهو كاذب

وصدقت رؤيا عاتكة، وكانت غزوة بدر ثلاثمائة مقاتل مسلم، وقفوا في وجه ألف من الكفّار، وكانت المعركة بمثابة إنذار شديد لقريش وكل قبائل العرب بأن محمداً ﷺ لم يتحدّث عن دَنِيَّة أو رسالته السامية من فراغ أو من حديث المَرويّات القديمة وقصص الأوّلين، بل هو رسول الله ﷺ جاء بالحق ليُظهِره على الدين كله ولو كرهت قريش بل ولو كره كل كفّار الأرض. وكان قول أصحابه الدائم لكل مَن طرقوا أبوابهم: إما الإسلام بسماحته وإما الجزية وهم الصاغرون، ومَن خرج عن هذا فقتاله أمر من الله عزّ وجلّ مُدعم بالنصر المؤزّر.

ب ـ رؤيا جهيم بن الصلت في بدر

نحن في هذه الرؤيا أيضاً التي رآها جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطّلب بن عبد مناف نتحدّث عن مقتل زعماء قريش في أول معركة حقيقية بين النبي ﷺ والكفّار الذين أخرجوه وأصحابه من ديارهم. ولنذكر الرؤيا أولًا ثم لنرى تعبيرها في الواقع كما جاء في أحداث بدر الكبرى.

١ ـ الرؤيـا

ذكر ابن إسحٰق أن قريشاً لمّا نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطّلب بن عبد مناف رؤيا فقال:

إني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأُميّة بن خَلَف وفلان وفلان فعدّد رجالًا ممّن قتل يوم بدر من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لبه بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْح من دمه، قال:

فبلغت أبا جهل فقال: «وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني عبد المطّلب سيعلم غداً مَن المقتول إن نحن التقينا»(١).

وفي رواية(٢): أن قريشاً ساروا حتى نزلوا الجحفة، نزلوها عِشاءً يتروّون من الماء وفيهم رجل من بني عبد المطّلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت بن مخرمة فوضع جهيم رأسه فأغفى، ثم فزع فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارس الذي وقف عليَّ آنفاً؟

فقالوا: لا، فإنك مجنون.

فقال: قد وقف عليَّ فارس آنفاً، فقال: قتل أبو جهل وشيبة وزمعة وأبو البختري وأُميّة بن خَلَف فعدَّ أشرافاً من كفّار قريش.

---

(١) رواه ابن إسحٰق في السيرة.

(٢) رواها البيهقي في الدلائل.

فقال له أصحابه: إنما لعب بك الشيطان، ورُفِعَ حديث جهيم إلى أبي جهل فقال: «قد جئتمونا بكذب بني المطّلب مع كذب بني هاشم سترون غداً مَن يُقتَل»[١].

وتحقَّقت رؤيا جهيم بن الصلت، تُرى كيف تحقّقت، وهل مات كلّ مَن رآهم في المنام؟! هذا ما سنراه في تتبّع بعض أحداث بدر.

التأويل والتعبير لرؤيا جهيم

١ ـ ساعة الصفر أول وقود المعركة:

كان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومي ـ وكان رجلًا شرساً سيىء الخلق ـ خرج قائلًا: أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم، أو لأهدمَنَّه، أو لأموتنّ دونه ـ فلما خرج إليه حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه، التقيا فضربه حمزة، فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رِجله دماً نحو أصحابه، ثم حَبَا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرّ يمينه، ولكن حمزة ثنّى عليه بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض.

٢ ـ المبارزة:

وكان هذا أول قتل أشعلَ نار المعركة، فقد خرج بعده ثلاثة من خِيرة فرسان قريش كانوا من عائلة واحدة وهم: عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، فلما انفصلوا من الصف طلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار، عوف ومعوذ ابنا الحارث، ـ وأُمهما عفراء ـ وعبد الله بن رواحة، فقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار.

---

(١) رواها البيهقي في الدلائل.

قالوا: أكفّاء كِرام، ما لنا بكم حاجة، وإنما نريد بني عمّنا، ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا عليّ**».

فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: مَن أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا: أكفّاء كِرام، فبارز عبيدة بن الحارث ـ وكان أسنّ القوم ـ عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز عليّ الوليد، فأما حمزة وعليّ فلم يُمهِلا قرينهما أن قتلاهما، وأما عبيدة فاختلف بينه وبين قرنه ضربتان، فأثخنَ كل واحد منهما صاحبه، ثم كرّ عليّ وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة، وقد قُطِعَت رِجله، فلم يزل صمتاً حتى مات بالصفراء بعد أربعة أيام أو خمسة أيام من وقعة بدر، حينما كان المسلمون في طريقهم إلى المدينة.

٣ ـ الهجوم العامّ:

وكانت نهاية هذه المبارزة بداية سيئة بالنسبة للمشركين فقدوا ثلاثة من خِيرة فرسانهم وقادتهم دفعة واحدة، فاستشاطوا غضباً، وكرّوا على المسلمين كَرَّة رجل واحد. وأما المسلمون فبعد أن استنصروا ربّهم، واستغاثوه، وأخلصوا له، وتضرّعوا إليه، تلقّوا هجمات المشركين المتوالية، وهم مُرابطون في مواقعهم، واقفون موقف الدّفاع، وقد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة، وهم يقولون: أُحُد أُحُد.

٤ ـ الرسول ﷺ يُناشد ربّه:

وأما رسول الله ﷺ، فكان منذ رجوعه بعد تعديل الصفوف يُناشد ربّه ما وعده من النصر ويقول: «**اللَّهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهمَّ أنشدك عهدك ووعدك**». حتى إذا حَمِيَ الوطيس، واستدارت رُحى الحرب

بشدّة، واحتدم القتال، وبلغت المعركة قمّتها قال: «**اللَّهمَّ إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبَد، اللَّهمَّ إن شئت لم تُعبَد بعد اليوم أبداً**». وبالغ في الابتهال حتى سقط رِداؤه على مَنكِبيه، فردّه عليه الصدّيق، وقال: حسبك يا رسول الله، ألحَحْتَ على ربّك.

وأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: الآية ١٢]. وأوحى إلى رسوله ﷺ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٩]، أي إنهم رِدْفٌ لكم، أو يردف بعضهم بعضاً أرسالًا، لا يأتون دفعة واحدة.

٥ ـ نزول الملائكة:

وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، ثم رفع رأسه فقال: «**أبشِر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع**» ـ أي الغبار ـ.

وفي رواية محمد بن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: «**أبشِر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع**».

ثم خرج رسول الله ﷺ من باب العريش، وهو يثب في الدرس، ويقول: «﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: الآية ٤٥]»، ثم أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً وقال: «**شاهت الوجوه، ورمى بها في وجوههم**»، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومِنخَريه وفمه من تلك القبضة. وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ١٧].

٦ ـ الهجوم المضاد:

وحينئذ أصدر إلى جيشه أوامره الأخيرة بالهجمة المضادّة فقال: «**شدوا**»، وحرّضهم على القتال قائلًا: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَل صابراً مُحتَسباً مُقبِلًا غير مُدبِر إلا أدخله الله الجنة**». وقال وهو يحضّهم على القتال: «**قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض**»، (وحينئذ) قال العمير بن الحمام: «بَخٍ بَخٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك: بَخٍ بَخٍ**»؟ قال: «لا، والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل»[١].

وكذلك سأله عوف بن الحارث ـ ابن عفراء ـ فقال: يا رسول الله ما يُضحك الربّ من عبده؟ قال: «**غمسه يده في العدو حاسراً**»، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل وحين أصدر رسول الله ﷺ الأمر بالهجوم المضادّ كانت حِدّة الهجمات، هجمات العدو قد ذهبت، وفَتَرَ حماسه، فكان لهذه الخطة الحكيمة أثر كبير في تعزيز موقف المسلمين، فإنهم حينما تلقّوا أمر الشدّ والهجوم ـ وقد كان نشاطهم الحربي على شبابه ـ قاموا بهجوم كاسح مرير، فجعلوا يقلِّبون الصفوف، ويقطِّعون الأعناق، وزادهم نشاطاً وحِدَّة أن رأوا رسول الله ﷺ يَثِب في الدرع، ويقول في جزم وصراحة: «**سيهزم الجمع ويولّون الدّبر**»، فقاتل المسلمون أشدَّ القتال، ونصرتهم الملائكة. ففي رواية سعد بن عكرمة

(١) رواه مسلم ٢/ ١٣٩، مشكاة المصابيح ٢/ ٣٣١.

قال: كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدري مَن ضربه، وتندر يد الرجل لا يدري مَن ضربها.

وقال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يشتدّ في إثْر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدِم حيزوم، فنظر إلى المُشرِك أمامه، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: **«صدقت ذلك من مَدَد السماء الثالثة»**[١].

وقال أبو داود المازني: إني لأتّبع رجلًا من المشركين لأضربه إذا وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري، وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطّلب أسيراً، فقال ابن العباس: إن هذا والله ما أسَرَني، لقد أسَرَني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: **«اسكت فقد أيّدك الله بمَلَك كريم»**.

وبَدَت علامات الفشل والاضطراب في صفوف المشركين، وجعلت تنهار أمام هجمات المسلمين العنيفة، واقتربت المعركة من نهايتها وقد صدقت رؤيا جهيم بن الصلت، وأخذت جموع المشركين في الفرار والانسحاب المبدد، وركب المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون حتى تمّت عليهم الهزيمة.

صدق رؤيا جهيم في مقتل أبي جهل

أما الطاغية الأكبر عدوّ الإسلام أبي جهل، فإنه لمّا رأى أول أمارات الاضطراب في صفوفه حاول أن يصمد في وجه هذا السَّيل، فجعل يشجّع جيشه، ويقول لهم في شراسة ومكابرة: لا يهزمنّكم

(١) روى مثل ذلك مسلم ٢/ ٩٣ وغيره.

خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهولنَّكم قتل عتبة وشيبة، فإنهم قد عجلوا، فواللّات والعُزّى لا نرجع حتى نقرنهم بالحِبال، ولا ألفَيَنَّ رجلًا منكم قتل منهم رجلًا، ولكن خذوهم أخْذاً، حتى نعرِّفهم بسوء صنيعهم.

ولكن سرعان ما تبدّى له حقيقة هذه الغطرسة، فما لبث إلا قليلًا حتى أخذت الصفوف تتصدّع أمام تيّارات هجوم المسلمين، نعم بقي حوله عِصابة من المشركين، ضربت حوله سِياجاً من السيوف وغابات من الرِّماح، ولكن عاصفة هجوم المسلمين بدَّدت هذا السِّياج وأقلعت هذه الغابات، وحينئذ ظهر هذا الطاغية، ورآه المسلمون يجول على فرسه، وكان الموت ينتظر أن يشرب من دمه بأيدي غُلامين أنصاريين.

مصرَع أبو جهل:

قال عبد الرحمٰن بن عوف في مصرَع أبي جهل:

إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السّنّ، فكأني لم آمَن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عمّ، أرِني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أُخبِرتُ أنه يسبّ رسول الله ﷺ.

قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منّا، فتعجبت لذلك.

قال: وغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تَرَيان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**أيّكما قتله**»؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته،

قال: «**هل مسحتما سيفيكما**»؟ فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: «**كِلاكما قتله**»، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه للرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء[١].

وقال ابن إسحٰق: قال معاذ بن عمرو بن الجموح، سمعت القوم، وأبو جهل في مثل الحرجة ـ والحرجة: الشجر الملتفّ، أو شجرة من الأشجار لا يُوصَل إليها، شبّه رِماح المشركين وسيوفهم التي كانت حول أبي جهل لحفظه بهذه الشجرة، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنّت قدمه ـ أطارتها ـ بنصف ساقه، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا بالنّواة تطيح من تحت مرضخة النّوى حين يضرب بها.

قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلّقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلما قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما ردّتني وضعت عليها قدمي ثم تمطّيت عليها حتى طرحتها[٢] ثم مرّ بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قُتِل.

ولمّا انتهت المعركة قال رسول الله ﷺ: «**مَن ينظر ما صنع أبو جهل**»؟ فتفرّق الناس في طلبه، فوجده عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وبه آخر رمق، فوضع رِجله على عنقه، وأخذ لحيته ليحتزّ رأسه، وقال:

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٤٤٤، ٢/ ٥٦٨، مشكاة المصابيح ٢/ ٣٥٢ . وقد خصّ بالسلب واحد منهما لأن الثاني قتل شهيداً في المعركة.

(٢) عاش معاذ إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

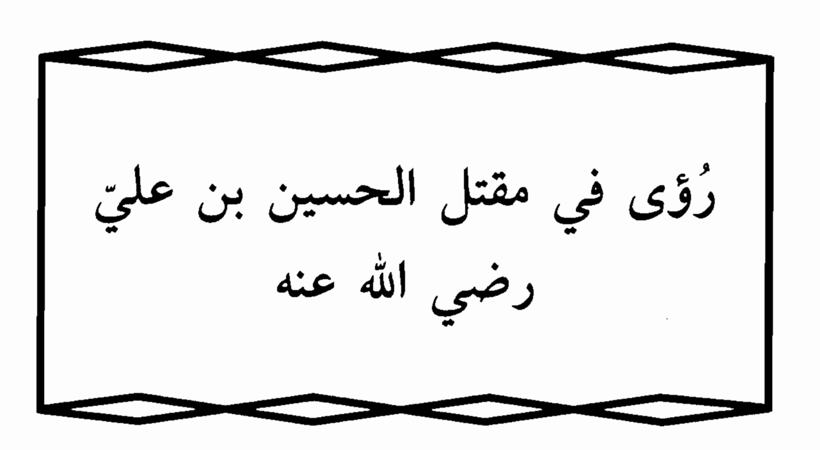
هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: وبما أخزاني؟ أعمد من رجل قتلتموه؟ أو هل فوق رجل قتلتموه؟ وقال: فلو غير أكار قتلني، ثم قال: أخبرني لمَن الدائرة اليوم؟ قال: لله ورسوله، ثم قال لابن مسعود: وكان قد وضع رِجله على عنقه ـ لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رُوَيعي الغنم، وكان ابن مسعود من رُعاة الغنم في مكة.

وبعد أن دار بينهما هذا الكلام احتزّ ابن مسعود رأسه، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل، فقال: «**آلله الذي لا إلـه إلا هو**».

فردّدها ثلاثاً، ثم قال: «**الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق أرِنيه**».

فانطلقنا فأريناه إيّاه، فقال: «**هذا فرعون هذه الأُمة**».

وصدقت رؤيا جهيم في مقتل أشراف قريش.



رُؤى في مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه

قبل مقتله بعشرات السنين رأى النبي ﷺ رؤيا في مقتل الحسين بن عليّ، وكذلك السيدة أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها رأت رؤيا قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وكذلك ابن عباس رضي الله عنه.

١ ـ رؤيا النبي ﷺ

فعن أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن رسول الله ﷺ، اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقَدَ ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم استيقظ وفي يده تربة حمراء يقبِّلها. فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟

قال: «**أخبرني جبريل أن هذا يُقتَل بأرض العراق ـ للحسين ـ فقلت لجبريل: أرِني تربة الأرض التي يُقتَل بها، فهذه تربتها**»[1].

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وفي رواية[١]: أن رسول الله ﷺ، اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خائر النفس وفي يده تربة حمراء يقبِّلها فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله:

فقال: «**أخبرني جبريل عليه السلام أن هذا يُقتَل بأرض العراق ـ للحُسين ـ فقلت لجبريل: أرِني تربة الأرض التي يُقتَل بها فهذه تربتها**».

هذه هي رؤيا رسول الله ﷺ في مقتل الحسين.

٢ ـ رؤيا ابن عباس في قتل الحسين

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: رأيت النبي ﷺ في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه، أو يتتبع فيها شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**دم الحُسَين وأصحابه ولم أزل أتتبعه منذ اليوم**».

قال عمّار أحد رُواة الحديث: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم[٢].

٣ ـ رؤيا أُمّ سلمة في مقتل الحُسَين ابن عليّ رضي الله عنه

فعن رزين ـ وهو الجهني ـ قال: حدّثني سلم ـ وهي البكرية ـ قالت: دخلت على أُم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يُبكيك؟ قالت:

(١) عند الطبراني في «الكبير».

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

رأيت رسول الله ﷺ، ـ تعني في المنام ـ، وعلى رأسه ولحيته تراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «**شهدت قتل الحسين آنفاً**»[١].

وفي رواية قالت: رأيت رسول الله ﷺ، في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب.

وقد انتقم الله ـ تبارك وتعالى ـ من قَتَلَة الحسين ـ رضي الله عنه ـ على يد المختار بن عبيد الله الثقفي الكذّاب فتتبّعهم وقتلهم، وقد رأى الشعبي في ذلك رؤيا رواها الطبراني في الكبير عن الشعبي، قال:

رأيت في النوم كأن رجالاً نزلوا من السماء معهم حِراب يتتبعون قَتَلَة الحسين ـ رضي الله عنه ـ فما لبث أن نزل المختار فقتلهم. قال الهيثمي: إسناده حسن.

هذه هي بعض الرؤى التي أوردتها بعض المصادر ولكن كيف عُبِّرَت الرؤيا؟ ذلك ما ذكرته مصادر التاريخ[٢]: فقد كان معاوية بن أبي سفيان قد عَهِدَ إلى ابنه يزيد بالخلافة، بعد أن استشار في ذلك وفود الأمصار فبايعه الناس، ولم يتخلّف عن البيعة إلا نفر قليل من أهل المدينة، وهم الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر.

ولمّا توفي معاوية لم يكن ليزيد هَمٌّ إلا مُبايعة هؤلاء الثلاثة، وأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أمير المدينة، يقول له: أما بعد،... فخذ حُسَيناً وعبد الله بن عمر وابن الزبير أخذاً ليس فيه

---

(١) رواه الترمذي والحاكم والبيهقي في الدلائل.

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٥، وكان ذلك في سنة ٦١ هـ في كربلاء.

رخصة، حتى يُبايعوا، والسلام. فلما أتى الوليد نعيُ معاوية قطع وكبُر عليه، وأرسل إلى هؤلاء النفر.

فأما الحسينُ فجاءه، فلما عرض عليه البيعة وأخبره بموت معاوية استرجع وترحّم عليه، وقال: أما البيعة، فإن مثلي لا يُبايع سرًّا، ولا يجتزىء بها مني سِرًّا، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة، ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً، فقال له الوليد وكان يحبّ العافية: انصرف انصرف.

أما ابن الزبير فترك المدينة، وذهب إلى مكة، وقال: إني عائذ بالبيت ولم يكن يصلّي بصلاتهم، ولا يُفيض في الحج بإفاضتهم، وكان يقف هو وأصحابه ناحية، وخرج الحُسين من بعده، وأخذ معه بَنِيه وإخوته وبني أخيه، إلا محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب الأخ غير الشقيق للحُسَين فإنه أبى الخروج معه، ونصحه فلم يقبل نُصحه.

ونصح الحُسَين بن علي عدد كبير من أصحابه وأهل بيته بعدم الخروج إلى الكوفة التي أرسل أهلها له يستدعوه ويبايعوه، وممّن نصح الحُسَين رضي الله عنه عبيد الله بن مطيع، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وعمر بن عبد الرحمٰن بن الحارث المخزومي الذي دخل عليه وقال له: أتيتك يا ابن عمّ، أُريد ذكرها لك نصيحة، ثم قال له: بلغني أنك تريد المسير إلى العراق وإني مُشفِق عليك من مسيرك، إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأُمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، إنما الناس عبيد لهذا الدّرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك مَن وعدك بنصره، ومَن أنت أحبُّ إليه ممّن يقاتلك معه. فشكر له الحسين رضي الله عنه نُصحه.

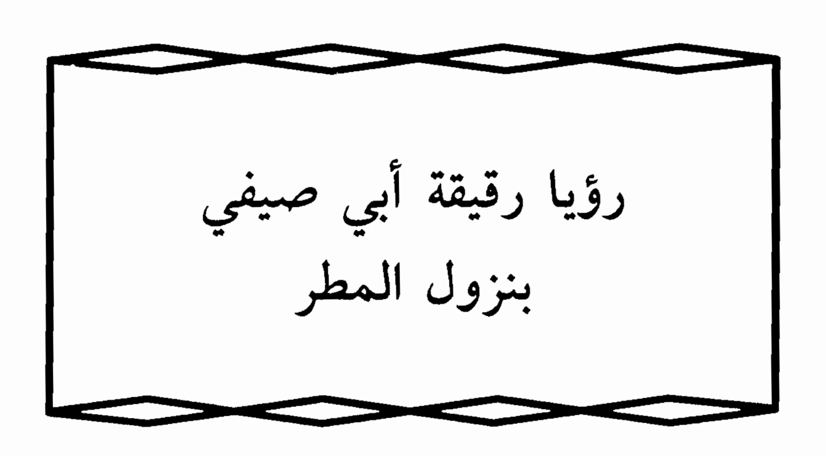
ثم جاءه ابن عباس، فقال: يا ابن عمّ، قد أرجف الناس أنَّك سائر إلى العراق، فبيِّن لي ما أنتَ صانِع.

قال الحُسَين ـ رضي الله عنه ـ: قد أجمعت المسير إن شاء الله.

فقال ابن عباس: إني أُعيذك بالله من ذلك، أخبرني ـ رحمك الله ـ أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فَسِر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجيء بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمَن عليك يغزوك ويكذِّبوك ويُخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ عليك.

فقال له الحسين: إني أستخير الله، وأنظر ما يكون.

وأرسل الحسين إليهم مسلم بن عقيل فقتل هناك، فلما خرج إلى هناك انفضّ عنه أنصاره وقاتله عبيد الله بن زياد قائد يزيد، فقتله هو وعدد من أهل بيته في موقعة كربلاء سنة ٦١ هـ، وصدقت رؤيا رسول الله ﷺ ورؤيا ابن عباس رضي الله عنهما، ورؤيا أُم المؤمنين أُم سلمة رضي الله عنه.



رؤيا رقيقة أبي صيفي بنزول المطر

روى هذه القصة، قصة رؤيا رقيقة عن الأمر بالاستسقاء مخرمة بن نوفل رضي الله عنه عن أُمه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم وكانت لدَّةَ[1] عبد المطلب ـ قالت رقيقة:

تتابعت على قريش سنون جدبة أقحلت[2] الجلد وأرَّقت[3] العظم.

قالت: فبينا أنا راقدة اللَّهمَّ أو مُتَهوَّمة[4] إذا أنا بهاتف صيِّت يصرخ بصوت صحل يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي مبعوث منكم وهذا إبّان مخرجه فحيَّ هلا بالخير والخصيب، ألا فانظروا منكم رجلًا طِوالًا عُظاماً أبيض بضًّا أشمَّ[5] العرنين، له مِنخَر يكظم عليه وسنة تُهدى

---

(١) لدَةَ: من سِنِّهِ.

(٢) أيبست.

(٣) جعلته ضعيفاً.

(٤) مُهَوَّمة: من حالات النوم.

(٥) مرتفع.

إليه، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل، ألا فليشفوا من الماء وليمسّوا من الطيب وليستلموا الركن وليطوفوا بالبيت سبعاً ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستق الرجل وليؤمن القوم، ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته، ألا فغثتم[١] إذا ما شئتم وعشتم.

قالت: فأصبحت عَلِمَ الله مفؤودة مذعورة قد قَفَّ جلدي وَوَلِه عقلي فاقتصصت رؤياي فنمت في شِعاب مكة.

فوالحرمة والحرم إن بقي بها أبطحي إلا قال هذا شيبة الحمد[٢]، هذا شيبة، وتتامَّت عنده قريش. وانفضّ إليه من كل بطن رجل فشنّوا وتطيّبوا واستلموا وكانوا قد ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يرقون حوله[٣] ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قَرَّ لذروته فاستكنّوا جنابيه ومعهم رسول الله ﷺ، وهو يومئذ غلام قد أيفع وكَرَبَ، فقام عبد المطلب فقال: اللّهمَّ ساد الخِلَّة وكاشف الكربة أنت عالِم غير معلّم ومسؤول غير منجلٍ، وهذا عبداؤك وإماؤك بعذرات هرمك يشكون إليك سَنتهم التي قد أقحلت الظلف والخفّ، فاسمعن اللّهمَّ وأمطرن غيثاً مريعاً مغدقاً، فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظَّ الوادي بثجيجه. فلسمعتُ شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب:

هنيئاً لك أبا البطحاء هنيئاً، أي بك عاش أهل البطحاء، وفي ذلك تقول رقيقة:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوَّذ المطر

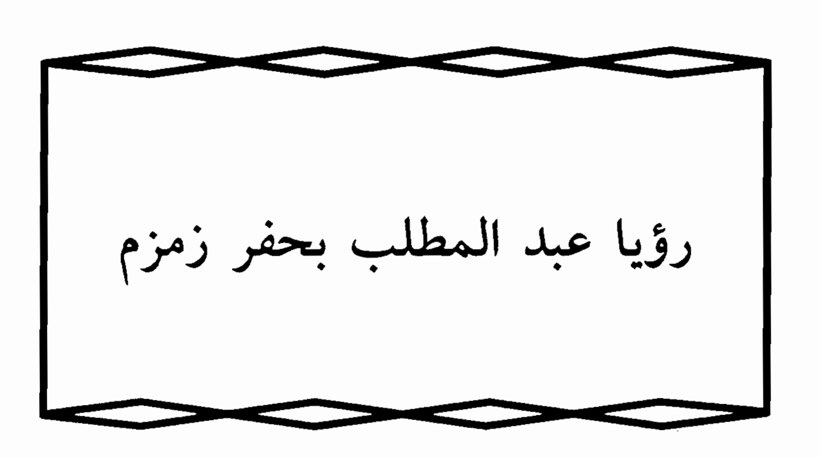
(١) جاء المطر.

(٢) شيبة الحمد: لقب لعبد المطّلب.

(٣) يرقون حوله: يسيرون سيراً ليّناً.

فجاد الماء جوفي له سَبَلٌ — دانٍ فعاشت به الأمصار والشجر
سيلٌ من الله بالميمون طائره — وخير ما بشّرت يوماً به مضر[1]

(١) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في «الدلائل»، وابن الأثير في «أسد الغابة» وسنده حسن.



رؤيا عبد المطلب بحفر زمزم

أمر عبد المطّلب بن هاشم جدّ النبي ﷺ بحفر بئر زمزم بعدما جفّت ورُدِمَت واندرَسَ موضعها وعَفِيَ أثرها.

وقصة رؤيا عبد المطلب في حفر زمزم والتي رُوِيَت عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الذي كان يحدِّث حديث زمزم حين أُمِرَ عبد المطلب بحفرها في المنام.

قال: قال عبد المطّلب: إني لقائم في الحجرة إذ أتاني آتٍ فقال: أُحفر طيبة.

قال: قال عبد المطلب: قلت: وما طيبة؟

قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برَّة[1].

---

(١) سُمِّيت بئر زمزم برّة لكثرة منافعها وسعة مائها. انظر الكامل لابن الأثير.

قال: فقلت: وما برَّة؟

قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: اُحفر المضنونة فنمت فجاءني فقال: احفر زمزم.
قال: قلت: وما زمزم؟

قلت: لا تنزف أبدًا ولا تذم، تسقي الحجيح الأعظم، وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

فلمّا تبيّن له شأنها ودلّ على موضعها وعرف أنه قد صُدِقَ غَدَا بمِعْوَله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطّلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطّلب الطيّ كبّر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطّلب إنها بئر أبينا إسماعيل وإنّ لنا فيها حقًّا فأشرِكنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خُصِّصتُ به دونكم وأُعطيته من بينكم.

فقالوا له: فأنصفنا فإنّا غير تارِكِيكَ حتى نخاصمك فيها.

قال: فاجعلوا بيني وبينكم مَن شئتم أُحاكمكم إليه.

قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم؟

قال: نعم.

قال: وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر.

قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني وانتهى ونصب ماء عبد المطّلب وأصحابه فظمئوا ظمئاً شديداً حتى أيقنوا على الهلاك وأوشكوا على

الموت، فطلبوا الماء ممّن معهم من قبائل قريش ولكنهم أبوا عليهم ورفضوا أن يعطوهم شربة ماء، والعطش يوشك أن يقضي عليهم.

وقال رجال قريش: إنّا بمفازَة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطّلب ما صنع القوم فقد بخلوا بالماء والعطش يوشك أن يهلكه ويهلك أصحابه جميعاً، فلما تخوّف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟

قال أصحابه: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمُرنا بما شئت.

قال عبد المطلب: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حُفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حُفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلًا واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً.

قالوا: نِعْمَ ما أمرتَ به.

فقام كل واحد منهم فحفر حُفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجزٌ فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا.

عند ذلك استعدّ رجال عبد المطّلب للرحيل حتى إذا فرغوا ومَن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون. عندئذ تقدم عبد المطّلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفّها عين ماء عذب فكبَّر عبد المطّلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلمَّ

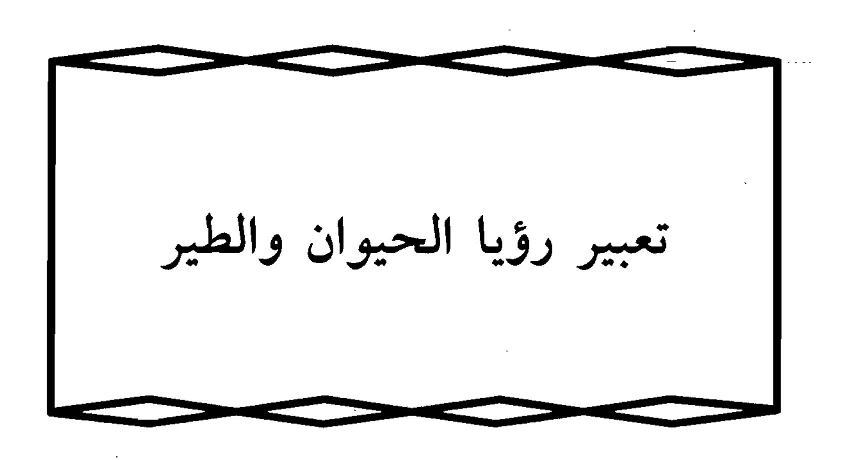
إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤوا فشربوا واستقوا ثم قالوا:

ـ «قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبد المطّلب والله لا نُخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة (الصحراء) لَهُوَ الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلّوا بينه وبينهم»[1].

وفي رواية أخرى للبيهقي قال: فحفر عبد المطّلب زمزم حتى أُنبط الماء فخرقها في القرار ثم تبحَّرها حتى لا تنزف ثم بنى عليها حوضاً فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاجّ فيكسره أُناس حَسَدَة من قريش بالليل فيُصلِحه عبد المطّلب حتى يصبح، فلما أكثروا فساده دعا عبد المطّلب ربَّه فأُرِيَ في المنام فقيل له: قل: اللَّهمَّ إني لا أُحِلّها لمغتسل ولكن هي لشارب حلّ وبلّ، فقام عبد المطّلب حين اختلفن فنادى بالذي أُرِيَ ثم أصرف فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش إلا رُمِيَ بجسده بداء حتى تركوا حوضه وسقايته.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، دلائل النبوّة للبيهقي.



تعبير رؤيا الحيوان والطير

يرى الإنسان في منامه حيوانات مختلفة يعجز عن تعبير رؤيتها وهاكم تعبير رؤيا الحيوانات:

١ ـ **الأرنب**: في المنام امرأة، ومَن أخذها تزوّجها، فإن ذبحها فهي زوجة غير باقية.

وقيل: الأرنب يدلّ على رجل جبان. وقيل: الأرنب امرأة سوء، فمَن رأى أنّه أصاب أرنباً فإنه يصيب امرأة، ومَن رأى أنه أصاب من لحمها أو جلدها فإنه خير قليل يصيبه من امرأة، ومَن رأى أنه أصاب من ولدها فإنه يصيبه هَمٌّ أو مصيبة أو نَصَب.

٢ ـ **الأسد**: في المنام سلطان شديد عالِم غاشم مُجاهِر متسلّط لجراءته، وربما دلَّ على الموت، لأنه يقتنص الأرواح، وربما دلَّت رؤيته على عافية المريض، واللّبوة امرأة شرِّيرة عسوفة[1] عزيزة الولد.

---

(١) عسوفه: ظالمه، تميل إلى الحق.

والهزبر[١] تدلّ رؤيته على الجهل والخيلاء والعجب والعَنَت والتِّيه والدّلال.

وقيل: الأسد في المنام عدوٌّ متسلِّط، ومَن رأى الأسد من حيث لا يراه وهرب منه الرائي فإنه ينجو مما يخاف، وينال الحكمة والعلم. ومَن رأى الأسد قَرُبَ منه واستقبله ناله هَمٌّ من سلطان ثم ينجو منه. ومَن رأى الأسد صَرَعَه ولم يقتله فإنه يحمّ حمّى دائمة، فإن السبع لا تفارقه الحمّى أو يسجن، لأن الحمّى سجن الله. ومَن رأى أنه يصارع الأسد مرض، لأن المرض يُتلِف اللحم. ومَن صارَع الأسد تلف لحمه. ومَن رأى أنّه أخذ شيئاً من لحم الأسد أو عظمه أو شعره نالَ مالًا من سلطان أو عدوّ متسلِّط. ومَن ركب السَّبع وهو يخافه ركب مصيبة أو أمر لا يمكنه التقدّم عنه ولا التأخّر، وإن كان لا يخافه فهو عدو يقهره. ومَن رأى الأسد نابَه منه شيء فإنه يناله من عدوّ مسلّط بقدر ذلك. ومَن رأى أنه قاتل أسداً، فإنه يقاتل عدوًّا مسلَّطاً. ومَن رأى أنّه ينكح لبوة فإنه ينجو من شدائد كثيرة، ويظفر بعدوّه، ويعلو أمره، ويكون ذا صِيت في الناس. ومَن رأى أنّه يأكل لحم أسد فإنه يصيب مالًا وغِنًى من سلطان، أو يظفر بعدوّه. ومَن رأى أنه أكل رأس الأسد فإنه يصيب سلطاناً عظيماً ومالًا كثيراً. ومَن رأى أنه يأكل شيئًا من أعضاء الأسد فإنه يصيب مال عدوّ مسلّط بقدر ذلك العضو من الأعضاء. ومَن رأى أنه أصاب من جلد أسد أو شعره أو شيء منه فإنه يصيب مال عدوّ مسلّط، وربما كان ميراثاً، والأسد يدلّ على المحارب، وعلى اللصّ المختلس، والعامل الجائر، وصاحب الشرط والطالب.

(١) الهزبر: الأسد القوي.

وأما دخول الأسد المدينة فإنه طاعون أو شدّة أو سلطان جبّار أو عدوّ يدخل عليهم، إلَّا أن يدخل في الجامع ويعلو على المِنبَر فإنه سلطان يجور على الناس، وينالهم منه بلاء ومَخافة، وجرو الأسد ولد.

وقيل: مَن رأى كأنه قتل أسداً نَجَا من الأحزان كلها، ومَن تحوّل أسداً صار ظالماً على قدر حاله. وقيل: اللبوة ابنه ملك.

٣ ـ **الأُضحية**: في المنام دليل على الوفاء بالنّذر، والخلاص من الشدائد، وسلامة المريض. وربما دلَّ ذلك على الأرزاق والفوائد من قِبَل المواشي وإن كان عابراً أخطأ في عبارته واعتبر ما يتقرّب به الإنسان إلى الله تعالى من الأضحية، فإن قرّب في المنام بدنة ربما أتى إلى الجمعة في أول ساعة وإن قرَّب بقرة ربما أتى إلى الجمعة في ثاني ساعة، وإن قرَّب كَبْشاً ربما أتى إلى الجمعة ثالث ساعة، وإن قرَّب في المنام دجاجة ربما أتى إلى الجمعة في رابع ساعة، وإن قرَّب في المنام بيضة ربما أتى الجمعة في خامس ساعة.

وربما دلّت الأضحية على التحكّم في قسمة المال.

وأما الأضحية فبشارة بالفَرَج من جميع الهموم، وظهور البركة، فإن كان صاحب الرؤيا امرأة حاملًا، فإنها تَلِدُ ابناً صالحاً. ومَن رأى أنه ضحّى ببَدْنَة أو بقرة أو كبش فإنه يعتق رِقاباً. ومَن رأى أنه ضحَّى وهو عبد عُتِقَ، فإن كان صاحب الرؤيا أسير تخلّص، وإن رآه مديوناً قضى دَينَه أو فقيراً أيسر، أو خائفاً أمِنَ. أو مَن لم يحجّ حَجَّ، أو مُحارباً نُصِرَ، أو فُرِجَ عنه. ومَن رأى كأنه يُقَسِّم في الناس لحم قربانه خرج من همومه ونال عِزًّا وشرفاً.

ومَن رأى كأنه سرق شيئاً من القربان فإنه يكذب على الله. وقال بعض المُعَبِّرين: إن المريض إذا رأى أنّ يضحّي، دلَّت رؤيته على موته. وقال بعضهم: إنه ينال الشّفاء.

٤ ـ **الإبل**: وهو التّيس الجبلي تدلّ رؤيته في المنام على التاج والوقار والهيبة وقمع الأعداء والسُّفَّل، وربما دلّت على رجل غريب في بعض المفاوز، والجبال والمفاوز له رياسة ومطعَمَة حلال. ومَن رأى كأن رأسه تحوَّل رأس أيّل نال رئاسة وولاية(١).

٥ ـ **ببّغاء**: في المنام رجل نخّاس كذّاب ظَلوم، وهو من الممسوخ.

وقيل: هو رجل فيلسوف، وفرخه ولد فيلسوف، والببّغاء دالّة على المرأة الجميلة ذات الحركة والفصاحة، أو الولد كذلك، وربما دلّت على المرأة من العَجَم. وتدلّ على الرجل الكثير التّيه والصَّلَف.

٦ ـ **بعوض**: هو في المنام يسفك الدماء ويشوّه البَدَن، وربما دلَّ على الناموس والحرمة، وشدّة البأس لِمَن دخل عليه من أرباب الصدور، فإن الناموس من أسمائه.

٧ ـ **بغاث الطير**: وهو الحقير من الطير الذي لا يُصاد ورؤيته في المنام تدلّ على قوم لا خَلاقَ لهم ولا نفع فيهم، ورؤية الواجب أي الساقط من الطير عند أربابه تدلّ على اللهو واللعب، والمنازل العالية، والأفراح والمسرّات والنّصرة على الأعداء لِمَن ملكها أو شيئاً منها، ورؤية أرباب السلطنة من الطير في المنام شرٌّ ونَكَد ومغارم.

---

(١) تعطير الأنام ص ٢٠.

ورؤيا ما يستأنس به الإنسان دليل على الأزواج والأولاد، ورؤية ما لا يأنس بالآدمي دليل على مُعاشرة الأضداد والأعاجم، ورؤية الكاسر دليل الوحوش والهوامّ، ورؤية الجارح المعلَّم عزّ وسلطان، وقوائد وأرزاق.

ورؤية ما يظهر في الليل ويسكن في النهار تدلّ على الاختفاء والحماية، ورؤية ما هو شرٌّ بلا خير تدلّ رؤيته على الأعداء وما هو خير بلا شرّ تدلّ رؤيته على الأمْن من الخوف، والرزق الحلال، والكساوي.

ورؤية ما يظهر في النهار ويسكن في الليل تدلّ على المعاش من الأعمال المختلفة والتجسّس على الأخبار.

ورؤية ما ليس له قيمة في اليقظة إذا صارت له قيمة في المنام يدلّ ذلك على الرِّبا، وأكل المال بالباطل وبالعكس رؤية ما لا يطير إذا كان في المنام تدلّ على نقض العهد والفجور وبالعكس.

ورؤية ما يظهر من وقت دون وقت إن ظهر في غير أوانه كان دليلًا على صُنْع الأشياء في غير محلها أو مُغايَرَة الأعداء والأخبار الغريبة، وعلى الخوض فيما لا يعني الإنسان. ورؤية المُقيم في الماء فأهل كسب منه، أو أهل وَرَع وطهارة، وهذا قول كلّي في الطيور يُقاس عليه ما لم يُذكَر.

٨ ـ **بَغل**: هو في المنام سَفَر، وهو رجل أحمق ولد زِنا، لأن أباه من غير جنسه، فمَن رأى أنه ركب بغلًا أغرّ محجلًا وتوجّه إلى نحو القِبلة حجّ، وإن توجّه إلى ناحية أخرى، فإنه سفر مع شرف، وركوب البغل يدلّ على طول العمر والتزويج بامرأة عاقر لا تَلِد، والبغلة سرجها وآلاتها امرأة حسنة أديبة، وإلا كان السفر تِيه منفعة، وإن ركب بغلة

ليست له فإنه يخوّف رجلًا في امرأته، وإن ركبها مقلوباً فإنها امرأة حرام، وإن كان منسوباً إلى سفر فهو قطع وهم. والبغل امرأة عاقر. ومَن رأى بِغالًا أو حُمْراً صعبة فإنها تدلّ على مَكْر يكون للإنسان ممّن دونه، وعلى مرض. ومَن رأى أنه ركب بغلًا خاصم إنساناً. ومَن رأى أنه مَلَكَ بِغالًا فإنه يمتلك عبيداً أو مالًا. ومَن رأى أنه شرب لبن بغلة أصابه هَوْل أو عُسْر بقدر ما شرب من اللبن على حسب القلّة والكثرة. والبغل في المنام غلام أو ولد كثير الكَدَر والسّعي، صبور، كثير البَطَر، عديم النّسل، وكذلك البغلة وركوبها عِزٌّ ومَنصِب، وركوب البغلة ذُلٌّ وحبس للملوك والأمراء، وهو لذي الأسفار سفر كثير النفع، ورؤية بغلة النبي ﷺ تجديد عهد لوُلاة الأُمور مع الرزق والبركة، وفي ذلك نَيْل رِفعة وعزّ مع تواضع وقُرْب من الناس بحيث ينفعون به.

٩ ـ **ابن عرس**: في المنام رجل سفيه ظالم قاسٍ قليل الرحمة، فمَن رأى أنّه دخل داره دخلها مكّار، وهو من الممسوخ أيضاً، وهو: دابّة حمراء دون السنّور تألَف البيوت مُعادِية للفأر.

١٠ ـ **ابن آوى**: في المنام رجل يمنع الحقوق أربابها، وتدلّ رؤيته على المتسبّب في الشرّ والخِصام، وتدلّ رؤيته على الأُلفَة والاجتماع على اللهو واللعب.

١١ ـ **بلبل**: يدلّ في المنام على رجل مُوسِر، أو امرأة مُوسرة. وقيل: البلبل يدلّ على ولد قارىء لكتاب الله تعالى، وغلام صغير، ومَن رأى بلبلًا فهو دليل على ولد من جارية غير مؤتلف.

١٢ ـ **ثُعبان**: يدلّ في المنام لمَن رآه على رجل الوادي، وربما دلَّ على العداوة من الأهل والأزواج والأولاد، وربما كان جاراً حسوداً

شرّيداً، وثُعبان الماء عَوْن للظالم، أو إعلان للحاكم، ومَن رأى أنه مَلَكَ ثُعباناً، فإنه يصيب سلطاناً عظيماً.

١٣ ـ **ثعلب**: هو في المنام عدوّ كذّاب مُخالف مُراوغ في معاملته، ومَن قاتله أو مسَّه أصابه فزع من الجنّ، فإن أكل لحمه أو طلبه ليقاتله أصابه وَجَع من الرياح ويبرَأ. وقالوا: إنه عدوّ من قِبَل السلطان، فمَن رأى أنّه أخذ ثعلباً فإنه يصير إليه غريم أو خصم له، فإن ذبحه صالحه على دين، فإن لاعب ثعلباً فإنه يصيب امرأة يحبّها وتحبّه، ويقرّ الله تعالى عينه بها.

والثعلب يُفسَّر بالمنجّمين والأطباء، وأهل التدبير والخبث، ومَن رأى كأنه قتل ثعلباً فإنه ينال امرأة عزيزة شريفة، ومَن رأى ثعلباً فإنه يرى رجلًا شريفاً، أو امرأة شريفة عزيزة، أو يتملّق له رجل فيه خداع.

والثعلب يدلّ على عدوّ مجهول غير معروف شديد مكّار، ويعمل عمله في غير حينه، ويدلّ على النساء الخادعات أيضاً. ومَن رأى كأنه يُراوغ ثعلباً فإنه رجل كذوب شاعر، وكذلك مَن رأى أنه يُجازي الثعلب أحسن الجزاء، ومَن رأى ما بين المشرق والمغرب قد امتلأ من الثعالب يكثر السِّحر والحِيَل في ذلك الزمان.

وقيل: مَن رأى ثعلباً أصابه في نفسه هوان، وفي ماله نقصان، ومَن رأى لحمه في المنام وهو مريض، أسرع برؤه، ورؤية الثعلب تدلّ على الفائدة والكسوة والزوجة، والزواج للأعزب.

١٤ ـ **ثور**: هو في المنام رئيس قوم، وقيِّم بيت، أو بلد أو قرية، والثور الواحد ولاية سنة واحدة، وللسلطان والتاجر والصّانع تجارة حسنة. ومَن رأى أن له ثِيراناً كثيرة، فإنه يَلِي ولاية وإن كان لذلك أهلًا

يكون تحت يده زعماء يصرفهم في ولايته، بقدر ما رأى من طاعتها، فإنه رأى أنه ركب منها ثوراً يُساق إليه خير وخصب. ومَن رأى أنه أكل رأس الثور نال ولاية وسلطاناً، ما لم يكن الثور الأحمر، وإن كان تاجراً يصيب تجارة، وشركاء يكونون تحت يده، وإن كان سوقيًا فهم أُجَراؤه، والثور العامل، والثور عدوّ من جنس العمّال، فإن ذُبِحَ ثوراً لطعام فإن لحمه رزق حلال.

ومَن رأى أنّه اشترى ثوراً فإنه يُداري الأصدقاء، وأشراف الناس بكلام ليِّن حَسَن.

وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى: إن الثيران عجم، وما زاد على أربعة عشر من البقر فهو حرب، فما كان دون ذلك فهو خصومة.

والثور رجل كبير له قدر ومنعة ولحمه مال من قبله، وشحمه رزق في سنته، فمَن رأى أن ثوراً تحوّل ذئباً، فإن عاملًا يصير ظلوماً، فإن رأى ثوراً أبيض نال خيراً. فإن نطحه بقرنه دلَّ على سخط الله تعالى، ومَن أكل لحم ثور في منامه استغنى، ومَن ركبه نال رِفعَة، فإن ركبه الثور في المنام أو رمحَهُ مات في سنته، ومَن عضه لحقته عِلّة، ومَن نطحه رزقه الله تعالى أولاداً صالحين، ومَن خارَ عليه الثور فإنه سيسافر سفراً بعيداً، والثور يدلّ على شدّة شديدة، وعلى تهدد وطرد ممّن هو أعلى مرتبة من ذلك الإنسان إذا كان صاحب الرؤيا فقيراً، أو عبداً، وأما فيمن كان يسير في البحر، فإنه يدلّ على شدّة تعرض له في سيره، وذلك بسبب شِراع السفينة بسبب جلد الثور وقرونه، ومَن رأى قطيع البقر أصابه أمر شدّة، وإن ركب الثور علا شأنه، وصار مذكوراً، فإنه كلّمه الثور أو كلّم الثور وقع بينه وبين رجل نفار، وقرون الثور للعمّال سنون.

ومَن رأى كأن ثوراً عظيماً خرج من حجر صغير، ثم إن الثور أراد أن يعود في ذلك الحجر فضاق عليه، فإنها للكلمة العظيمة تخرج من فم الرجل يريد أن يردّها فلا يستطيع. ومَن رأى كأنه راكب ثوراً أسود، أو كان الثور يعضه ويتهدده، ويريد به المكروه، فإنه يسير في البحر، وتُصيبه شدّة ويشتدّ بسفينته الأمر حتى تكاد تغرق ثم تنجو من ذلك.

ومَن رأى أنّه ركب ثوراً فإنه يصيب عملًا من سلطان ينال فيه خيراً. ومَن رأى أنه ركب ثوراً، فإنه ينال مالًا، فإن رأى أنه أدخله إلى منزله، واستوثق منه نال خيراً في تلك السنة، وإن كان للثور قرون كثيرة فإنها سنون بحسب القلّة والكثرة، والثور الذي لا قرن له رجل حقير ذليل فقير مثل النعجة، وفي القدر مَثَلٌ للعامل المعزول، والرئيس الفقير، ومَن ذبحه ليأكل لحمه أو ليأكل شحمه، أو ليدبغ جلده فإن كان سلطانًا أعانَ على غيره، وأمر بنهب ماله، وإن كان تاجراً فتح مخزنه للمبيع أو جملة الفائدة، فإن كان سميناً ربح في ماله، وإن كان هزيلًا خسر فيه، ومَن ركب ثوراً أحمر أو أصفر بلا آلة الركوب فإنه يمرض وربما دلَّ الثور على الشاب الجميل، لأنه من أسمائه، وتدلّ رؤيته على ثوران الفتنة، أو العَوْن على تذليل الأُمور الصِّعاب خصوصاً لأرباب الحرث والزراعة، وربما دلّت رؤيته على البَلادة والذهول، والثور الأبلق فرح وسرور، والأسود سُؤْدد (سيادة) وشفاء للمريض.

١٥ ـ **جاموس**: هو في المنام رئيس مُبتدع قوي مَهيب شجاع جَلِد لا يخاف أحداً يحتمل أذى الناس فوق طاقته، والجاموس رجل مُهابٌ كثير الاحتيال والتسمّع للكلام، كثير الأسفار في البرّ والبحر، صاحب طلب حثيث، وتسلّط على الأعداء، وبما دلَّ على الكدّ والسّعي،

والضّيق مع ما فيه من الخير والبِرّ والنفع، وربما دلّت رؤيته على الإساءة، فإن استُعمِل في حرث، أو دوران دلّ على الفاقَة والاحتياج. ومَن رأى أنّه مَلَكَ جماعة من الجواميس، فإنه يَلِي رِجالًا كِباراً ضِخاماً. ومَن رأى أنه ركب جاموساً، أو زاوله، أو دخل منزله، أو فعل به فِعلًا فهو بمنزلة الثور في ذلك كله. وإناث الجواميس بمنزلة البقر في أحواله كلها.

١٦ ـ **جَذي**: هو في المنام ولد. فمَن رأى جَذياً مذبوحاً، فهو موت ولده، فإن كان ذبحه ليأكله، فإنه يصيب مالًا وولد، أو يصيب مالًا قليلًا، وإن ذبحه لغير اللحم، فإنه يموت له ولد، أو لبعض أهله. ومَن رأى أنه ذبح جَذياً، أو خروفاً أو يركب أحدهما، فإنه يُبعَث بالصبيان. ومَن رأى كأنه يأكل لحم جَذي أصاب مالًا قليلًا من صبي.

١٧ ـ **جَراد**: هو في المنام عذاب، وجند الله تعالى، لأنه من آيات موسى عليه السلام. ومَن رأى أن الجراد وقع في موضع، أو طار في السماء، وكان منه أذى، فإنه جُنْد سود ينزلون هناك أو مطر. والديانة جند سيئة أخلاقهم قبيحة سِيرتهم شرٌّ من الجراد. قيل: الجراد إن جرد الأرض، فإن رأى أنّه وقع منه شيء فهو عذاب الله تعالى.

وإذا رآه في موضع يُؤكَل ويُؤخَذ منه شيء فإنه رزق يُرزَقه صاحبه، ومَن رأى أنه أخذ الجراد فجعله في جرده، فإن يصيب داراً فيسوقها إلى امرأة. والجراد عسكر دعامته غوغاء يموج بعضهم في بعض. وربما دلّت على الأمطار إذا كانت تسقط على السقوف أو في الدّور، فإن كَثُرَت جدًّا أو كانت على خِلاف الجراد، وكانت بين النّاس،

أو بين الأرض والسماء فإنها عذاب إلا أن يكون النّاس يجمعونها ويأكلونها، وليست لها غائلة ولا ضرر فإنها أرزاق تُساق إليهم، ومعاش يكثُر فيهم، وقد يكون من ناحية الهواء كالعصفور، والقطا، والمنّ، والكماة، والقطن ونحوه.

وقيل: إن اجتماعها ربما يدلّ على الدراهم والدنانير. وقيل: الجراد يدلّ على مُكابسة العدوّ، والزّحف على الحصون، ونهب الأموال بالجيش العظيم، وربّما دلَّ الجرادِ على الرزق الحلال.

١٨ ـ **الجمل**: هو في المنام حزن فمَن رأى أنَّه ركب جملًا بختيًّا وهو له مُطيع فإنه تُقضى له حاجة من رجل أعجمي، فإن كان عربيًّا، فإنه يُرزَق الحجّ، فإن نزل عنه من الطريق فإنه يمرض ويعسُر عليه ذلك السفر ثم يبرَأ ويتيسّر عليه أمره، فإن رأى جملًا يصول عليه أصابه حزن أو مرض أو خصومة مع رجل سفيه، فإن رأى أنه استصعب عليه ناله غمٌّ من عدوّ قوي بقدر ذلك. فإن أخذ بخطامه وقاده في طريق فإنه يرشده رجلًا من الضلالة إلى الصّلاح فإن قادَهُ في غير طريقه، فإنه يقوده إلى فساد ودلَّ قَوده الجمل بخِطامه أنّه يملك أمر رجل يُطيعه في كل أُموره.

والجمل البختي رجل أعجمي، والجمل العربي رجل أعرابي، والجمل المتعلّم عدوّ غني. فإن أكل رأس جمل اغتاب رجلًا عظيماً. وقيل: مَن رأى أنّه رَكِبَ بعيراً، فإنه يسافِرُ سفراً، وربما يمرض مرضاً، وكذلك إن رآه مضطجعاً فإن أخذ من أوبارها نالَ مالًا باقياً وادّخره، وإن رآه في حائطه أو بستانه فإنه ينال خيراً وبركة وفرحة، فإن رأى كأنّ جملًا يُجاريه ويكسر عضواً من أعضائه فإنه يصيبه نكبة من أعدائه

ويحاربونه حتى ينهزم من بين أيديهم مقهوراً. ومَن سقط من ظهر بعير أصابه فقر، فإن رمحه مرض مرضاً شديداً، فإن رأى قِطاراً من الإبل دلَّ على مطر في الشتاء. ومَن رأى بعراناً كثيراً دخلت بلدته ووقع فيها طاعون. ومَن قتل بعيراً في داره مات في تلك الدار رجل سريعاً. ومَن رأى قلوصاً[١] نُحِرَت في داره كانت ضيافته تلك الدار لكِرام الناس. ومَن رأى أنّه صار جملًا، فإنه يحمل أثقالًا من تَبِعات النّاس، والجِمال البخت تدلّ على سفر بلا عناء وأكل لحم الجمل يدلّ على المرض. وقيل: لا بأس به. ومَن مَلَكَ في المنام إبِلًا ربما نال عُقبى حسنة، وسلامة دينه ومُعتَقده. ومَن رأى جِمالًا ربما دلَّ على الأعمال السيئة، ويدلّ الجمل على السَّكَن، وعلى السفينة، لأنه من سفر البرّ، وربما دلّ على الموت، وربما دلّت على الأعاجم والغرباء، وتدلّ رؤيتهم على الهموم والأنكاد والسلب للمال والسَّلب للعِيال، وربما دلّ الجمل على الشيطان، ويدلّ على الرجل الجاهل المُنافق. ومَن ركب بعيراً وكان مريضاً مات، وإن كان صحيحاً سافر إلا أن يركبه في وسط المدينة أو رآه يمشي به فإنه حُزن وهمّ يمنعه من النهوض في الأرض، فإن ركبته امرأة لا زوج لها تزوّجت، فإن كان لها زوج غائب قَدِمَ عليها. ومَن رأى بعيراً دخل في حلقه، أو في سقايته أو آنِية من آنِيته فإنه جنّيٌّ بداخله، أو بداخل مَن دلَّ عليه ذلك الإناء من أهله وخدعه، وإن كان الجمل في وسط المدينة أو بين جماعة من الناس فهو رجل له صَولة يُقتَل أو يموت. وإن كان مذبوحاً فهو مظلوم، وإن سُلِخَ حيًّا ذهب سلطانه أو عُزِلَ عنه، أو أُخِذَ ماله. ومَن رأى جملًا يأكل اللحم، أو

---

(١) القلوص: جمع قلائص، وهي الأُنثى الشابّة، أو الناقة الطويلة القوائم.

يسعى على دُور الناس، فيأكل منها من كل دار أكلًا مجهولًا، فإنه وِباء يكون في الناس.

وإن كان يُطاردهم، فإنه سلطان أو عدوّ أو سَيْل يضرّ بالنّاس، فمَن عقره أو كسر عضواً منه، أو أكله عطب في ذلك على قدر ما ناله. وقيل: ركوب الجمل للعرب حج، فإن أخذ بخُطام البعير وقاده إلى موضع معروف، فإنه يدلّ رجلًا مُفسِداً على الصّلاح، وإن قاده في غير طريق دلّه على الفساد. وقيل: قَوْد البعير بزمامه دليل على انقياد بعض الرؤساء له. ومَن رأى أنه أصاب من جلود الإبل، فإنَّه يصيب أموالًا.

١٩ ـ حِدأة[١]: في المنام ملك خامِل الذِّكر شديد الشوكة متواضع ظَلوم مقتدر، وذلك لشدّة صلاحه وقُربه من الأرض في طيرانه، وقلّة خطئه في صيده، فمَن مَلِكَ حدأة وكان يصيبها فإنه يصيب ملك، أو أموالًا وقليل ما يصيب الإنسان في نومِهِ من الحدأة كثيراً، فإن رأى أنه أصاب حدأة وحشية لا يصيد بها، ولا تطاوعه، ورأى كأنه ممسكه بيده فإنه يصيب ولداً غلاماً، ولا يبلغ مبلغ الرجال حتى يكون ملكاً، فإن رأى أن تلك الحدأة ذهبت منه على تلك الحال، فإن الغلام يُولَد ميتاً، أو لا يلبث قليلًا حتى يموت، وفِراخها أولاد وإناثها نساء من قوم عصبة، والواحدة امرأة تخون، ولا تحتشم ولا تستتر.

٢٠ ـ حمام: هو في المنام رسول أمين، وصديق صدوق، وحبيب أنيس، وربما دلَّ على الزوجات المَصونات ذوات الحِفظ للأسرار، والكدّ على العِيال، وربما دلَّ على الحمام الذي هو الموت يدلّ على

---

(١) الحِدأة: طائر من الجوارح.

المرأة ذات العِيال والأولاد، أو الرجل الكثير النّسْل المنعكف على أهل بيته، وتدلّ رؤية الحمام على النّوح والتّعداد، والحمامة الداجنة امرأة حسنة عربية، وبيضها نبات أو جَوارٍ، وبُرجها مجمع النساء، وفِراخها بنون. ومَن رأى أنه نَثَرَ عَلَف الحمام ودعاهنّ إليه فإنه رجل يقود، وهديل الحمام معاتبة رجل لامرأة.

والأبيض منها دين والأخضر ورع والأسود سادات الرجال. ومَن رأى أنّه أكل من لحمها أكل مال خَدَم، ويكون دلالًا.

والحمائم مع أفراخهنّ سبي مع أولادهنّ، ومَن رأى أنّه اصطاد حمامات، فإنه يصيب مالًا من رجال أشراف. وقيل: مَن رأى حماماً، فإنه لا يسأل من الله شيئاً إلا أعطاه، فإن رأى في دارِهِ حمامة والرائي أعزب فإنه يتزوج امرأة حسناء مُحِبَّة وَدودة، وتكون ربّة الدار موافقة لزوجها، فإن رأى أن حمامة وثبت عليه أو طارت به طيراناً، فإنه ينال سرورًا وفرحاً، وخيراً ونعمة. وقيل: مَن رأى أنّه صار حمامة أكل مال أعدائه، والحمامة تدلّ على الخبر الطارىء والكتاب لأنها تنقل الخبر في الكتاب وهي بُشرى لمَن كان في شدّة أو له غائب إذا سقطت عليه أو أتت طائرة إليه، إلا أن يكون مريضاً فتسقط عليه فإنها حمام الموت، ولا سيما إن كانت من اليمام وناحت عند رأسه في المنام. وربما كانت الحمامة بنتاً، وأفضل الحمام الخُضْر. ومَن رأى في عين حمامة نقصاً فهو نقص في دين زوجته وخُلقها. ومَن رأى أنه يرمي حمامة، فإنه يقذف امرأة، أو يُراسلها بكلام لا خير فيه، ومَن رأى حمامة أو غيرها من الطير فوق رأسه أو كتفه، أو مربوطة إلى عنقه، فإنّه يدلّ على عمله فيما بينه وبين خالقه، فإن كان الطائر أسود قبيح المنظر كان دليل على قُبْح عمله، وفساد دينه، وإن كان أبيض حَسَن المنظر كان دليلًا على

حُسْن عمله وصَلاح دينه، ومَن رأى أنّه أصاب من ريش الحمام أو لحومها، فإنه يصيب دراهم وخيراً كثيراً.

٢١ ـ حيَّة: الحيّة في المنام عدوّ أو دولة أو كنز أو امرأة أو ولد. والثعبان إذا لم يَخَف منه الرجل قوّته ودولته، والحيّة عدوّ ذو مال لأن تأويل السّمّ مال. وإن رأى أنه أدخلها بيته فإنه عدوّه يمكر به. ومَن رأى أنه أخذها فإنه يصير إليه مال من عدوّ في أمن. فإن قتلها ظَفَر بعدوّ فإن سال دم على يده مات عدوّه وورث مال، فإن لدغته فإنه ينال مَعَرَّة عدوّ، فإن أحرقها قتل السلطان أعداءه وظفر بهم، فإن طارت سافر والحيّة الصغيرة في التأويل ولد صغير. ومَن قتل حيَّة فهو موت ولد صغير، فإن رأى الحيّات تقتتل في الأسواق، وقعت حرب وظفر العدو بأهل ذلك الموضع، فإن اصطاد السلطان الحيّات فإنه يُخادع أعداءه وينال منهم، وإن رأى حيّة تخرج من كورة مرة وترجع مرة، فإنه شيطان يحزنه، فإن نازع حيَّة، فإنه يقاتل عدوًا قويًا، وهو منه على خوف ووجَل حتى يتفرّقا، ويكون الظَّفر ثمن غلبّ منهما، فإن لدغته فإنه ينال نائبة ولا ينجو منها.

ومَن رأى أنّه قتل حيَّة على فِراشه ماتت امرأته، ومَن رأى في عنقه حيّة فقطعها ثلاث قطع، فإنه يطلّق امرأته ثلاث تطليقات، فإن قطع حيّة نصفين فإنه ينتصف من عدوّ له، فإن تحوّل حيّة، فإنه يتحوّل من حال إلى حال، ويصير عدوًا للمسلمين.

فإن رأى في بيته حيّات لا يخافها فإنه يرى في بيته أعداء المسلمين وأصحاب الأهواء. والحيّات المائية مال. وإن رأى في جيبه أو كُمِّهِ حيّةً صغيرةً بيضاء لا يخافها، وتخالعه في أموره، فإنها جِدَّة

ومال، فإن أصاب أو مَلَكَ حيّات ملساء تطيعه، ويصرفها حيث شاء ليس لهنَّ سُمٌّ ولا غائلة فإنه يُصيب سبائك فضة أو ذهب أو إكسيراً، فيجعله كنزاً، فإن رأى حيّةً تمشي من خلفه، فإن عدوّه يريد أن يمكُر به، فإن مَشَت بين يديه أو دارت حواليه، فإنهم أعداء يُخالطونه ولا يمكنهم مضرّته. فإن رأى حيّة ولم يُعاينها وهرب منها، فإنه يأمَن عدوّه ويظفر به. وكلّ خائف من شيء ولم يره فإنه أمن له ما يخافه ويحذره، فإن عاينه وخاف منه، فإنه يصيبه خوف من عدوّ لا يقدر على أن يضرّه.

فإن رأى حيّات تدخل في بيته وتخرج من غير مَضَرَّة، فإنهم أعداؤه من أهل بيته وقراباته.

فإن رآها في غير بيته، فإن الأعداء غرباء، وشحم الحيّة ولحمها مال عدوّ حلال، أو ترياق من عدوّ.

فإن رأى حيّة تصعد في علوّ أصاب راحة وفرحاً وسروراً. فإن رأى حيّة تنحدر من علوّ، فإنه يموت رئيس في ذلك المكان. فإن رأى أنّه يكلّم الحيّة ظهر عدوّ من الفراعنة.

فإن رأى أنه يأكل لحم الحيّة، فإنه يصيب سروراً ومنفعة ومرتبة وعزًّا. فإن رأى أن حيّة خرجت من الأرض فهو في عذاب في ذلك الموضع. ومَن رأى الحيّة نالَ سلطاناً، ومَن رأى أن على رأسه حيّة ارتفع شأنه عند الملوك.

ومَن رأى أنّه يتخطّى الحيّات ويمشي بينها دلّت رؤياه على مطر عظيم تسيل منه الأودية. ومَن رأى الحيّة ذات القرون ينال وزارة الملك إن كان أهلًا لذلك، وإن كان تاجراً ينال ربحاً في تجارته، وحيّات البطن

تدلّ على الأقارب والعِيال الذين يأكلون مع الإنسان على مائدته. فمَن رأى من هذه الحيّات شيئاً فإنه يفارق شخصاً كان يُؤاكله، فإنه يشدّه بهيمان.

ومَن رأى أنه يلقي الحيّات من مقعده بيده، فإنه ينال مصيبة من جهة أقاربه وأهل بيته. وحيّات البيوت جيران، وحيّات البادية قُطّاع طريق، والحيّة شرٌّ وحَسَد واحتيال ومكر وخديعة، وتظاهر بالعداوة.

٢٢ ـ **خروف**: الخروف في المنام ولد ذَكَر طائع لوالديه، فمَن وُهِبَ له خَروفاً وله امرأة حامل بُشِّر بولد ذَكَر طائع، وجميع الصغار من الحيوان هموم لمَن ملكها لاحتياجها إلى كلفة في التربية، إلّا البنات من بني آدم، فإنها دنيا، ومَن رأى أنّه ذبح خروفاً مات له ولد أو لبعض أهله.

٢٣ ـ **خفاش**: الخفاش في المنام رجل ناسك. والخفاش يدلّ على بطالة وذهاب الخوف، وهو دليل خير للحبالى، لأنه يَلِد ولادة، ولا يحمد للمسافر برًا وبحراً، ويدلّ على خراب منزل يدلّ إليه. والخفاش أيضاً يدلّ على رجل جائر ذي حرمان.

٢٤ ـ **خيل**: من أسمائها الجِياد واحدها جواد وفرس وحصان ومُهر، ومنها: الأكديش، والبرذون، والحجرة.

فمَن رأى عنده في المنام خيلًا، فإنه يدلّ على اتّساع رزقه، وانتصاره على أعدائه.

فإن رأى أنه راكب فرس، وكان ممّن يليق به ركوب الخيل نال عزًا وجاهاً ومالًا، وربما صادَقَ رجلًا جوّاداً، وربما سافر لأن السفر مشتقٌّ من الفرس.

وإن كان حصاناً تحصّن من عدوِّهِ. وإن كان مُهراً رُزِقَ ولداً جميلًا. وإن كان برذوناً عاش غير مُستَغْنٍ ولا فقير. وإن كان أُنثى من الخيل (حجرة) تزوّج إن كان أعزب زوج سيدة ذات مال ونَسْل. والأصيل شريف بالنسبة إلى غير الأصيل[١].

وربما دلّت الفرس على الدار المَليحة البناء. والأشهب عزٌّ ونصر على الأعداء، لأنه من خيل الملائكة. والأدهَمُ هَمٌّ. والأشقر المحجل علمٌ وورع ودين.

مَن ركب كميتاً ـ وهو خليط اللون بين الأحمر والأسود ـ ربما شرب الخمر، لأنه من أسمائها. ومَن ركب مركوباً لغيره بلغ منزلته أو عمل سنته خصوصاً إذا كان مركوباً مشهوراً، أو يليق به.

والحجرة (الفرس) زوجه فإن نزل عنها وهو لا يُضمِر ركوبها، وخلع لِجامها، وأطلقها طلّق زوجته. وإن أضمر العودة إليها، وإنما نزل لأمر عَنَّ له أو لحاجة.

والحجرة الدهماء امرأة متديّنة مُوسِرة من ذِكْرٍ وصيت. والبلقاء امرأة مشهورة بالجمال والمال. والشقراء ذات فرج ونشاط. والشهباء ذات دين.

ومَن رأى مَن ركبها بغير سَرْج ولا لِجام نكح امرأة بغير عصمة. أو يركب أمرًا لا يثبت له والأشهب من البراذين، والأفراس سلطان. فمَن رأى أنه ركب فرساً أشهب تزوّج امرأة متديّنة طائعة.

---

(١) قاموس الأحلام، تعطير الأنام للنابلسي ص ١٤٢.

والأدهم من الدّواب عزٌّ، والأشقر حرب. ومَن رأى خيلًا مُسرَجة بغير رِكاب، فهنّ نساء يجتمعن لمأتم أو لعرس. وربما كانت محامل على الإبل.

ومَن رأى أنّه مَلَكَ عدداً من الخيل أو رعاها، فإنه يَلِي ولاية على قوم. ومَن رأى الخيل في خطامه، فإنه يصير مقبولًا عند إخوانه.

والفرس في المنام رجل أو ولد فارس، أو تاجر، أو صانع له فراسة في عمله وتجارته. والفرس شريك، فمَن رأى فرساً مات في يده أو داره فهو هلاك. والعرق تعبه في معصيته. والفارس لمَن كانت امرأته حبلى ولد ذكر.

والفرس لمَن رآها من بعيد بشارة وعزّ وخير، ومَن رأى أنه نزل عن الفرس، فإن كان والياً عمل عملًا يندم عليه، فإن نزل وتركه واشتغل بعمل، فهو عزله مع خذلان، والفرس والأُنثى امرأة شريفة.

والجموح رجل مجنون، والحرون متهاون بطر بطيء في الأمور، وبياض ناصية الفرس وذنبه أشراف السلطنة وإن كان مما يُنسَب إلى الولد فهو أشجع ولده، ومَن رأى كأنه ركب فرساً أشهب، فإن لم يكن له امرأة تزوّج، وإن أكل من لحمه وكان الرأي من أصحاب السلطان ظفر بعدوّه، وإن كان تاجراً لحقته منفعة. وقيل: مَن رأى أنّه ركب فرساً، فإنه يغصب مالًا إن كان جنديًا أو رجلًا شريفاً. ومَن رأى أنه ركب أدهم سافر سفراً ينقص ماله فيه، فإن رأى فرساً عضّه فإنه يصير صاحب جيش، وإن رأى أنه قتل فرساً، فإنه ينال نعمة ومالًا وقوة وعزًّا.

ومَن رأى كأن الفرسان يطيرون في الهواء يوشك أن تقع حروب بين الملوك وفتنة، وخصومة في تلك البلدة.

والفرس المائي حيوان هوائي، وليس يمكن أن يكون شيء منه موجوداً في اليقظة أعني الفرس المائي فرؤيته في النوم تدلّ على رجاء كاذب، وعمل لا يتمّ.

وأكل لحم الفرس إصابة اسم حسن صالح في النّاس. ومَن رأى أنّه ركب فرس قوائمها من حديد، فإنه يموت والفرس والحصان سلطان وعزّ. والرمكة[1] جارية أو امرأة حُرّة شريفة، ومَن رأى أنه يعرض خيلًا، فإنه يشغل عن صلاته بطلب الدنيا، وتُرجَى له التوبة.

ومَن رأى أنّه على فرس والفرس عريان دون سرج ولا لِجام، فإنه يرتكب معصية عظيمة. ومَن رأى أنّه نزل عن فرسه، وركب فرساً غيره، فإنه يتحوّل من حال إلى حال، وما بين الحالين كقدر ما بين الفرسين. ومَن رأى أنّه غرق فرسه، أو ذبحه له غيره، أو ذهب السَّيل به، فإنه التباس أمره في معيشته. ومَن رأى أنه على فرس ميت، فإنه يصيبه حُزن وهمّ ويتخلّص منه.

ومَن رأى أن فرساً يكلّمه، فإنه يتعجب في أمره. ومَن رأى أنه اشترى فرساً أو حماراً أو نقد فيه وهو يقلّب الدراهم في يديه، فإنه يصيب خيراً من كلام يتكلم به، لأن الدراهم كلام. ومَن رأى أنه أعطى الثمن، ولم يُعايِن الدراهم ولا قلَّبهم، فإنه يصيب خيراً يؤدّي شكره. ومَن رأى أنه باع فرسه، فإن خروجه من عمله باختياره. ومَن رأى أنّه ذبح فرسه، وليس يريد أكل لحمه، فإنه يفسد على نفسه معيشته من سلطانه.

---

(١) الرمكة: هي الفرس التي تُتَّخذ للنسل.

ومَن رأى أنه رديف رجل معروف على فرس، فإنه يتوصّل بذلك الرجل إلى ما يطلب من أمر دين أو دنيا، أو يكون لذلك الرجل تبعاً، أو شريكاً، أو خلفاً بعده، وإن كان رجلًا مجهولًا فهو عدوّ على كل حال.

ومَن رأى أن دواب وطئته أو مَشَت عليه، فإنه يعزله عن سلطانه أو عمله، أو ينال ذُلٌّ ومكروه، وتلدغه الناس بألسنتهم. ومَن ركب رمكة أو ملكها أو اشتراها وكان أعزب تزوّج امرأة شريفة، فإن كان مُهراً أصاب منها ولداً، وإن كان الرجل متزوّجاً أو ممّن لا ينتظر الزواج، فإنه يصيب قرية أو ضيعة مما يعود عليه نفعه في معيشته. ومَن رأى أن رمكته ماتت أو سُرِقَت أو ضاعت فإن ذلك الحديث يكون بامرأته، أو بعقد معيشته.

ومَن رأى رمكته تنوح، فإنه إدرار معيشته، وزيادة ماله. ومَن رأى أنّه يشرب لبن الرمكة فإن السلطان يقربه من نفسه، وينال منه خيراً. ومَن رأى شعر فرسه كثيراً ازداد ماله وأولاده، وإن كان سلطاناً كَثُرَ جيشه، والفرس الحفي يدلّ على خادم. والدّابّة بلا مقود امرأة زانية، لأنها كيفما أرادت مَشَت. وخيل البريد قرب أجَل لمَن ركبها في المنام، وقد يدلّ ضعف الفرس على ضعف الجاه.

٢٥ ـ دجاجة: هي في المنام امرأة رعناء حمقاء ذات جمال، ومَن اصطادها نالَ مالًا حلالًا وهيّناً، ومَن أكل لحمها فإنه يُرزَق مالًا من سَبي العجم. ومَن رأى الدجاجة أو الطاوسة يهدران في منزله فهو رجل صاحب بلايا وفجور. وقيل: إن الدجاجة وريشها مال نافع، وقد تكون الدجاجة امرأة تربّي الأيتام، وتسعى لهم لأجل الصدقات تنبش الكنسات

وهي ذات نفع، والدجاج نساء ذليلات مَهينات، وربما دلّت الدجاجة على ذات الأولاد، ودخولها على المريض عائبة وكذلك الفروج، وأذان الدجاجة شرٌّ ونكد أو موت.

وربما دلَّ دخول ذلك السليم على إنذار بمرض يحتاج فيه إلى ذلك. وربما دلّ دخولها أو ملكها على زوال الهموم والأنكاد، والأفراح والتظاهر بالرفاهية والنّعم، والفروج ولد أو ملبوس مفرج، أو فرج لمَن هو في شدَّة. ومَن رأى الدجاج في بيته كثيراً لا يُحصي عددها فهي رئاسة وغِنىٰ، ويذهب خوفه وتقبل دولته.

٢٦ ـ ذئب: هو في المنام عدوّ ظلوم لصٌّ صعب كذاب، فمَن رأى في داره ذئباً، فإن اللص يدخل داره، فإن علم أنّه في داره فإنه يرى لصًا. فإن رأى جرو وذئب يربّيه، فإنه يربّي ملقوطاً من نَسْل اللص، ويكون فيه خراب منزله، وذَهاب ماله، وتشتيت أمره على يده، والذئب يدلّ على أيام السنة، لأن الذئاب يتبع بعضها بعضاً على سنن واحد على الاستواء إذا عبرت نهراً، كما أن أزمنة السنة يتبع بعضها بعضاً، ويدلّ أيضاً على عدوّ لص يعمل عمله في غير خُفية.

ومَن رأى ذئباً صار أنيساً كالخروف، فإنه لص يتوب. ومَن رأى أنه صار ذئباً في منامه نال سروراً وفرحاً، ولبن الذئب خوف وذهاب أمر، والذئب سلطان ظلوم غشوم أو لص ضعيف، أو رجل كذوب مُخالف.

فمَن رأى أنه يعالج فإنه يعالج رجلًا كذلك والذئب تدلّ رؤيته على الكذب والعداوة للأهل والمَكر بهم، فإن رأى في المنام كلباً وذئباً اجتمعا واتفقا دلّ على النّفاق والغدر والخديعة بها.

٢٧ ـ زرافة: هي في المنام لا خير فيها إذا دخلت من غير فائدة، تدلّ على الآفة في المال، وربما دلّت على المرأة الجميلة، أو الوقوف على الأخبار الغريبة من الجهة المقبلة منها، وما تأنس من ذلك كان صديقاً أو زوجاً أو ولداً لا تؤمن غائلته، والزرافة تعبَّر بالمرأة التي تثبت مع الزوج، لأنها خالفت المركوبات في ظهرها.

٢٨ ـ الزَرزور: هو في المنام رجل مسلم زاهد ضعيف صابر، طعامه حلال.

والزرزور رجل صاحب أسفار شبه مكاري أو مرافق. فمَن رأى أنه أصاب زرزوراً، فإنه يصيب رجلًا كذلك. وإن رأى أنه أكل من لحمه، أو نتف من ريشه، فإنه يصيب خيراً، وربما دلَّ الزرزور على التَّخليط في الأعمال الصالحة والسيئة، أو الذي ليس بغني ولا فقير، ولا شريف ولا وضيع، وربما دلَّت رؤيته على المهانة والقناعة بأدنى العيش، واللهو واللعب، وربما كان كاتباً.

٢٩ ـ سلحفاة: هي في المنام فإن رآها على مزبلة مُستَخَف بها فإن هناك عالماً ضائعاً بين جهال ذلك الموضع، وقيل هو رجل عابد قارىء لصحف إبراهيم عليه السلام ولكتب سائر الأنبياء عليهم السلام، وأكل لحم السلحفاة مال أو علم من حيث لا يحتسب من علوم الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: مَن أكل لحم السلحفاة يصيب خيراً أو برًا أو منفعة ومالًا. ومَن رأى أنه أصاب سلحفاة أو ملكها أو أدخلها منزله فإنه يفوز بإنسان عالِم بالعلوم القديمة. وإن رأى سلحفاة في طريقه مطروحة، فإن هناك علماً مطروحاً لا يهتم به، وإن رآها مَصُونة في وِعاء أو في ثوب، فإن العالم هناك مرفوع عزيز.

وقيل: السلحفاة تدلّ في المنام على المكر والخديعة، والتجسّس، والاختفاء، والشّرّ، وقنية السلاح.

٣٠ ـ السمك: وفي المنام إذا عرف عدده نساء، وإن لم يعرف وكَثُرَ فهو مال مغنم، ومَن رأى في قعر البحر أو النهر سمكاً طريًا كِباراً مجتمعة، ورأى أنّه يستخرجها كيف شاء، أو يأكلها أو يقسمها فإنه يصيبه غنائم كثيرة من مال بقدر ما استخرج من ذلك السمك، ويصرفه إلى ما صرف إليه في منامه من أكله أو قسمه أو ادّخاره، والحوت وزير الملك، لأن البحر ملك. فإن رأى أنه يصيد سمكاً في الماء، فإنه يسمع كلاماً يفرح به. ومَن رأى أنّه يصطاد سمكاً كباراً، فإن ذلك يدلّ على منفعة وخير. ومَن يصطاد سمكاً صغاراً، دلّ ذلك على ذهاب اللذّة والمنفعة. والسمك الليِّن القشر دليل خير لمَن يريد الخديعة، فيختفي أمره، ويأخذ أموال الناس بمكر. ويدلّ في سائر النّاس على تعقّد أُمورهم وإبطائها، ويدلّ على إبطاء الأعمال ورخاوتها.

والسمك الذي يسمّى بنيًا دليل خير لمَن أراد التزويج ولمَن أراد أن يشارك الآخر. والسمك الذي ليس له قشر، وكلّ ما كان من ذلك الجنس طويلًا يدلّ على أعمال باطلة، وتعب ورَجاء لما لا يتمّ، لأنها تزلق من الأيدي.

والسمك الذي يكون في العيون دليل خير يسير، وإذا رأى الإنسان سمكاً ميتاً في داخل البحر، فإنه دليل رديء وهو خاصّة يدلّ على رجاء لا يتم. ومَن رأى سمكاً حيًا، ورأى أنه يأخذه من الماء أو غيره، فيأكله فإنه دليل منفعة، ومَن رأى سمكة في فراشة، فإنه دليل رديء لمَن يسير في البحر، ولمَن كان مريضاً، فالسائر في البحر شدّة تصيبه، والمريض

يشتدّ وجعه بالرطوبات، ومَن اصطاد السمك من ماء كدر أصابه هَمٌّ شديد.

ومَن رأى أنه يأكل سمكاً حيًا بلغ الملك. ومَن رأى أنه يصطاد سمكاً من ماء صافٍ فإنه يُرزَق رزقاً، وإن وُلِدَ له ولدٌ كان سعيداً والمالح منه إصابة غمّ من ملوك.

فمَن رأى أنّه يأكل السمك المالح أصابه تعب وشدّة. وقيل: السمك إذا بلغ أربعة كان نساء، وإذا كان أكثر من أربعة فهو غنائم وأموال، وإن رأى سمكاً فيه كبار وصغار فلا بأس به، ويدلّ على الرزق، ومَن أخذ من السمك شيئاً نال شيئاً من جند الملك. والسمكة العظيمة أذا أُمسِكَت فإن الباغي والثائر يهلك.

ومَن رأى أنه يشتري سمكاً فهي جارية أو يتزوج امرأة. ومَن رأى حوتاً في حوض أو بركة فاتحاً فاه، فإنه سجن له. ومَن رأى أنه أصاب في بطن سمكة لؤلؤة أو لؤلؤتين أو أكثر، فإنه ينال من امرأة مالاً أو ينال ولداً غلاماً أو ولدين ذَكَرين أو أكثر على قدر اللؤلؤ. فإن أصاب في بطنها خاتماً فإنه دولة لصاحب الرؤيا وعزٌّ يرجع له. ومَن أصاب سمكة ووجد في بطنها شحماً فإنه يصيب امرأة وينال منها مالّا وخيراً. وصيد السمك في البرّ ارتكاب فاحشة، وقيل: إنه خبر سارّ. ومَن صار سمكاً له شوك وقشر فهو فضة محروزة، أو ذهب يجب فيها حق الله تعالى، لأنه لا يحلّ أكله ولا يطيب إلا بما يُخرجه منه، فهو كزكاة المال الذي لا يطيب لصاحبه إلا بإخراج زكاته، وإن كان للسمك سلاح دلَّ على انتصاره على أعدائه، وربما صادق أهل الشّرّ، وإن كان مما لا يقدر فهو بضاعة لأرباب البضائع. وإن كان السمك ينتقل من البحر الحلو إلى

البحر المالح، وسمك البحر المالح ينتقل إلى الحلو دلَّ على النفاق في الجيش أو اختلاف العامّة فيما جَرَت به العادة من حدوث مَظلَمَة أو ظهور بِدعة، وإن رأى السمك طافياً على وجه الماء دلَّ على تسهيل الأُمور، وقُرْب البعيد، وإظهار الأسرار، وإخراج المخبآت أو ما له أصل من مِيراث، فإن رأى عنده سمكاً صِغاراً أو كباراً، فإنه يدلّ على الاهتمام بالأفراح والأحزان، أو ما يُوجِب الاجتماع فيه من الجيد والرديء.

فإن رأى عنده سمكاً مما يشبه خلق الآدمي أو الطير دلّ على التعرّف بالتجّار، والمتردِّدين في البحر أو التراجمة العارِفين بالألسنة، أو المتخلّقين بالأخلاق المُرضِية، ويعتبر ذلك الشبه. فإن كان الشبه صالحاً كان الخُلُق صالحاً، وإن كان الشبه سيئاً كان الخلق سيئاً.

فإن رأى عنده شيئاً مما يأنس به الإنسان أو يُرىٰ في البيوت كاللجاة[1] والقرموط كان دليلًا على الإحسان للأيتام أو الغُرَماء وإيوائهم. فإن رأى أنّه أخذ السمك من قاع البحر فربما طالت يده في صناعته، وحصل له رزق طائل وإلّا تعرّض لأموال السلاطين، أو صار جاسوساً فإن انكشف البحر وتناول منه سمكاً جوهراً اطّلع على علم من غيب الله، واتّضح له الدين واهتدى إلى السبيل فكانت عاقبة أمره في ذلك عقبى حسنة.

وإن رأى من السمك ما يشبه الجزيرة في المنام جعل له مَغنَم من سبب مع أمير صالح خصوصاً إن أخذ من عينها دهناً وتناول من لحمها، فإن أكل من السمك من غير إصلاح تكلم في أعراض الناس، واحتال

---

(١) اللجاة: الجماعات.

على أخذ أموالهم بالباطل، وكل سمك يدلّ على الآدمي، فإن رؤيته دليل أمر باب المَعاش من الماء، كالسقّائين والملّاحين والغطّاسين والعوّامين والعامِلين في الحمّام.

فإن نزل عليه من السماء سمك مشوي فبشارة باستجابة دعائه وانتصاره على أعدائه، وارتفاع قدره، وربما دلّت رؤية السمك على الهمّ والنكد والمرض والأخبار النكدة، والموت في المكان الذي يكون فيه في المنام، وذلك لرائحته وكلفته وذهاب روحه.

٣١ ـ الضّبع: هو في المنام عدوّ ظلوم مُكايد يكون أمره إلى وراء الضبعة امرأة دنيئة ساحرة وعجوز.

ومَن رأى أنه يأكل لحم ضبعة فقد سُحِرَ وهو لا يعلم ويرجى حلّه من السحر، فإن ركبها تزوّج امرأة، فمَن رأى أنه ركب ضبعة فإنها امرأة كذلك.

ومَن رأى أنه رمى ضبعة بسهم، فإنه يُراسِل امرأة كذلك، وإن رماها بحجر أو بندق فإنه يقذفها، وإن ضربها بالسيف بسط عليها لسانه. ومَن شرب لبنها غدرت به وخانته. ومَن رأى أنه أصاب من جلد الضبع أو من عظامها أو من شعرها، فإنه يصيب من مال امرأة كذلك.

ومَن رأى أن الضبع كان ذَكَراً فإنه في التأويل رجل مخذول مجرم شبه المغلوب.

٣٢ ـ ضفدع: مَن رأى أنه مع الضفادع حَسُنَت صُحبته لأقاربه وجيرانه. ومَن رأى أنه يأكل لحم الضفدع نال منفعة قليلة من جهة أقربائه وجيرانه.

والضفادع في الرؤيا تدلّ على أقوام سَحَرَة خدّاعين، ولمَن كان معاشه من الماء دليل خير.

ومَن أكل الضفدع نال مُلكاً، وتدلّ الضفادع على عامّة أصحاب الغوغاء، والانتقال من مكان إلى مكان، ومَن رأى أنه أصاب ضفدعاً، فإنه يُخالط رجلًا فاضلًا، ومَن رأى جماعة من الضفادع نزلت أرضاً أو بلدة، فإن عذاب الله ينزل في ذلك الموضع إلى أن يدفعه الله تعالى.

وقيل: الضفدع امرأة حُرّة طاهرة ذات دِين وخشوع لا تؤذي أحداً.

٣٣ ـ طاووس: هو في المنام امرأة أعجمية ذات جمال ومال مشوّهة. وجمالها لونها، وريشها مالها، وذبحها موتها، وأكل لحمها مالها يَرِثه. والطاووس يدلّ لمَن ملكه على التّيه والعَجَب بالحُسْن والجمال، وربما دلّت رؤياه على النميمة والغرور، والكذب والركون إلى الأعداء، وزوال النعيم، والخروج من النعيم إلى الشقاء، ومن السّعة إلى الضيق. وتدلّ رؤيته على الحُليّ والحُلَل والتاج والأزواج الحِسان، والأولاد المِلاح. ومَن رأى أنه يأكل لحم طاووس، فإن امرأته تموت ويَرِث مالها. وقيل: يصيب مالًا من امرأة أعجمية.

ومَن رأى أنه أصاب من ريش طاووسه، فإنه يصيب مالًا من امرأة أو بسبب امرأة. ومَن رأى أنه أصاب من فرخها، فإنه يصيب مالًا من ولد تلك المرأة. وقيل: أصاب فرخاً من أفراخ الطاووس، فإنه يولد له ولد.

٣٤ ـ عصفور: هو في المنام رجل صاحب لهو وحكايات يضحك الناس منه، ويدلّ على ولد ذكر، وإن رأى أنه ذبح عصفور وُلِدَ له ولد ضعيف، وخِيفَ عليه الموت.

ومَن رأى أنه أصاب فرخ عصفور فإنه يصيب ولداً يبلغ مبلغ الرجال الضِّخام.

وإن رأى في يده أو في قفصه عصفوراً ثم طار ولم يعُد إليه، فولده المريض ميت، ومَن رأى أنّه يخيط عيون العصافير، فإنه يخدع الصبيان ويمكر بهم، وإن رأى أنّه أصاب فرخ العصافير فإنه يصيب أولاداً كثيراً، وإن رأى أن عصفوراً دخل في حلقه، فإن كان له طفل فإنه يسقط في بئر، ومَن رأى أنه مَلَكَ عصافير كثيرة، فإنه يتحوّل ويَلي ولاية على قوم لهم أخطار.

والعصافير تدلّ على الاجتماع والألفة والمحبة مع الأهل والأقارب في الأفراح، وربما دلّت على الاجتماع في المعاصي والهزيمة والتفرقة.

٣٥ ـ عقرب: هو في المنام يدلّ على الهمّ والنكد من سبب النمّام الذي لا يَسلَم أحد من يده ولا من لسانه. وربما افتتن بمَن يشبه العقرب بصدغه إذ بدا فيه الشعر.

والعقرب رجل نمّام بين النّاس. فإن أُكِلَ لحم عقرب مطبوخاً أو مشويًا فإنه ينال مالًا من عدوّ نمّام مثل الميراث الحلال، وإن كان نَيئاً فإنه حرام. فإن بلغ عقرباً يدخل على حُرمته عدوّ، ويدخل عدوّه في سرّه، وإن رأى في قميصه أو حانوته عقرباً فإنه عدوّ وهَمّ في معيشته وكسبه.

وإن رآها على فراشه، فإنه عدوّ وهمّ في أهله ومَن أكل عقرباً نَيْئاً اغتاب فاسقاً، وكذلك كل حيوان يأكل لحمه نَيْئاً، والعقرب يدلّ على رجل يظهر ما في قلبه على لسانه، ولا يعرف صديقه من عدوّه، والعقرب عدو ضعيف الهمّة مُغتاب، ومَن رأى العقرب إلا أنه لم يلدغه

وهو خائف منه، فإنه يغتاب العدو ويقع فيه، وإن كان غير خائف منه فهو عدوّ ولكنه لا يغتابه، ولا يصيبه مكروه.

ومَن رأى أنه قتل عقرباً فإنه يظفر بعدوّه. وإن رأى أن بيده عقرباً يلدغ الناس، فإنه إنسان يغتاب ويهيج بعضهم على بعض بنميمة. وإن رأى شبه العقرب وليس بعقرب، فإنه رجل يظنّهُ عدوًا له وليس بعدوّ، وشوكة العقرب رجل نمّام.

٣٦ ـ غزال: هو في المنام من النساء والأولاد والمِلاح ذكورهم وإناثهم، فمَن صادَ غزالًا أو أُهدِيَ إليه أو ابتاعه حصل له رزق، أو تزوّج إن كان أعزب، أو رزق ولداً، أو ظفر بغريم. ومَن رأى أنّه أخذ غزالًا أصاب ميراثاً وخيراً كثيراً، وإن توقّع جنيناً فهو غلام، فإن ذبح الغزال افتضّ جارية، وإن رأى غزالًا وثَبَ عليه فإن امرأته تعصيه في جميع الأشياء. ومَن ملَكَ غزالًا فإنه يملك مالًا حلالًا، أو يتزوج امرأة كريمة حرّة.

٣٧ ـ غنم: هي في المنام رعيّة صالحة طائعة. والغنم تدلّ على الغنيمة والأزواج، والأملاك والأولاد، والزرع والأشجار الحاملة بالثِّمار، فإن أخذ من أصوافها وألبانها، فإنه يجني منهم أموالًا، فإن مَلَكَ الأغنام، فإنها غنيمة يكسبها. فإن رأى أنه أجزاها، فإنهم رجال لا عقول لهم، فإن رآها واقفة فإنهم رجال يجتمعون في ذلك الموضع في أمره.

فإن رأى أنها استقبلته، فإنهم أقوام يستقبلونه في منازعة أو قتلًا فيظفر بهم. وقيل: إن الغنم الكثيرة قوم يُساسون.

ومَن رأى أنّه وجد غنماً، فإنه ينال ولاية ورياسة، ومُلكاً وحُكماً وقضاء ونعمة. ومَن رأى أنه يجزّ شعر الأغنام، فإنه يجب عليه أن يحذر

ثلاثة أيام ولا يخرج من داره، والغنم البيض دليل خير، والسّود كذلك لكن البيض أكثر دليلًا على الخير.

ومَن رأى قطيع غنم دام سروره، ومَن رأى رؤوس الغنم وأكارعها زاد عمره. ومَن رأى صورته تحوّلت صورة غنمة نالَ غنيمة.

٣٨ ـ **فأْرَة**: هي في المنام امرأة فاسقة. وقيل: امرأة يهودية ملعونة نائحة، أو رجل يهودي، أو لصّ نقّاب. والفأر الكثير يدلّ على رزق، فإن رأى فأراً يلعب بداره كَثُرَ رزقه، لأنه لا يكون إلا في مكان فيه رزق.

ومَن خرج الفأر من منزله قلّت بركته ونعمته. ومَن مَلَكَ فأرة مَلَكَ خادماً، لأن الفأْر يأكل مما يأكل الإنسان، كذلك الخادم يأكل مما يأكل السيد.

ومَن رأى الفأْر يلعب في منزله نال خصباً في تلك السنة، لأن اللعب لا يكون إلا من الشبع. فإن رأى أنه اصطاد منها شيئاً أو ملكه فإنها امرأة كذلك. والفأرة نشرة ما لم تختلف ألوانهنّ. وإن رأى فأراً يجيء ويذهب أسود أو أبيض، فإنه يطول عمره، فالبيض أيام والسّود ليالٍ. وقيل: الفأر أهل المنزل والعِيال.

ومَن رأى أنه قتل فأرة يظفر بامرأة سوء، ومَن رأى أنه رمى فأرة بسهم أو حجر أو بندق، فإنه يغتاب امرأة سوء أو يراسلها في سوء. ومَن رأى أنّه اصطاد فأرة، فإنه يمكر بامرأة أو يضاجعها.

ومَن رأى نيراناً كثيرة بيضاء وسوداء في موضع مائل أو مشرف أو بئر، فإنه نقصان في عمره. ومَن رأى أن فأرة خرجت من أنفه أو من ذَكَرِه فإنه يصيب ابنة سوء لا خير فيها.

ومَن رأى في بيته نيراناً، فإنه يدخلها نساء لا خير فيهنّ، ومَن رأى في ثيابه أو في فراشه فأرة، فإنها امرأة تُداخله لا خير فيها. ومَن رأى أنه أصاب جلد فإنه يصيب مالًا قليلًا من امرأة سوء.

٣٩ ـ **الفراريج**: تدلّ على أولاد السوء. والفراريج التي تُساق من مكان إلى مكان، فإنها سوء. ومَن سمع أصوات الفراريج، فإنه يسمع أصواب الفَسَقَة. وإن رأى أنّه يأْكل لحم فراريج نال مالًا من رجل كبير، والفراريج تدلّ على أمر يتألّف عاجلًا بلا تعب، لأن الفراريج لا تحتاج إلى كلفة في التربية، والفراريج الإناث وعبيد ووصائف.

٤٠ ـ **فَرَاش**: وهو طير معروف تدلّ رؤيته في المنام على الجهل وعدم التجارب بخدمة الملوك وسياستهم، وربما دلّت رؤيته على المحبة، وإلقاء النفس للتّلف، وتَدُلّ رؤية الفراش على عَبَدَة النّار أو الخوف والجزع لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ [القَارعَة: الآية ٤]، والفراش عدوّ ضعيف مهين عظيم الكلام.

والفراش للفلّاحين يدلّ على البطالة والشدّة، وموافقة الشّرار لهم، وموافقة النساء السّوء.

وفراش القزّ[1] يدلّ على أخبار الذين بذلوا خيرهم وكفّوا شرّهم. أو يدلّ على الأولاد الذين أعمارهم قصيرة، أو أصحاب التّركات السَّنِيّة. وربما دلّ على قرب الأجَل ونهاية العمل. ويدل على الحاكة من الرجال، والنساء من االمحاكين بالصورة.

(١) الخاص بدودة القز التي تنسج الحرير.

٤١ ـ **كَبْش**: هو في المنام رجل شريف منيع، فمَن رأى أنه أخذ بقرن كبش، فإنه يمنعه رجل شريف في أمر. فإن أخذ بشعره فإنه يتحوّل من رجل شريف، فإن أخذ إليته فإنه يملك أمر رجل شريف وماله وخيره، ويرِثه في عاقبة أمره، أو يتزوج بابنته، وإن أخذ ما في بطنه فإنه يَلِي خزانته، أو ينال مما فيها، وذبح الكبش لغير أكل قتل رجل عظيم شريف أو عدوّ، وإن كان في حرب فهو ظفرة، وإن رأى كباشاً مذبوحة في موضوع، فإنه يقتل هناك قوم في حرب أو قتال.

ومَن رأى أنه يقاتل كبشاً فإنه ينازع رجلًا ضخماً منيعاً قد مات فإنه موت رجل ضخم كبير.

وإن رأى كبشاً ذبح وقُسِّم لحمه، فإنه يموت رجل كبير ويُقَسَّمُ ماله. وإن رأى أنه أضحى بأُضحية أو ذبح كبشاً للأكل فإن كان عبداً عتق، وإن كان أسيراً نجا، وإن كان خائفاً أمِنَ، وإن كان مديوناً قضى دَينَه، وإن كان لم يحج حجَّ، وإن كان مريضاً شَفاه الله تعالى. وإن رأى أنّه ذبح كبشاً وسلخه فإنه يأخذ مال عدوّه، فإن أكل من لحمه فإنه يأكل من ماله. فمَن رأى أن في بيته كبشاً مسلوخاً، فإنه يموت بعض أهله وقرابته.

ومَن رأى كبشاً يُواثبه نال من عدوّه ما يكره، وإن نطحه أصابه أذى. ومَن رأى نعجةً صارت كبشاً فإن زوجته لا تحمل، وإن لم يكن له زوجة نال قوّة وعزًّا ونصراً على عدوّه.

٤٢ ـ **كلب**: هو في المنام رجل سفيه يجترىء على المعاصي، فإن نبح فهو سفيه شنيع الطبع.

ومَن رأى كلباً عضّه أو خدشه نال ضرراً من عدوّه بقدر الألم، وربما مرض. ومَن رأى كلباً مزَّق ثيابه، فإن سفيهاً يغتابه، وإن لم يسمع

نَبْحه، فإن عدوّ يترك عداوته بشيء يسير، والكلب يدلّ على الحمّى بسبب الكوكب الذي يسمى الكلب وهو الشعرى اليمانية التي هي علّة الحميات.

وكل أجناس الكلاب تدلّ على قوم أذلّة، والكلاب التي تُتَّخذ للّعب والمهاوشة تدلّ على عيش مع فرح ولذّة إذا عَرَضَ لها في المنام عارِض رديء دلّت على حُزن، وذَهاب لذّة العيش.

والكلبة المائية تدلّ على عمل لا يتمّ ورجاء كاذب. وإن رأى أنه تحوّل كلباً فإن الله تعالى قد علّمه علماً عظيماً، فبطر ذلك العلم فسَلَبَه الله إيّاه.

والكلاب تعبَّر بغلمان الشرطة. والكلب عدوّ ضعيف، والكلب رجل شحيح. وإن رأى أنه ينبَح عليه كلب، فإنه يظفَر بعدوّه ويُصيب من ماله، والكلب يدلّ على الحارس، ويدلّ على ذي البدعة، وشرب لبن الكلب خوف، ومَن توسَّد كلباً فالكلب حينئذ يستنصر به ويستظهره، والكلب غلام أو شحّاذ على الأبواب، وربما دلّ على الدناءة والمَهانة والذّلّ في النفس، والمَسكَنَة مع كثرة وداده وحفظه لصاحبه، وذبّه عن ماله وعياله.

وربما دلّ الكلب على الانكلاب على الدُّنيا مع عدم الادّخار، وتدلّ جميع الكلاب على أهل الدنيا، وكلب الصيد عزّ ورِفعَة ورزق، وكلب الماشية جار صالح غَيور على الأهل والجرو.

وربما دلَّ اتخاذ الكلب أو مصادقته على الزّيغ والغرم في المال، وإبطال العمل.

٤٣ ـ مُحاكاة الإنسان للحيوان والطيور في المنام دليل على لِين الكلام، واستمالة القلوب للصلح بين الناس، والمُحاكاة باليد والأصابع

في المنام في الضوء دليل على الهمز واللّمز، وربما دلَّ ذلك على القض في الصناعة، أو التملّق للناس.

٤٤ ـ **الثور الوحشي**: وذلك في المنام يدلّ على رجل رئيس كثير العبادة مُعتَزِل على غير السُّنَّة صاحب بِدعة.

ومَن وجد عين المهاة أو الثور الوحشي نال امرأة سَنِيَّة جميلة، وهي قصيدة العمر. ومَن تحوّل رأسه رأس مهاة، نال رياسة وغنيمة وولاية على ناس غرباء.

٤٥ ـ **ناقة**: هي في المنام امرأة. فإن كانت من البخت فهي أعجمية، وإن كانت غيرها فهي امرأة عربية. ومَن حلب الناقة تزوّج امرأة صالحة، وإن كان متزوّجاً رُزِقَ ولداً ذَكَراً.

ومَن حَلَبَ النوق وَلِيَ ولاية يجمع فيها الزكاة، ولحم النّوق يدلّ على وفاء النّذر، أو على مصيبة، أو على مرض أو رزق. وركوب الناقة نكاح امرأة وإن ركبها مقلوباً أتى امرأة في دُبُرها. ومَن ماتت ناقته ماتت امرأته، ويبطل سفره، وربما كانت الناقة امرأة كثيرة الخِصام لكثرة صياحها. ومَن رأى ناقة دخلت مدينة فإنها فتنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [القمر: الآية ٢٧].

ومَن عقر الناقة ندم على أمر فعله ونال مصيبة. وربما دلّت الناقة على العام المُقبِل، فإن كان معها فصيلتها دلّت على ظهور آية وفتنة عامّة، وإن ذُبِحَت دلّ على الهموم والأنكاد والفناء، أو سيف يعمّ أكثر الناس. ومَن اشترى ناقة وكان فقيراً ربما اشترى مِصباحاً وربما نال منزلة وحظّا فيما يُساق إليه، والناقة في المنام شجرة أو سفينة أو نخلة أو عقدة من عقد مال النساء.

والناقة الراحلة والهودج والقبّة والمِحَفّة، فكلّ ذلك نساء. ومَن رأى ناقة تدرّ لبناً في الجامع أو في سِماط أو في الرّحبة فإنها سنة مخضبة.

٤٦ ـ **نَعامة**: هي في المنام امرأة بدوية عربية، والظليم رجل عربي بدوي. وقيل: النعامة نِعمة، ومَن ركب نعامة ركب خيل البريد. وقيل: ينكح حصيناً. والنعامة تدلّ على الأصمّ، لأنها لا تسمع. وقيل: إنها تدلّ على النَّعي من اسمها.

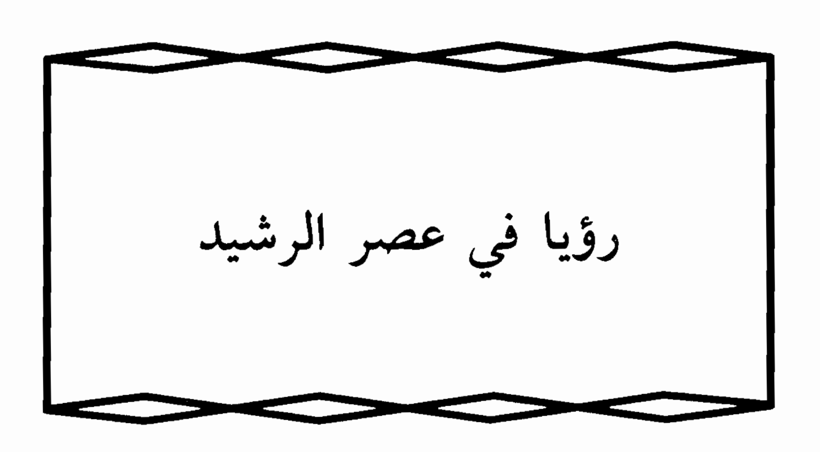
وإن رأى في داره نعامة ساكنة طالَ عمره ونعمته، وإن رأى أنه يحمل نعامة، فإنه يحمل خطيئة. ومَن أصاب من بيض النعامة، فإنه يصيب امرأة، ومَن أصاب من ريشها أصاب مالاً من رجل بدوي.

٤٧ ـ **نَعْجة**: هي في المنام امرأة شريفة كريمة غنيّة إذا كانت سمينة ومَن أكل لحم نعجة ورث امرأة، وصوفها ولبنها مال. ومَن رأى نعجة دخلت منزله نالَ خصباً في تلك السَّنة، والنعجة الحامل خصب ومالٌ يُرتَجَى. ومَن صارت نعجته كبشاً، فإن زوجته لا تحمل أبداً، وإن رأى في داره نعجة فإنها سنة مُخْصبة تأتي عليه.

وإن كانت حاملًا فإنه يرجو فيها جمع مال. وإن رأى أن النعجة واثبته فقاتلته، فإن امرأته تمكُر به. وولادة النعجة نَيل الخصب والرّخاء. والنعجة السوداء امرأة عربية، والبيضاء امرأة أعجمية.

٤٨ ـ **هدهد**: هو في المنام يدلّ على هدّ العامر من اسمه، وربما دلّت رؤيته على الرسول الصادق القريب من المملوك، أو الجاسوس، أو الرجل العالِم الكثير الجدال. وربما دلّ على النجاة من الشدائد والعذاب. وربما دلّ على المعرفة بالله تعالى، وربما شرعه في الدين

الصلاة، وإن رآه ظمآن اهتدى إلى الماء. والهدهد رجل عالِم يثق، عليه بالقبيح لنتن ريحه، ومَن رآه نال عزًّا ومالًا وإن أكله فإنه يأتيه خير من خليفة.



رؤيا في عصر الرشيد

رؤيا هارون الرشيد

رأى هارون الرشيد وهو بالكوفة رؤيا أفزعته وأصابته بالهمّ والغمّ، فدخل عليه جبريل بن بختيشوع فقال: ما لكَ يا أمير المؤمنين؟ فقال: رأيت كفًّا فيها تربة حمراء من تحت سريري وقائلًا يقول: هذه تربة هارون فهوَّن عليه جبريل أمرها وقال: هذه أضغاث الأحلام من حيث النفس، فتناساها يا أمير المؤمنين، فلما سار يريد خراسان ومرّ بطوس واعتقلته العلّة بها، ذكر رُؤياه فهالَه ذلك وقال لجبريل: ويحك أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا؟ فقال: بلى فدعا مسروراً لخادم وقال: ائتني بشيء من تربة هذه الأرض، فجاء بتربة حمراء في يده، فلما رآها قال: والله هذه الكفّ الذي رأيت، والتربة التي كانت فيها، قال جبريل: فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى توفي[1]. وقد أمر بحفر قبره قبل موته في الدار

(١) انظر البداية والنهاية ٩/ ٢٢١.

التي كان فيها، وهي دار حميد بن أبي غانم الطائي، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول: يا ابن آدم تصير إلى هذا، ثم أمر أن يقرأوا القرآن على قبره، فقرؤوه حتى ختموه.

أهم المراجع والمصادر

١ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير.
٢ ـ **تاريخ الطبري**.
٣ ـ **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير.
٤ ـ **صحيح البخاري**.
٥ ـ **صحيح مسلم**.
٦ ـ **فتح الباري**، لابن حجر.
٧ ـ **مشكاة المصابيح**.
٨ ـ **السيرة**، لابن هشام.
٩ ـ **عيون الأثر**، لابن سيد الناس.
١٠ ـ **الروض الأُنُف** للسهيلي.
١١ ـ **نهاية الأرب**.
١٢ ـ **طبقات ابن سعد**.
١٣ ـ **جمهرة أنساب العرب**.

١٤ ـ **نسب قريش**، للمصعب الزبير، ط. دار المعارف مصر.

١٥ ـ **مسند الإمام أحمد**.

١٦ ـ **دلائل النبوّة**، للبيهقي.

١٧ ـ **قاموس الأحلام ـ تعطير الأنام**، للنابلسي.

١٨ ـ **سِيَر أعلام النبلاء**، للذهبي.

١٩ ـ **الإصابة في معرفة الصحابة**.

٢٠ ـ **أسد الغابة**.

٢١ ـ **سنن النسائي**.

٢٢ ـ **أيام العرب في الإسلام**، علي أحمد البجاوي.

٢٣ ـ **تاريخ الإسلام للذهبي**، ج المغازي.

٢٤ ـ **الاستيعاب**، لابن عبد البرّ.

٢٥ ـ **السِّيرة الحلبية**، لبرهان الدين الحلبي.

٢٦ ـ **السّمط الثمين**.

٢٧ ـ **وفاء الوفاء**، للسمهوري.

٢٨ ـ **الإصابة**، للزركشي.

٢٩ ـ **سنن الترمذي**.

٣٠ ـ **تفسير الأحلام**، لابن سيرين.

٣١ ـ **تراجم سيدات بيت النبوّة**، د. عائشة عبد الرحمٰن.

٣٢ ـ **الرحيق المختوم**، للمباركفوري.

٣٣ ـ **رؤى النبي ﷺ وأحلام الصحابة**، محمد عبد العزيز الهلاوي ـ دار الطلائع.

٣٤ ـ **مَن رأى رؤيا فكانت كما رأى**، إبراهيم الحازمي، دار الشريف للنشر.

٣٥ ـ **حياة محمد**، للدكتور محمد حسين هيكل.

٣٦ ـ **تهذيب الترغيب والترهيب**، للمنذري.

٣٧ ـ **قصص الأنبياء**، لابن كثير.

٣٨ ـ **قصص الأنبياء**، للنجا.

٣٩ ـ تفسير ابن كثير.

٤٠ ـ تفسير الطبري.





فهرس المحتويات